

أَفْجَحَ الْيَهُودُ

وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

للدكتور المشي السموأل بن يحيى المغربي (٥٧٠ هـ)

وهو الحبر المشهور بن يهوذا بن آبرام

تقديم، تحقيق، تعليق

الدكتور محمد عبد الله الشقاوي

قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة

دار الحديث

أ. ش. يوسف عثمان - مدينة نصر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

افجفلالنيهوؤا

وقصبة اسلام السموال وروياى النبي مبل الله عليهم

لديا الهنك اسموال بن يحيى المغربي (٥٧٠هـ)

والمجتمعات بن يهوذا بن آبراهام

تقديم، تحقيق، تعليق

الدكتور محمد عبد الله الشقاوي

قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

دار الهداية

٤٨ شارع يوسف عباس - مدينة نصر



إِفْحَامُ الْيَهُودِ

وقصة إسلام السّمؤال ورؤية النّبي ﷺ

قال تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ
بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾
(سورة آل عمران : آية : ٦٤)

تصديـر

بقلم الدكتور أحمد العسال

الحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات ، وبفضله ومنته يجرى الخير على يد من أحب من عباده ، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد بن عبدالله ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، وعلى كل من دعا بدعوته ، وأدى حق رسالته ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

وبعد .

فإن العمل العلمى يعظم نفعه ، ويبقى أثره بقدر ما يحمل للناس من خير ، ويعطيهم من زاد ينفعهم فى حياتهم الدنيا والأخرى ، ولقد أحسن الأخ الزميل الأستاذ الدكتور محمد الشقاوى حين اختار الكتاب النفيس الموسوم بـ (إفحام اليهود) للإمام المهتدى السموأل بن يحيى المغربى ، وبذل فيه جهد التحقيق والتعليق حتى وطأه ويسره للباحث والقارئ ، فقدّم بذلك خيراً كثيراً نسأل الله أن يجزيه على جهده خير الجزاء ؛ ذلك أن الكتاب ليس مجرد كتاب عابر يعالج موضوعاً مما اعتاد الناس أن يعالجوه . كلا : إنه يعالج موضوعاً هاماً وهو إظهار تحريف اليهود لكتبهم وبيان كذبهم ، ويزيد من أهمية الكتاب أن مؤلفه ليس إنساناً عادياً جاء من عامة اليهود ، ولكنه من خاصتهم فهو ابن حبر يهودى فقد كان والد السموأل حبراً كبيراً وإماماً ضليعاً فى اليهودية ، وكذلك كانت أمه ، ومما يزيد فى أهمية السموأل أنه جاء لوالديه على شغف ورغبة كما سترى فى ترجمته الذاتية فى هذا الكتاب ؛ فلا عجب أن نرى ذلك الحذب والرعاية (للسموأل) مما هيأ له فرصة عظيمة للتضلع فى فنون المعرفة والثقافة الموجودة فى عصره ، مما جعله قادراً بعد

ذلك على الحكم عليها ووزنها بميزان البدهاة والغبطة حتى قاده ذلك لأن يهتدى بنور الإسلام والحمد لله .

إن المتعة في هذا الكتاب تأتي من أكثر من جانب :

أولها : أنها تطلعنا على نشأة السموأل وكيف أنه تمكن من اللسان العبرى ، ودرس التوراة وفقهها وعلومها ، وكيف أنه أجاد الهندسة والرياضيات والهيئة وشيئا من علوم اليونان وكيف أنه أجاد الطب وحذقه ، وكيف أنه رحل إلى العلماء والمشايخ ، وكيف درس الأساطير وقرأ « تجارب الأمم » لابن مسكويه ، وتاريخ الطبرى ... والسيرة النبوية الشريفة وقد أعانه على ذلك ذهن متوقد ، وشغف شديد كان يلهيه عن الطعام والشراب كما عبر عن نفسه .

ثانيها : أن الكتاب يرينا استقلال ملكته العقلية ، وتحرر نظره من أسر التقليد ومجاراة الأسلاف ، مما أعطاه بصيرة نافذة قادرة على الموازنة وال ترجيح ، وعلى إحقاق الحق وإبطال الباطل ؛ فقد هضم العلوم التى درسها وتمثلها تمثلاً صحيحاً . يقول عن نفسه : (فخلوتُ بنفسى فى بيتٍ مدة ، وحللت جميع تلك الكتب وشرحتها ، ورددت على من أخطأ من واضعيها ، وأظهرت أغلاط مصنفها ، وعزمت على ما عجزوا عن تصحيحه وتحقيقه وأزريت على (إقليدس) فى ترتيب أشكال كتابه بحيث أمكنتنى إذا غيّرت نظام أشكاله أن استغنى عن عدة منها لا يبقى إليها حاجة بعد أن كان كتاب إقليدس معجزاً لسائر المهندسين) .

ويقول عن نفسه فى صناعة الطب : (اتضح لى - بعد مطالعة ما طالعته من الكتب التى بالعراق والشام وأذربيجان وكوهستان - الطريق إلى استخراج علوم كثيرة ، واختراع أدوية لم أعرف أنى سبقت إليها ، مثل الدرياق الذى وسمته بالخلص ذى القوة النافذة ، وهو يبرىء من عدة أمراض عسيرة فى بعض يوم وغيره من الأدوية التى ركبته مما فيه منافع وشفاء للناس بإذن الله تعالى) .

فإذا جئنا إلى موقفه من المعجزة القرآنية والسيرة النبوية المعصومة ... ومن

قضية العقيدة نجده يَتَفَحُّنا بكلام برهانه الخبرة الكاملة والرأى الراجح مما يزيد الحق وضوحاً ونوراً . استمع إليه وهو يحكى عن نفسه فيقول : ..

(ومع ذلك ؛ فإنى لكثرة شغفى بأخبار الوزراء والكتاب - قد اكتسبت بكثرة مطالعتى لحكاياتهم وأخبارهم وكلامهم ، قوة فى البلاغة ، ومعرفة بالفصاحة ، وكان لى من ذلك ماحمده الفصحاء ، وتعجب به البلغاء ... فشاهدت المعجزة ، التى لا تباريها الفصاحة الآدمية فى القرآن فعلمت صحة إعجازه ، ثم إنى لَمَّا هَدَبْتُ خاطرى بالعلوم الرياضية - ولاسيما الهندسة وبراهينها - راجعت نفسى فى اختلاف الأديان والمذاهب ، وكان أكبر المحركات لى فى البحث عن ذلك مطالعتى كتاب : (برزويه الطيب) من كتاب : (كيلة ودمنة) وماوجدت فيه ، فعلمت أن العقل حاكم يجب تحكيمه على كليات أمور عالمنا هذا ؛ إذ لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل ، وتصديق المشايخ والسلف لما صدقناهم فى سائر ما تلقيناه عنهم ، وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف وأصل اتباع الأنبياء بما أدى إليه العقل ؛ فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب ، وإذا نحن حَكَمْنَا العقل على ماقلناه عن الآباء والأجداد ، علمنا أن النقل عن السلف ليس يوجب العقل قبوله من غير امتحان لصحته ، وليس لمجرد كونه مأخوذاً عن السلف لكن من أجل أنه يكون أمراً ذا حقيقة فى ذاته والحجة موجودة بصحته .

فأما الأبوة والسلفية وحدهما فليستا بحجة ، إذ لو كانتا حجة ، لكانتا أيضاً حجةً لسائر الخصوم الكفار كالنصارى ؛ فإنهم نقلوا عن أسلافهم أن عيسى ابن الله وأنه الرازق المانع الضار !! فإن كان تقليد الآباء والأسلاف يدل على صحة ما نقل عنهم فإن ذلك الإقرار بصحة مقالة النصارى ومقالة المجوس ...

ويمضى فى مناقشة اليهود على هذا النحو إلى أن يقول : « فلما علمت أن اليهود ، لهم أسوة بغيرهم فيما نقلوه عن الآباء والأسلاف ، علمت أنه ليس بأيديهم حجة صحيحة بنبوة موسى (عليه السلام) إلا شهادة التواتر ، وهذا

التواتر موجود لعيسى ومحمد كوجوده لموسى عليهم السلام أجمعين . فإن كان التواتر يفيد تصديقاً فالثلاثة صادقون ونبوتهم معاً صحيحة ثم يشرح ذلك فيقول :

« وعلمت أيضاً - أئى لم أر موسى بعينى ، ولم أشاهد معجزاته ولا معجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام ، ولولا النقل وتقليد الناقلين ، لما عرفنا شيئاً من ذلك فعلت أنه لا يجوز للعاقل أن يصدق بواحد ويكذب بواحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام لأنه لم ير أحدهم ؛ ولا شاهد أحواله إلا بالنقل ، وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم . فليس من العقل ولا من الحكمة أن يُصدق أحدهم ويُكذب الباقون ، بل الواجب عقلاً : إما تصديق الكل ، وإما تكذيب الكل .

فأما تكذيب الكل فإن العقل لا يوجبهُ أيضاً لأننا إنما نجدهم قد أتوا بمكارم الأخلاق وَنَدَبُوا إِلَى الْفُضَائِلِ ونهوا عن الرذائل ، ولأننا نجدهم ساسُوا العالم بسياسة بها صلاح أهله » .

ثم يختم كلامه بهذا المقطع الرائع والنتيجة الحاسمة :

« فصَحَّ عِنْدِي بِالْدَّلِيلِ الْقَاطِعِ نُبُوَّةُ الْمَسِيحِ وَالْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ وَأَمَنْتَ بِهِمَا » .

ثلاثة الفوائد : ازدياد اليقين بهذا الدين بقراءة هذه التجربة العلمية والإيمانية التى يقدمها لنا هذا الكتاب ، ولقد سجل القرآن الكريم فى سورة الأحقاف مثل هذا الدور حين شهد عبدالله بن سلام رضى الله عنه للرسول الكريم وآمن به ، فقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهَ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

رابعتها : أن الكتاب يناقش القضايا التي أثارها اليهود وحرفوا فيها التوراة مثل قضية النسخ ، وتكذيبهم بنبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام ، وذكر المواضع التي أشير فيها في التوراة إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام أجمعين ثم يورد بعد ذلك أمثلة عديدة لتبديل التوراة ويبيّن بعض قضائهم ، ثم يعدد فرقهم ، ويكون مسك الختام رسالة من يهودى للإمام السموأل أجابه عليها . وذكر أن استخدامه للعقل في منهجه العلمى أثمر وصولاً إلى الدين الحق .

هذه لمحات سريعة قدمتها - بين يدي الكتاب للدلالة على قدره ونفاسته ، ولاشك أن الكتاب بهذه الفوائد الجليلة وغيرها ، يأتي في فترة حاسمة تواجه فيه أممنا صلف اليهود وظلمهم ، وتعنتهم وفسادهم وإفسادهم ... فما أحرانا ، بل ما أشد حاجتنا لمزيد من جرعات الحق تزيدنا رسوخاً وثباتاً ، ولخيرة العلماء تعرفنا تصريح القول ، وتعطينا نوراً نفهم به غيرنا ندعوهم إلى كلمة سواء .

والله أسأل أن يرحم مؤلف الكتاب ، ويغفر له ، ويتقبله في الصالحين ، ويثيب الأخ المحقق الثواب الحسن الجميل وينفع بجهد طلبة العلم والدعاة إلى الإسلام ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د. أحمد محمد العسال

أستاذ ورئيس قسم الدعوة بكلية

الدعوة والإعلام

الرياض

الرياض في يوم الخميس ١٣ من جمادى الثانية ١٤٠٤ هـ

١٥ من مارس ١٩٨٣ م

مقدمة الحق

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله ،

وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه وبعد :

فهذان كتابان نفيسان ، وضعهما : « الحبر شمواثيل بن يهوذا بن أبون » ،
بعد أن هداه الله تعالى ، وشرح صدره للإسلام ، وتسمى بـ (السموأل بن يحيى
المغربي) .

وهو رياضي . صيب . عام باليهودية والإسلام . أجمع المترجمون على أنه
من أعيان علماء القرن السادس الهجري في الطب والرياضيات .

- أما الكتاب الأول ، فهو : إسلام السموأل وقصة رؤياه
المصطفى ﷺ ، وهو سيرة ذاتية .. دقيقة وأمانة للرجل ، سطرها بقلمه .

- والكتاب الثاني ، هو : « إفحام اليهود » ، وضعه السموأل
- مستشعراً مسؤوليته العلمية والدينية - لبيان وكشف ما عليه اليهود من تبديل
وتحريف وتزييف .. ودهاء وتناقض .. وحقد وجبن وتعصب .. وأن ذلك
ديدهم ووجهتهم وسبيلهم قبل الأسر البابلي وبعده .

- ركز فيه على عدة نقاط بالغة الأهمية .. كما أنه عالجها بمنهج متفرد متميز
لم يسبق إليه ، واستفاد منه من جاء بعده .

وكان مما ركز عليه : تفنيد دعواهم : أن النسخ بداء ، وأن البداء محال على
الله تعالى ، أنه سبحانه - في زعمهم - لا يقدر أن ينسخ شيئاً مما شرعه لعباده ،

فحاجّهم في ذلك بنصوص من كتابهم وألزمهم القول به . كما ألزمهم - بالنصوص أيضاً - بُبوة عيسى ومحمد عليهما السلام .

كما كشف جانباً من كفرهم وتبديلهم ، وأعرب عن بعض فضائحهم ومعتقدات فرقهم ، وتعرض لمعتقدهم في عيسى ومحمد عليهما السلام ، فأبان مكونات نفوسهم ، وأظهر أسرار كتبهم .

وأبان السبب في التبديل ، وقصة تزيف التوراة ، ودَوْر « عِزْرا والفريسيين » في ذلك .

ذكر كل هذا بعقل الرياضي الذي يعوّل على الحجة القاطعة ، والبرهان الدامغ ، وبفهم المتبحر في الكتب اليهودية وتفسيراتها وفقهها وتقاليدها فهو حبرّ وابن حبر ، ومطلع على ماهو محبوب عن عامتهم ، بل وبعض خواصهم .

ولقد أبعد العاطفة والتقليد ، وكان باحثاً موضوعياً نزيهاً ناقداً ، يعتدّ بالعقل ، ويعول عليه كثيراً ، وينفر من التقليد ، ويمقته أكبر المقت !! .

وعلى أهمية كتابه هذا في مقارنة الأديان عموماً ، وفي الجدل الديني خصوصاً ، فإنّ أكثر الباحثين ، بل المتخصصين المعاصرين في هذا الحقل العلمي الخصب لا يكادون يعرفون الكتاب أو الكاتب .

وكنت قد تعرفت عليه ، أثناء انشغالي بتحقيق كتاب الإمام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥ هـ - ١١١١ م) المسمى : « الردّ الجميل لإلهية عيسى بصرىخ الإنجيل » ، فعزمت - مستعيناً بالله تعالى على تحقيقه والتعليق عليه ونشره ، أداءً لأمانة العلم ، وقياماً بحق الدعوة إلى الله فإنّ :

كلّ مَنْ لم يناظر أهل الإلحاد والبدع (واليهود أئمة ورؤاد هذا السبيل) مناظرة تقطع دابرهم ، لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفي بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدر ، وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه

العلم واليقين » . (ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل) ولعل نشر هذا الكتاب يؤدي بعض ذلك !! (ج ١ . ص ٣٥٧) .

هذا ،

ويسرني أن أشكر كل من أعانني على تحقيق وطبع ونشر هذا الكتاب ، وأخص الأستاذ الدكتور أحمد العسال ، أستاذ ورئيس قسم الدعوة الإسلامية بكلية الدعوة والإعلام بالرياض على احتفائه بهذا الكتاب ، وتشجيعه لي ، وتقديمه الكريم له ، وأسأل الله الصديق والإخلاص قولاً وعملاً ، والحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على محمد وآله وصحبه .

د . محمد عبد الله الشرقاوي

الرياض في يوم الجمعة ٧ من صفر الخير ١٤٠٤ هـ - ١١ نوفمبر ١٩٨٣ م

القسم الأول

دراسات
بين يدي الكتاب

١ - المؤلف في كتب التراجم

اسمه العبراني : « شموايل بن يهوذا بن آبون » ، وبعد أن شرح الله صدره للإسلام ، تخلى عن هذا الاسم ، وتمسك باسمه العربي : « السّمؤال بن يحيى المغربي » .

ويعد السّمؤال من علمائنا القلائل الذين كتبوا سيرتهم الذاتية ، وكان من النادرين الذين كتبوها بدقة وشمول ... فأما عن شمولها ، فنسذكر لمحات منها فيما بعد ، ... وعن دقتها ، فإنّا قد امتحنا ماجاء فيها ، بما كتبه عنه المترجمون وكتاب الأعلام ، والطبقات ، فلم نجد ما يستوقفنا من مخالفة أو اختلاف .

ويحسن بنا أن نسوق بعض ماجاء في كتاب الصاحب جمال الدين القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ عن « تاريخ الحكماء » ؛ قال عنه :

« السّمؤال بن يهوذا المغربي ، الحكيم اليهودي ، أظنه من الأندلس^(١) ، قدم هو وأبوه إلى المشرق ، وكان أبوه يشدو شيئاً من علم الحكمة ، وكان ولده السّمؤال هذا قد قرأ فنون الحكمة ، وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها وفوائدها ونوادرها ، وكان عددياً - أى مشغلاً بالحساب - هندسياً ، هيكياً ، وله في ذلك مصنفات ، منها :

- كتاب المثلث القائم الزاوية ، وقد أحسن في تمثيله وتشكيله ، وعدة صوره ، ومبلغ مساحة كل صورة منها ، صنفه لرجل من أهل حلب

(١) هذا مجرد ظن ولقد كان السّمؤال معاصراً لأبى عمران موسى بن ميمون اليهودي المتوفى (٦٠١ هـ) ، وأسرة ابن ميمون هاجرت من الأندلس إلى أفريقية أثناء حكم الموحدين ، وعاش فترة في فاس ثم رحل عنها إلى مصر [انظر : ديلاسي أولييري : الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، ترجمة د. تمام حسان ص ٢٢١] ولا أعتقد أن السّمؤال كذلك لأنه لم يشر إلى ذلك . ولم يذكره المترجمون له اللهم إلا القفطى .

- وصنف منبراً في مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها ، وصنف كتباً في الطب .

وارتحل إلى آذربيجان ، وخدم بيت البهلوان ، وأمراء دولتهم ، وأقام بمدينة (مراغة) ، وأولّد أولاداً هناك ، سلكوا طريقته في الطب .

وأسلم فحسّن إسلامه ، وصنّف كتاباً في إظهار معائب اليهود ، وكذب دعاويهم في التوراة ، ومواضع الدليل على تبديلها ، وأحكم ما جمعه في ذلك . ومات بالمراغة قريباً من سبعين وخمسمائة ^(١) .

أما صاحب كتاب : « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ ، فيقول :

هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربي ، كان فاضلاً في العلوم الرياضية ، عالماً بصناعة الطب ، وأصله من بلاد المغرب ، وسكن مدة في بغداد ، ثم انتقل إلى بلاد العجم ولم يزل بها إلى آخر عمره .

« وكان أبوه - أيضاً - يشدو شيئاً من علوم الحكمة ... وللسموأل بن يحيى بن عباس المغربي من الكتب :

- رسالة إلى أبي خدود : جبر ومقابلة .

- كتاب : إعجاز المهندسين ... صنّفه لنجم الدين أبي الفتح شاه غازي ملك شاه بن ظفرليك ، وفرغ من تصنيفه في ٥٧٠ هـ .

- كتاب : الرد على اليهود .

- كتاب القوافي في الحساب الهندي ، ألفه سنة ٥٦٨ هـ ^(٢) .

(١) انظر : القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٠٩ طبعة ليرت ١٩٠٣ م ، ص ١٤٢ ط دار الآثار لبنان .

(٢) انظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، الطبعة الأولى بيروت بتحقيق نزار رضا ١٩٦٥ م وانظر ص ٣١ ج ٢ من نشرة ميلر ١٨٨٤ م .

ويذكر عنه موفق الدين عبداللطيف البغدادي ، وهو معاصر له ، تقريباً ،
توفي سنة ٦٢٩ هـ ، يقول - فيما نقله لنا عنه ، ابن أبي أصيبعة :

« هذا السموأل ، شاب بغدادي ، كان يهودياً فأسلم ، ومات شاباً
بالمراغة ، وبلغ في العدديات مبلغاً ، لم يصله أحد في زمانه ، وكان حاد الذهن
جداً ، ... بلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى ، وأقام بديار بكر ،
وآذربيجان ، وله رسائل في الجبر والمقابلة ، يرد بها على ابن الخشاب النحوي ،
وذلك أن ابن الخشاب كان معاصره ... ، وله مشاركة في الحساب ، ونظر في
الجبر والمقابلة » ١ هـ .

وأشار الإمام ابن القيم ، رحمه الله (ت ٧٥١ هـ) ، إشارة ضمنية إليه ،
فقال : « قال بعض أكابرهم بعد إسلامه » ، ثم نقل عنه صفحات وفصولاً
كثيرة^(١)

ولو ذهبنا نتبع مذكره عنه العلماء ، من الإشادة والثناء الجميل ،
كالصفدي ، صاحب : الوافي بالوفيات ، وابن العبري ، صاحب : مختصر تاريخ
الدول ، والزركلي ، صاحب الأعلام ، وغيرهم ، لطال الحديث ، وخرج عن
حده المرسوم له ... لكننا نكتفي بما أسقناه^(٢) ، فقيه الغنية إن شاء الله .

٢ - ثقافته ونبوغه

ولد السموأل في بيت علم ، فكان أبوه حَبِيراً يهودياً ، ومن ثم نشأ ابنه
وحيدة تنشئة علمية ممتازة ، فتمكن من اللسان العبري ، ودرس التوراة وفقهها
وعلموها .

(١) (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) ص ١٠٨ . طبعة الجامعة
الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٢) وقارن ما كتبه عادل أنبوبا في مجلة « المشرق » ١٩٦١ م ص ٦١ وما بعدها .

ثم درس الهندسة والرياضيات والهيئة وشيئاً من علوم اليونان والطب على كبار المهندسين والأطباء المرموقين ، والمشهود لهم من المفكرين أمثال :
الدسكرى ، وهبة الله بن ملكا البغدادى والشهرزورى ، وغيرهم .

وقام برحلات وأجرى مقابلات ولقاءات مع العلماء والشيوخ .

وكان قد التفت قبل ذلك إلى دراسة الأساطير ، فالتاريخ ، والسيرة النبوية الطاهرة ، ومما أعانه على النبوغ فى كل فن من هذه الفنون ، ذهن متوقد ، وتفرد ، وحرص ، وحب عظيم للعلم وتشاغل به .

ومما يؤكد ذلك - فضلا عن الكلام الذى سقناه لابن القفطى وابن أبى أصيبعة ولمعاصره وزميله فى الطلب موفق الدين البغدادى - قوله :

« وكان بى من الشغف بهذه العلوم والعشق لها ما يلهينى عن المطعم والمشرب ، إذا فكرت فى بعضها ، ... فخلوتُ بنفسى ، فى بيت مدة ، وحللت جميع تلك المسائل وشرحتها ، ورددت على من أخطأ من واضعيها ، وأظهرت أغلاط مصنفها ... وأزريت على أقليدس فى ترتيب أشكال كتابه ، بحيث أمكنتى إذا غيرت نظام أشكاله ، أن استغنى عن عِدَّةٍ منها ، لا يبقى إليها حاجة ، بعد أن كان كتاب (إقليدس) مُعْجَزاً لسائر المهندسين ، إذ لم يحدّثوا أنفسهم بتغيير نظام أشكاله ، ولا بالاستغناء عن بعضها ... حصل على كل هذه العلوم ، وهو فى السنة الثامنة عشرة من عمره .

ثم صنف ، واتصلت تصانيفه منذ تلك السنة إلى أن وافاه الأجل ، « وفتح الله على كثير مما ارتج على من سبقنى من الحكماء المبرزين » .

وكان له حظ وافر فى صناعة الطب والصيدلة .

ومما قرأه من كتب التاريخ : « تاريخ الطبرى » وتاريخ أبى على مسكوية المسمى « تجارب الأمم » .

ومن قراءة التاريخ تعرف على سيرة الرسول ﷺ ، وجهاده ، وصبره ، واحتماله ، وعمله وحلمه ، وسَمُو خلقه ، وهجرته ، وعرف سيرة صحابته ، والغزوات والانتصارات المعجزة ، لقلة العدد والعُدَد ، من هنا انتبه نخسُهُ وقلبه وعقله ووجدانه إلى الرسول ﷺ ، ودرس رسالته .

ثم كان له نصيبٌ وافر من الفصاحة والبلاغة والتذوق الأدبي الرفيع ومن ثم التفت إلى معجزة القرآن الذي لا يباريه كتاب في هذا الباب ، فعلم وتيقن من حصة إعجازه ، ولقد انعكست ثقافته المتنوعة الواسعة في رصانته العملية ، وإحكام براهينه ، وقوة جدله ، وصحة لغته وجزالة أسلوبه ، وفخامة لفظه ، يبرز هذا لو قارنّا كتابه : (إفحام اليهود) بما كتبه المهتدى سعيد بن حسن الإسكندرانى - الذى انتقل إلى الإسلام من اليهودية سنة ٦٩٧ هـ في كتابه المسمى : « مسالك النظر في نبوة سيّد البشر »^(١) .

٣ - كراهيته للتقليد والجمود

كان قد تجمع له فيض ذاخر من المعرفة بالإسلام ، وكان عقله وقلبه قد اطمأنّا إلى صحة معجزة القرآن الكريم ، ولأنه قد تربى حسّه على المنطق وتهذّب خاطره على العلوم الرياضية والهندسية ، وما تقتضيه من ضروب البرهنة ، والتحقق من صحة الفروض تحقّقاً عقلياً ، كان للعقل عنده دور عظيم جداً ... ولم يكن للتقليد والجمود إلّا حظ النفور والكراهية والمقت .

فراجع نفسه في اختلاف الناس في الأديان والمذاهب ... وفكر وتدبّر وكان قد رسخ يقينه قبل ذلك بأن العقل حاكم ، يجب تحكيمه على كليّات أمور عالمنا هذا ، إذ لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل وتصديق المشايخ

(١) انظر نشرة المستشرق (S.A. Weston) لهذا الكتاب في (JOAS)

(Vol. xxiv, 1953, P.P 312-383) وهى نشرة مليئة بالأخطاء والتصحيحات .

والسلف . لما صدقناهم في سائر ما تلقيناه عنهم يقول في ذلك مانصه : « ... وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف ، وأصل اتباع الأنبياء ، مما أدى إليه العقل ، فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب .

وإذا نحن حكمنا العقل على ما نقلناه عن الآباء والأجداد ، علمنا أن النقل عن السلف ، ليس يوجب العقل قبوله من غير امتحان لصحته ، بل بمجرد كونه مأخوذاً عن السلف ، لكن من أجل أنه يكون أمراً ذا حقيقة في ذاته ، وحجة موجودة بصحته .

فأما الأبوة والسلفية وحدهما ، فليستا حجة ، إذ لو كانتا حجة ، لكانتا - أيضاً - حجة لسائر الخصوم الكفار : كالنصارى ، فإنهم نقلوا عن أسلافهم أن عيسى ابن الله ، وأنه الرازق المانع الضار النافع^(١) .

فإنه كان تقليد الآباء والأسلاف ، يدل على صحة ما نقل عنهم ، فإن ذلك يلزم الإقرار بصحة مقالة النصارى ، ومقالة المجوس^(٢) .

ويوظف الإمام السموأل هذا الأصل العلمي المنهجي الثابت في مناقشة دعاوى اليهود ، وتفنيد مزاعمهم ونقص تأسيسهم ويستخدمه بمهارة واقتدار يعكسان ثقافته الرياضية الهندسية والمنطقية .

(١) انظر : « شريعة إيمانهم » في المصادر التالية :

- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، للبطريرك سعيد بن البطريق .
 - النصيحة الإيمانية لفضيحة الملة النصرانية ، للمهتدى نصر بن يحيى المتطبب .
 - تثبت دلائل النبوة . للقاضي عبد الجبار . والبداية والنهاية ، والفصل لابن حزم .
- (٢) : سلام السمواأل : المخطوط .

٤ - دوره في مجادلة اليهود

لئن كان دور السموأل بارزاً في فضح يهود التلمود ، لدى المسلمين وقراء العربية ، كما سنذكر فيما بعد إن شاء الله تعالى ، فإنه ولاشك حلقة مهمة في سلسلة أحبار وحاخامات اليهود الذين خرجوا على اليهودية .

ولعل من المفيد أن نذكر القارئ الكريم ، ببعض من سبق أو لحق السموأل في هذا الباب ، وهو الخروج على اليهودية سواء إلى النصرانية أو الإسلام ، وكتب أو جادل وناظر في فضح اليهود وإفحامهم .

- من أهمهم : (نيكولاس دونين Nicolas Donin) ، (وبابلو كرسطياني Pablo Cristiani) .

وقد عقدت مناظرة كبرى بين بابلو كرسطياني ، والحاخام « موسى بن نجمان » في برشلونة سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦٣ م وكرستياني هذا يهودى روعته تعاليم اليهود الوحشية ، فانتقل إلى النصرانية ... ، وأسهم بدور كبير في كشف حقائق اليهود ، وعدايتهم للنصرانية (وبقية الأمم) ، واشترك في مناظرة برشلونة الشهيرة ، واستطاع أن يقنع البابا كلمنت بأخطاء التعاليم التلمودية ، فأصدر - الأخير - مرسوماً بتحريم قراءة التلمود وحيازته ، ومصادرة نسخه ، وأعاد تنفيذ قانون لويس الحادى عشر ، الصادر فى ٥٣١ هـ - ١١٣٦ م بإلزام اليهود

بوضع شارة على أكتافهم تميزهم^(١) .

وتخبرنا (دائرة المعارف اليهودية) عن طرف من هذه المناظرة ، وتضيف بأن إحدى هذه المناظرات ، قد أقيمت بأمر من البابا (بنديكت) Bendict ، واستمرت سنة وتسعة أشهر في طرسوسة^(٢) .

ومن الجديد ذكره - هنا - أن اليهود قد اضطروا إلى الاعتراف ، ببعض عقائدهم الدينية السرية في بعض هذه المحاكمات ... ومنها مثلاً :

« أن يسوع الناصري ، موجودٌ في بُجَّات الجحيم ، بين الزفت والينار ! (قاتلهم الله) وأن أمه مريم قد أتت به من العسكرى بنداراً بمباشرة الزنا ، وأن الكنائس النصرانية ، هي بمثابة قاذورات ، وأن الواعظين بها أشبه بالكلاب النابجة ، وأن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها ديناً ، وأن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم به اليهودى ... وأن من الواجب أن يلعن ثلاث مرات ، رؤساء المذهب النصراني ، وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بنى إسرائيل »^(٣) .

- وفي القرن السادس عشر ، كشف « جوهان فيفر كورن Johan Pheffrkorn » .

٢ - وكان يهوديا ، ثم خرج عليها إلى النصرانية - عن حقائق خطيرة من معتقدات يهود^(٤) .

(١) ظفر الإسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه ، ص ٤٢ ط ٢ نشر دار النفائس .

(٢) السابق ص ٤٣ .

(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص ١١ ، ترجمة عن الفرنسيه د . يوسف حنا مسعد ، نشر المكتب الإسلامى ببيروت ، ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ . وفضح التلمود لبرانايتس ، دار النفائس .

(٤) التلمود ص ٤٦ .

- ولقد تحول كثير من اليهود إلى الإسلام ، لكن دور بعضهم كان بارزاً في إظهار تناقض اليهود ، وعتافتهم وتحريفهم ... وضمت هذه القافلة المباركة كثيراً من الرجال ... وكان من بينهم :

- هبة الله على بن الحسين بن ملكا ، صاحب كتاب : « المتبر في الحكمة » والذي يلقبه الإمام ابن القيم بـ (فيلسوف الإسلام في وقته)^(١) .

- وجاء السموأل - في القرن السادس الهجري - وصنف كتابه « إفحام اليهود » ، وكان بالغ الأهمية في هذا الباب ، ذا جهد متميز فاق من سبقوه ومن لحقوا به .

ثم جاء سعيد بن الحسن الإسكندراني ، في القرن السابع والثامن الهجري ، ووضع كتابه : « مسالك النظر في نبوة سيد البشر » سنة ٧٢٠ هـ ... بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وانتقل إليه من اليهودية^(٢) .

- وفي سنة ١٢٥٦ هـ أشهر الحاخام موسى أبو العافية إسلامه ، وأعلن أمام المحكمة بعض فضائح التلمود ، وترجم منه مقاطع مطولة ، صادق على صحتها - مضطراً - يعقوب العيتاني ، الحاخام الأكبر للشام - آنذ -^(٣) .

٥ - صلته بابن ملكا البغدادي وموفق الدين عبداللطيف البغدادي

قد يُظن أن تلمذة السموأل على الفيلسوف (اليهودي الذي أسلم) هبة

(١) ابن القيم : إغاثة اللهفان ج ٢ ص ٢٥٧ بتحقيق محمد حامد الفقي ، نشر دار المعرفة ، بيروت .

(٢) انظر بحث المستشرق Sidney Adams Weston في Journal of the American oriental Society, vol 24, Part 2, 1953.

(٣) الدكتور محمد أسد : الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي ص ٢٠ ج ٥ ط الكاثوليكية بيروت ١٩٣٣ م .

الله بن ملكا ، صاحب : (المعتبر في الحكمة) ، وقد يظن كذلك أن زمالته ومعاصرته لموفق الدين البغدادي - في طلب العلم - وأن هذا الأخير قد كتب رسالة في الرد على اليهود (١) - جعلته يتأثر بهذا المناخ الجدلي الفكري !! .

أقول : إن ذلك ليس ببعيد !! .

لكن ينبغي أن لانسى أن السموأل نفسه قد أخبرنا أنه انتقل من اليهودية إلى الإسلام ، بعد أن نظر وفكر وتدبر ، وأيقن بالبرهان القاطع بطلان ما عليه اليهود ، بل إنه يصّر على ذلك ، لدرجة أنه لم يذغ مناميه اللذين رأى فيهما شمواثيل النبي ، والمصطفى ﷺ ، إلا بعد أربع سنوات من إعلان إسلامه ، حتى لا يظن أنه قد ترك دينه لأضغاث أحلام وهواجس غامضة !! .

وإنه في سيرته الذاتية التي كتبها بقلمه ، قد كفانا مؤونة الافتراض والتخمين والاستنتاج ، ولم تكن الرؤيا هي التي حملته على الانتقال إلى الإسلام ، فهي كانت رادعة له وزاجرة عن التماهى في عدم إعلان أو إشهار ما آمن به ، وأيقن بصحته ... فهو قد آمن بالإسلام بعد نظر وتمعن ومقارنة بين الأديان وعقائدهم وحججها .

٦ - مولده ووفاته

ذكر لنا السموأل - في سيرته الذاتية التي أسماها : « إسلام السموأل وقصة رؤياه المصطفى ﷺ » - كثيرا من التفاصيل الدقيقة عن حياته ، وأساتذته ، وثقافته ، ونشأته ، وأسرته ، ... وغير ذلك ، لكنه لم يتعرض قط لتاريخ ميلاده .

(١) انظر ترجمته في (فوات الوفيات) ج ٢ ص ٣٨٤ بتحقيق د. إحسان عباس ، ويبدو أن حجاب المعاصرة لم يدفع موفق الدين إلى الانتقاص من شأن السموأل ، فهو قد أشاد به وامتدحه كما ذكر آنفاً .

كما أن الذين ترجموا له لم يذكروا شيئاً عن تاريخ مولده .

وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ وفاته ، فإنهم لم يذكروه على وجه التحديد ، اللهم إلا القفطى فإنه ذكر أنه توفي قريباً من سنة ٥٧٠ هـ .

ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه ألف كتابه « إعجاز المهندسين » سنة ٥٧٠ هـ .

بيد أن السموأل نفسه قد ذكر لنا تواريخ إنجاز بعض كتبه التى ألفها وكان آخرها هو سنة ٥٥٨ هـ .

كما أن ناسخ مخطوطة (إفحام اليهود) قد ذكر أنه نقلها عن نسخة بخط السموأل ، كتبها المؤلف سنة ٥٦٥ هـ .

والسموأل نفسه يذكر أنه لم يظهر قصة إسلامه ورؤياه المصطفى ﷺ ، إلا بعد أربع سنوات من إشهاره إسلامه ، وتصنيفه كتابه فى إفحام اليهود ، أى أن ذلك كان فى ٥٦٢ هـ تقريباً .

ومهما يكن من أمر ، فإن بعض من ترجم له ، ذكر أنه توفي شاباً ، وهذا يعنى أنه توفي فى القرن السادس الهجرى يقيناً ، أى أنه - رحمه الله - من علماء هذا القرن ، وكان حياً فى سنة ٥٦٢ هـ قطعاً ، وقد عاش بعد ذلك ولعله قد عاش إلى سنة ٥٧٠ هـ كما ذكر القفطى ، وقد ألف فى غضون هذه السنة كتابه الموسوم بـ « إعجاز المهندسين » كما ذكر ابن أبى أصيبعة .

٧ - أهمية كتاب : إفحام اليهود

يُعد هذا المؤلف - على صغر حجمه النسبى - ذا أهمية علمية وتاريخية عظيمة نلمس ذلك إذا ما استصحبنا الاعتبارات التالية :

(أ) أن الكتاب فكر موضوعى واقعى فى مخاطبة اليهود ، وهو ليس

امتداداً لما كتبه الأئمة السابقون عليه ؛ كابن حزم الأندلسي^(١) واجويني^(٢) وغيرهما . والسؤال ، وإن كان يثنى على جهودهم ، ويدعو لهم بالشواب المضاعف فإنه يأخذ عليهم ، أن مناظرتهم لليهود ، لم تكن باللغة التي يفهمونها ، وأنها كانت تدور حول مسائل لا يلتزمون بها ، ومن ثم فهي قليلة الجدوى .

يقول :

« والغرض من إنشاء هذه الكلمة (يقصد كتاب إفحام اليهود) الردُّ على أهل اللجاج والعناد ، وأن تظهر ما يعتور كلمتهم (ملتهم) من الفساد على أن الأئمة - ضوعف ثوابهم - قد انتدبوا - قبلي - لذلك ؛ إلا أن أكثر ما نوظروا به (يعنى اليهود) يكادون لا يفهمونه !! أو لا يلتزمون به !! وقد جعل (الله) إلى إفحامهم طريقاً مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم ، وأعمامهم الله عنه ، عند تبديلهم ليكون حجةً عليهم ، موجودة في أيديهم . »

والكتاب - كما رأينا - نسيج وحده ، فهو لم يتأثر فيه بمن سبقه أو عاصره في منهجه أو مضمونه .

- وهو - فوق ذلك - وثيقة هامة ؛ لأنه أطلع علماء المسلمين على أسرار يهودية ، يحرص أصحابها ، غاية الحرص - على تكميها وعدم إذاعتها ، كما نشر الكتاب ، في البيئة الثقافية الإسلامية تفصيلات دقيقة عن اليهود لم تكن معروفة من قبل ، ولم يكن هنالك من سبيل للاطلاع عليها من مصدر موثوق به ، لولا أن قبَّض الله السَّمَوَّال لذلك .

وآية ذلك ، أن علماء المسلمين قد تلقوا هذا الكتاب بالقبول واستفادوا منه فائدة عظيمة ، في جدالهم اليهود .

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، الجزء الخاص بالرد على اليهود والنصارى ، نشرة دار الندوة الجديدة بيروت .

(٢) شفاء الغليل ، نشرة أحمد السقا ، القاهرة ١٩٨٠ م .

فلقد أفاد منه ، أو استحسنه ، أو نقل عنه أئمة كبار مثل (القرافى :
أحمد بن إدريس الصنهاجى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ) و (ابن القيم : محمد بن
أبى بكر المتوفى سنة ٧٥١ هـ) ، وغيرهم رحمهم الله جميعاً .

ولقد بلغ من احتفاء عالم كابن القيم ، بالمعلومات الدقيقة التى أوردها
السموأل ، أن اعتمد عليها وجعلها العمدة والأساس فى كتابه : (هداية الحيارى
فى أجوبة اليهود والنصارى) ، فلقد ضمن ابن القيم كتابه هذا فصولاً بأكملها من
كتاب (إفحام اليهود) بحروفها وألفاظها .

كما أنه ضمن كتابه : « إغاثة اللفهان »^(١) كتابات سموأل بنصها ، فى
فصول مطولة ، واعتمد عليها اعتماداً كلياً وليس ذلك فحسب لكنه عندما تحدث
عن أحكام اليهود فى كتابه : « أحكام أهل الذمة »^(٢) أخذ عن كتاب سموأل
نصاً وروحاً ، وبذلك كان سموأل مصدراً علمياً مهماً لابن القيم ، ولم أر من
الدارسين لابن القيم - على كثرتهم - من وضعه بين شيوخه الذين نهل من
تراثهم ، وهى نقطة جديرة بالبحث ، خصوصاً وأن ابن القيم - رحمه الله - لم
ينسب كلام سموأل إلى صاحبه صراحة !! بل سكت عن ذلك فى كل
المواضع !! .

بقى أن أقول :

أن ابن تيمية - رحمه الله - قد استفاد - بشكل غير مباشر - فى كتابه :
« الجواب الصحيح » من فكر سموأل ، ولقد سبقه فى ذلك الإمام القرافى فى
كتابته : « الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة فى الرد على اليهود

(١) بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى ، ج ٢ ص ٣٥٨ وما بعدها إلى فصول
متعددة نشرة دار المعرفة ، بيروت .

(٢) بتحقيق د. صبحى الصالح ص ٢٦٧ - ٢٦٩ ج ١ ، ط ١ بيروت .

والنصارى « فهو يسرد عنه بتصرف في عبارته حيناً وبألفاظه أحياناً » .

ويمكن القول بأن ابن القيم قد نشر كتاب (إفحام اليهود) في كتبه ، نشرأ يكاد يكون تاماً أكثر من مرة ، وهو بذلك قد أفاد المسلمين بلاريب ، وأما عدم الإشارة إلى السموأل أو غيره ، ربما كانت طريقة في التأليف والتصنيف آنذاك !! .

وبذلك يمكن القطع بأن كتاب : « إفحام اليهود » قد أثر تأثيراً إيجابياً عميقاً فيمن كتب في مجال مقارنة الأديان عموماً ، وفي جدل اليهود خصوصاً . ولقد عرض السموأل فيه لقضايا أساسية رئيسية مثل « النسخ » ونبوة محمد وموسى والمسيح عليهم الصلاة والسلام ، وفرق اليهود ، وتحريفهم ، وتدوين التوراة ووضع شروحهم عليها ، كما عرض لقضايا فرعية أو جزئية ؛ لكنه قد وظفها بمهارة عجيبة في جدال خصمه من ناحية ، وفي تجلية قضاياها الرئيسة وكشفها من ناحية أخرى .

ولقد أظهر السموأل قدرة جدلية فائقة ، تميزت عن جدل المتكلمين التقليديين بإلزامها الخصم وقطعه ، وإقناع القارئ في نفس الوقت بما أحب أن يقنعه به ؛ فهو جدال علمي رصين ، غير جاف أو مستكره .

ولسنا نرى إنقال كاهل هذه المقدمة بسوق نماذج من قضايا الكتاب ومعالجة السموأل لها ، لأن القارئ سيطالع ذلك بنفسه ، فلا حاجة للتكرار والإعادة

وقد نص السموأل على أنه أسمى كتابه : « إفحام اليهود » ، وذلك في مخطوطة (إسلام السموأل) ، وهناك بعض مخطوطات الكتاب تعنون له :

(١) انظر للقارئ : الأجوبة الفاخرة في الرد عن الأسئلة الفاجرة ، مخطوط رقم ١٧٧٢ أحمد الثالث بتركيا ورقة رقم (٥٤ ب) وما بعدها ، والورقة رقم (٢٧ ب) وما بعدها من نسخة مخطوطة أخرى رقم 4832 R.506 مكتبة طويق سراى .

« بذل المجهود في إفحام اليهود »^(١) ، وتاريخ تأليف الكتاب سنة ٥٦٨ هـ طبقاً لما ذكره المؤلف ولما ذكره ناسخ المخطوطة التي بين أيدينا ، إلا أن المؤلف قد أبعاد فيه النظر ، ونقحه وزاد عليه فصلاً فيما بعد ، كما قد أشار إلى ذلك بنفسه .

٨ - توثيق نسبة النص

لسائل أن يسأل : هل ألف السموأل - كتاب « إفحام اليهود » ؟ وقبل الإجابة على ذلك نسوق مايلي :

- لقد أشار السموأل إليه في كتابه : « قصة إسلام السموأل » ، وذكر أنه ألف كتاباً في إفحام اليهود ، غداة أن أعلن إسلامه ، بمراغة في آذربيجان سنة ٥٦٨ هـ .

- وكذلك فإن من ترجموا له ، ومنهم معاصرون له ، قد أجمعوا على أنه كتب كتاباً في « الرد على اليهود » بعد أن أعلن إسلامه .

- كما أن ناسخ بعض مخطوطات الكتاب يذكرون أنهم نقلوها عن نسخة كتبها المؤلف بخط يده سنة ٥٦٨ هـ .

- وأشار ابن القيم - رحمه الله - مرة واحدة : بأن بعض كبرائهم قد ذكر بعد إسلامه - كذا وكذا - وفي هذا إشارة قوية إلى السموأل ، برغم أنه لم يذكر اسمه صراحة .

ولقد ذكره الكاتب اليهودي : « سعد بن منصور بن كموه »^(٢) المتوفى

(١) مثلاً النسخة المحفوظة في الظاهرية بدمشق رقم ٥١١١ ، وهي ناقصة ، ولها مصورة في قسم المخطوطات بجامعة الإمام بالرياض ، ميكروفيلم رقم (١١٩٠) .

(٢) انظر ترجمته في : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، لابن الغوطي ، نشرة د. مصطفى جواد ، بغداد ١٩٣٢ ص ٤٤١ - ٤٤٢ ، وكذلك كتاب

سنة ٦٨٣ هـ ، في كتابه المعروف بـ « تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث »^(١) وقد أفرد هذا المؤلف اليهودى عدة صفحات ، في مواضع متفرقة لنقض كتاب السمؤال والرد عليه ، يقول مثلاً في ص ٢٨ :

« فإن صاحب كتاب إفحام اليهود » قال في كتابه المذكور ماحكايته ... إلخ .

ويذكر ابن كمونه في موضع آخر :

« واستدل صاحب كتاب الإفحام » الذى كان يهودياً ، فعاند اليهود وأسلم إلخ .. ص ٩٥ من نشرة M.PERLMAN وينقل عنه عدة نصوص ، في عدة مواضع انظر ص ٩٥ ، ٩٦ وغيرهما .

وقد ذكر حاجى خليفة في كشف الظنون « إفحام اليهود » ونسبه إلى السمؤال ، وكذلك فعل إسماعيل البغدادى في هدية العارفين .

- كما أن المجمع الأمريكى للبحوث اليهودية بنيويورك ، في نشرته للكتاب التى أعدها المستشرق اليهودى : موسى برلمان ، لم يقدح في نسبة الكتاب إلى مؤلفه ولا أظن أنهم ، لو وجدوا مطعناً في ذلك كانوا يقصرون عن إذاعته وإشهاره !! .

كل ذلك يجعلنا نحيب على السؤال المطروح : بالإيجاب القطعى .

« تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب » لابن الغوطى الجزء الرابع ، القسم الأول ص ١٥٩ - ١٦١ نشرة مصطفى جواد ، دمشق ١٩٦٢ م .
(١) نشرة المستشرق اليهودى (Mashe Perlman) سنة ١٩٦٧ م في لندن وكاليفورنيا ، وقد صوّرت هذه الطبعة - دار الأنصار بالقاهرة ونشرتها .

٩ - خطة تحقيق النص

لم ينشر هذا الكتاب نشرة محققة تحقيقاً علمياً من قبل ، وإن كان المستشرق اليهودى (موسى برلمان) قد عنى بنشره وترجمته إلى الانجليزية ، وطبع فى الجمع الأمريكى للبحوث اليهودية سنة ١٩٦٤ .

وهى نشرة غير محققة تحقيقاً علمياً ملتزماً بالأصول المنهجية المعتبرة فى تحقيق النصوص وفى الحقيقة إن موسى برلمان لم يزعم لنفسه ذلك ، فهو قد كتب على الغلاف عبارة : عنى بنشره وترجمته فحسب .

وهذا حق ومع أنه قد قابل - لفظياً - بين عدة نسخ لمخطوطات الكتاب ، فهو لم يفقه النص العربى فقهاً جيداً ، ومن ثم جاءت نسخته ملأى بالأخطاء اللغوية ، كما أنها لم تسلم من التغير والسقط والنقص !! .

ولم يذل الناشر المترجم أى جهد علمى فى التعريف بالمؤلف ولا بالأعلام ولا بالأفكار الواردة فى الكتاب ولم يعزُ النصوص ، هذا فضلاً عن أن نشرته تعد نادرة جداً ، فلا تكاد تعثر على نسخة منها وإن حاولت ذلك !! .

وهو لم يهتم بمخطوطة : إسلام السموأل ورؤياه النبى ﷺ ، فوضعها فى ذيل الكتاب ، وكان الأجدى والأجدر أن يضعها فى مفتاح الكتاب لأنها (سيرته الذاتية) ، ومكان - هذه الأخيرة - صدر الكتاب وبين يديه .

وقد اعتمدنا فى تحقيقنا على مخطوطة طوب فالى سراى بتركيا ، وهى المرقمة برقم 4832 R506 ومنها مصورة فى جامعة الإمام محمد بن سعود برقم ٤٥٤ وهى نسخة كاملة ، منسوخة عن مخطوطة بخط المؤلف ، وقد نسخت فى ١٧ صفر سنة ١١١٥ هـ ، وهى تقع ضمن مجموع يحتوى على بعض الكتب الأخرى .

وخطها نسخى دقيق جداً ، ... وتبلغ مسطرتها تسعة وعشرين سطراً ، اتخذنا هذه النسخة أصلاً ، ورمزنا لها : ب - (الأصل) .

وقابلناها مقابلة دقيقة بنسخة (موسى برلمان) ورمزنا إلى هذه الأخيرة بالرمز : (م) ، ثم قابلنا هاتين النسختين بنسخة المكتبة الظاهرية رقم (٥١١١) وهى نسخة مخرومة فى أولها وآخرها ، ورمزنا لها بالحرف : (ظ) .

ونظراً للأهمية العلمية للكتاب ، فإننا علّقنا عليه فى الحواشى ، بشىء من التوسع والتفصيل ؛ حتى أن هذه الحواشى تمثل دراسة وجيزة لأهم أفكار الكتاب ؛ آثرنا تعليقها فى الهامش تمييزاً للفائدة وتعميقاً .

وهناك « سؤال وجوابه » ، لم يذكر فى المخطوطتين اللتين معنا ، لكن « برلمان » أثبتهما ، ورأينا من الفائدة ذكرهما فى آخر الكتاب .

وكنّت أود أن أكتب النصوص العبرية التى وردت فى متن الكتاب ، فى الحواشى ، بحروف عبرية ، لكن عرفت أن أكثر المطابع العبرية لا تحتوى على حروف عبرية ، فتراجعت ، واكتفيت بإثباتها فى الصلب بحروفها العبرية مثلما كتبها المؤلف نفسه ، مع إثبات ملحق بهذه النصوص - بحروف عبرية - فى آخر الكتاب ، مرتبة حسب ورودها .

ومن أجل الأهمية العظيمة لهذا النص ، ومن أجل التعريف بالمؤلف العلامة : السموأل بن يحيى المغربى (الحبر شموايل بن يهوذا) الذى لم يعرف - كما يجب - بين علماء الجدل الدينى ومقارنة الأديان وإن كان قد تبوّأ مكانة مرموقة بين الأطباء والرياضيين ، من أجل ذلك قصدت إلى تحقيق هذا الكتاب ، والتعليق عليه ، راجياً أن أكون قد قدمت للمكتبة الإسلامية عملاً مفيداً .

والله أسأل أن يتقبل عملى هذا ، خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ويجعله فى ميزان حسناتى ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه .

المحقق

2/19/2

اسلام السموات كجبال الخضر

واقعة من رواية المولى محمد السليم

في ليلة عرفة من سنة ١٢٠٥

سنة ١٢٠٥

عن والده

الشيخ محمد

الشيخ محمد

الشيخ محمد

الشيخ محمد

الشيخ محمد

الشيخ محمد

الشيخ محمد



ساجد و سحر منظر الحرام من
 سيد حسن علي و ساجد
 بعد الاغتسال من
 النبوة طه
 شافق الملا
 شوا و
 و
 ١١

A photograph of a rectangular stone tablet, likely a tombstone or commemorative plaque, featuring several lines of handwritten Arabic calligraphy. The text is arranged in approximately five horizontal rows across the surface of the stone.

صورة الصنعة الأخيرة من مخطوطة اسم السؤال

الكتاب الأول

إِسْلَامُ السَّمَوَالِ بْنِ يَحْيَى الْمَغْرِبِيِّ

واقْتِصَاصُ رُؤْيَاهُ^(١) النَّبِيِّ ﷺ ،
فِي لَيْلَةِ عَرَفَةَ ، سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ^(٢)

بتحقيق

الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى

(أ) فِي نَسْخَةٍ ، م ، رُؤْيَاهُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : عُلِقَ بِهَا بِيَدِهِ الْفَانِيَّةُ ، الشَّرِيفُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ الشَّرِيفِ حَسَنِ الشَّاذَلِيِّ

الْبُسَيُونِيُّ الْحَسَنِيُّ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ .

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنِّ يَا اللَّهُ^(أ)

قال السَّمَوَال .

بعد حمد الله والصلاة على نبيه ، محمد المصطفى ، وعلى آله
إِنَّ العناية الإلهية لَتَسُوِّقَهُ من تَسِيْقٍ - في علم الله - هدايته حتى يُوجَدَ منه
الاهتداء ، في الوقت الذي سبق في علم الله تعالى^(ب) وجوده منه فيه^(ج) .

وأنا أذكر سبب^(د) ما وفقني الله له من الهداية ، وكيف انساقْتُ بي
الحال ، منذ سَأَتُ ، إلى انتقالِي عن مذهب اليهود ، ليكون عِبْرَةً وموعظةً
لمن يقعُ إليه .

وليعلم مُتأملُه ، أَنَّ اللَّطْفَ الإلهي ، أَخْفَى من أن يُحَاطَ بِكُنْهه فَإِنَّ الله
يُخْصُّ بِفضله من يشاء ، ويُوْقِي الحكمة من يشاء ، ويَهْدِيه صراطاً مستقيماً .
وذلك أن أُنَى كان يقال له : « الرَّآبُ يهوذا بن آبون » ، من مدينة
(فاس) التي بأقصى المغرب .

(أ) سقطت هذه العبارة من ، م .

(ب) تسقط نسخة م ، وصف (تعالى) بعد لفظ الجلالة (الله) في جميع المواضع

التي ذكر فيها هذا الاسم العظيم .

(ج) في الأصل : منه ، وسقطت من : م .

(د) سقطت كلمة سبب من : م .

والرَّاب : لقبٌ ، وليس باسم ، وتفسيره : الجِبر^(١) ، وكان أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة ؛ وأقدرهم على التوسع في الإنشاء والإعجاز والارتجال ، لمنظوم العبراني ومنثوره .

وكان اسمه المدعو به ، بين أهل العربية : (أبا البقاء يحيى بن عباس المغربي) ، وذلك أن أكثر متخصصيهم ، يكون له اسم عرلى ، غير اسمه العبرى ، أو مشتق منه ، كما جعلت العرب ، الاسم غير الكنية .

وكان اتصاله بأُمى ، (ببغداد) ، وأصلها من (البصرة) ، وهى إحدى الأخوات الثلاث المنجيات فى علوم التوراة والكتابة بالقلم العبرى ، وهن بنات (إسحاق بن إبراهيم البصرى اللبوى) ، أعنى من سببط لبوى ، وهو سبط مضبوط النسب ، لأنّ منه كان موسى عليه السلام .

وكان إسحاق هذا^٥ ذا علوم يُدرّسها ببغداد ، وكانت أمّه (نفيسة بنت أبى نصر الداوودى ، [وهذا]^{٥٥} من رؤسائهم المشاهير ، وذريته إلى الآن بمصر .

وكان اسم أمّى ، باسم أم شموايل^(٢) النبى ، عليه السلام ، وكان هذا

(١) الجبر ، والحير ، بالكسر والفتح ، العالم ذمياً كان أو مسلماً ، وسأل عبد الله بن سلام ، كعباً عن الجبر ، فقال : هو الرجل الصالح ، وجمعه أحبار وحبور ، واختلف فقهاء اللغة فى الضبط الأصوب لحاء حير ، بين الفتح والكسر . وكان يقال لابن عباس ، رضى الله عنهما ، الحَير والبحر ، لعلمه . انظر : « لسان العرب لابن منظور - دار اللسان بيروت » .

• فى الأصل : وكان هذا إسحاق ذا علوم ، وأرى أن الأصوب هو ما أثبتناه : وكان إسحاق هذا ويتكرر ذلك فى مواضع عديدة من الكتاب .

• فى نسخة أشار إليها (برلمان) : « المصرى » .

• ما بين المعقوفين زيادة من المحقق ، لتستقيم العبارة .

(٢) شموايل : من أنبياء بنى إسرائيل ، كما تذكر أسفار العهد القديم ، ويُنسب إليه

سفران ، من أسفار التوراة التى بيد اليهود اليوم .

النبي قد ولد بعد أن مكثت أمه عاقراً ، لاترزق ولداً ، ولاتحمل ، عدة سنين ، حتى دَعَتْ رَبَّهَا في طلب ولد ، يكون ناسكا لله ، ودعاها رجل صباح من الأئمة ، يقال له : (عَمِلِي) .

فُرِزَتْ شموايل النبي ، وذلك كله مشروح في أوائل سفر شموايل النبي .
فمكثت أمي - عند أبي - مدة لاترزق ولداً^(١) ، حتى استشعرت العقم ، فرأت في منامها أنها تلو مناجاة (حَنَّة) أم شموايل لربها ، فَتَذَرْتُ أَنَّهَا إِن رَزَقَتْ ولداً ذكراً ، تسميه شموايل ، لأن اسمها كان باسم أم شموايل .

فاتفق أنها بعد ذلك اشتملت عليّ ، وحين رُزِقْتَنِي ، دعتنى : شموايل ، وهو إذا عرب : السموأل ، وكنائى أبى : أبا نصر ، وهى كنية جدى . وشغلنى أبى بالكتابة بالقلم العبرى ، ثم بعلوم التوراة وتفسيرها ، حتى أحكمت علم ذلك ، عند كمال السنة الثالثة عشرة من مولدى .

= وترجمت البروتستانت - فى نشرتها للكتاب المقدس سنة ١٩٧٠ م - شموايل إلى صَمُوئِيل ، ويذكر السِّمُوأل أن شموايل حين تترجم إلى العربية تصبح : السِّمُوأل ، وهو - عندى - أوثق ؛ تمكته من اللسانين .

وقِصَّةُ حمل أمه به مذكورة - بتوسع - فى الإصحاحات الأولى من سفر صَمُوئِيل الأول . انظر : ص ٤٢٦ - ص ٥٢٧ من الكتاب المقدس ، (الترجمة العربية) نشرة البروتستانت بالقاهرة .

جاء فى الإصحاح الثالث : ١٩ - ٢٠

« وكبر صموئيل ، وكان معه الرب ، ولم يدع شيئاً من جميع كلامه يسقط إلى الأرض ، وعرف جميع إسرائيل ؛ مِنْ دَانَ إِلَى بَثْ سِيع ، أَنَّهُ قَدْ أَوْثَقَنَ صَمُوئِيلُ نَبِيًّا لِلرب » . جاء فى الإصحاح الرابع : ١

« وكان كلام صموئيل إلى جميع إسرائيل » .

(٢) هذه الكلمة سقطت من : م .

فشغلني ، حيثُذ ، بتعلُّم^(١) الحساب الهندي^(٢) وحل « الزيجات »^(٣) ،
عند الشيخ الأستاذ أبي الحسن بن الدسكري^٥ ، وقراءة علم الطب على
الفيلسوف أبي البركات هبة الله بن علي^(٣) ، والتأمل في علاج الأمراض ،
ومشاهدة مايتفق من الأعمال الصناعية في الطب ، والمعالجات التي يعالجها خالي
أبو الفتح بن البصري^٦ .

فأما الحساب الهندي و « الزيج » فإني أحكمت علمهما في أقل من سنة
وذلك حين كمل لي أربع عشرة سنة ، وأنا في خلال ذلك لا أقطع القراءة في
الطب ، ومشاهدة علاج الأمراض .

ثم قرأت « الحساب الديواني » وعلم « المساحة » على الشيخ أبي المظفر
الشهرزوري^٧ ، وقرأت « الجبر والمقابلة » - أيضا - عليه^(ب) .

وترددت إلى الأستاذ أبي الحسن بن الدسكري^٥ ، وأبي الحسن بن

(أ) في : م : بتعليم ، وهو خطأ

(١) استعمل المنود النظام العشري في الحساب والترقيم ، وهو يقوم على أساس القيم
الموضوعية (أو الخانات كما نسميها اليوم) ، فالرقم (٢) مثلا في خانة الآحاد يساوي (٢) ،
وفي خانة العشرات يساوي (٢٠) ، وفي خانة المئات يساوي (٢٠٠) ، وفي خانة الألوف ،
يساوي (٢٠٠٠) وهكذا ، وهو أيسر وأكمل من النظام الستيني ، الذي كان يستخدمه
البابليون والآشوريون . (انظر : د . جمال الدين الفندي في : الله والكون ص ١٠٣) .

وجاء الرياضيون المسلمون ، وبتأثير مباشر من القرآن الكريم - عمقوا وهذبوا
الحساب الهندي ، وأدخل جَمَشِيد : غياث الدين بن محمود الكاشي ، العلامة العشرية ،
وأدخل الصُّفَر ، ويعتبره كثير من الباحثين مؤسس علم الحساب الحديث .

(٢) الزيج أو الزيجات : هي الجداول الفلكية ، ومن أشهر من آلف فيها : ابن
الشاطر ، وأبو حنيفة الدينوري ، وأبو معشر البلخي ، ومحمد الطوسي ، وابن يونس .

(٣) أُوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي ، كان يهودياً وأسلم ،

وكان من المتميزين في صناعة الطب والفلسفة ، قد عمى في آخر عمره ، وأملى كتابه
(المعتبر) على ابن النقاش ، ويوسف موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، وعلى بن الدهقان =

النقاش^(١) ، لقراءة « الهندسة » ، حتى حلت المقالات التي كانا يحلانها من (إقليدس)^(٢) ، وأنا - في خلال ذلك - متشاغل بالطب ، حتى استوعبت ما عند من ذكرته - من الاستاذين - من هذه العلوم .

وبقى بعض كتاب إقليدس ، وكتاب « الواسطي » في الحساب وكتاب « البديع » في الجبر والمقابلة ، للكرخي^(٣) ، لا أجد من يعرف منه شيئا ، وغير

= المنجم . (انظر : عيون الأنباء ص ٣٧٤ - ٣٧٦ ، وانظر : رسالة الدكتور أحمد محمد الطيب عن ابن ملكا وفلسفته في كلية أصول الدين بالقاهرة) وتوفى ابن ملكا سنة ٥٤٧ هـ .

★ انظر نبذاً عن هؤلاء الرجال في :

- مآثر العرب في الرياضيات والفلك : منصور يوحنا جرداق ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٧ م

- تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك قدرى حافظ طوقان ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

- تاريخ علم الحساب العربى ، لأحمد سليم سعيدان ، عمان ١٩٧١ م .

- مقدمة في تاريخ الطب العربى ، د. التجانى الماحى ، القاهرة ١٩٥٩ م .

- والمنجد في اللغة والأعلام ، بيروت ١٩٨٤ م . والأعلام لخير الدين الزركلى ، طبعة دار العلم للملايين .

(ب) في : م : زيادة « وعلى الكاتب ابن أبى تراب » ، وهى ساقطة من : الأصل .

(١) الإمام العالم أبو الحسن على بن أبى عبدالله عيسى هبة الله ابن النقاش ، مولده ومنشأه ببغداد ، اشتغل بصناعة الطب ، وكان يعرف الفارسية ، توفى ٥٤٤ هـ (عيون الأنباء ص ٦٣٠ - ٦٣٦) ، (فوات الوفيات ج ٣ ص ٣٦٦) .

(٢) من أعظم الرياضيين والمهندسين اليونان (ت ٢٨٣ ق.م) وكتابه : (الأصول) من أعظم المنجزات العلمية - فى حينه - ترجمة إسحاق بن حنين ، وللرياضيين المسلمين عليه شروح وتعليقات ، وانتقادات ، ومن اشتغل به : الكندى الفيلسوف ، وأولاد موسى بن شاكر ، وابن الهيثم .

(٣) الكرخى : محمد بن الحسن الحاسب (٤٢٠ هـ) وهو من نوابغ علماء الرياضيات المسلمين ، انظر الأعلام ، انظر : للدكتور يوسف السويدى : الإسلام والعلم

ذلك من العلوم الرياضية ، مثل كتاب شجاع بن أسلم^(١) ، في الجبر والمقابلة ، وغيره .

وكان لي من الشغف بهذه العلوم ، والعشق لها ، ما يلهيني عن المطعم والمشرب ، إذا فكّرت في بعضها .

فخلوتُ بنفسى ، في بيتٍ مدةً ، وحلّلتُ جميع تلك الكتب وشرحتها ، ورددت على من أخطأ من واضعيها ، وأظهرت أغلاط مصنفها ، وعزّمت على ما عجزوا عن تصحيحه وتحقيقه ، وأزريث^(٢) على (إقليدس) في ترتيب أشكال كتابه ، بحيث أمكنتني ، إذا غيّرت نظام أشكاله ، أن استغنى عن عدة منها ، لا يبقى إليها حاجة .

بعد أن كان كتاب (إقليدس) معجزاً لسائر المهندسين ، إذ لم يحدّثوا أنفسهم بتغيير نظام أشكاله ، ولا بالاستغناء عن بعضها ، كل ذلك في هذه السنّة ، أعني الثامنة عشرة من مولدى .

وأصلّت تصانيفى ، في هذه العلوم ، منذ تلك السنة وإلى الآن وفتح الله على كثيرٍ مما ارتجّ^(٣) على من سبقنى من الحكماء المبرزين فدوّنت ذلك ، لينتفع به من يقع إليه .

= التجريبي ، مكتبة الفلاح ١٤٠٠ هـ ص ١٤٩ / ١٥٠ ، والمنجد ص ٥٨٦ .
(١) توفى نحو ٣٤٠ هـ ، وهو عالم بالحساب ، ومهندس مصرى ، من كتبه : « المساحة والهندسة » و « الجبر والمقابلة » و « طرائف الحساب » انظر : الفهرست لابن نديم : الفن الثانى ، المقالة السابعة ، (وهدية العارفين) لإسماعيل باشا البغدادى ج ١ ص ٤١٥ ، ولسان الميزان لابن حجر (ج ٣ / ١٣٩ ، والإسلام والعلم التجريبي ، ص ١٥٥ .

(٢) فى لسان العرب لابن منظور : أزريت عليه قليلة . وأزرى به إزراءً : قصر به وحقّره وهوّنه ، وهذا منقول عن ابن سيده ، والزّارى على الإنسان : الذى لا يعّده شيئاً ، وينكر عليه فعله .

(٣) فى اللسان : ارتجّ البحر وغيره ، اضطرب ، وفى الحديث : من ركب البحر =

وفي خلال ذلك ليس نى مكسبٌ إلا بصناعة الطب ، وكان لى منها أوفر حظ ، إذ أعطانى الله من التأيد فيها ما عرفت به كل مرض يقبل العلاج من الأمراض التى لا علاج لها^(٢) ، فما عاجلت مريضاً إلا وعوفى ، وما كرهت علاج مريض ، إلا وعجز عن علاجه سائر الأطباء ، [وكفوا]^(٣) عن تدييره ، فالحمد لله على جزيل نعمته وعظيم فضله .

واتضح لى - بعد مطالعة ما طالعته من الكتب التى بالعراق والشام وآذربيجان^(٤) وكوهستان^(٥) - الطريق إلى استخراج علوم كثيرة ، واختراع أدوية لم أعرف أنى سُبقت إليها ، مثل الدرياق الذى وسمته بالمخلص ذى القوة النافذة ، وهو يُبرئ من عدّة أمراض عسيرة فى بعض يوم ، وغيره من الأدوية التى ركبها ، ممّا فيه منافع وشفاء للناس ، بإذن الله تعالى .

وقد كنت قبل اشتغالى بهذه العلوم - وذلك فى السنة الثانية عشرة ، والثالثة عشرة - مشغولاً بالأخبار والحكايات ، شديد الحرص على الاطلاع على ما كان فى الزمان القديم ، والمعرفة بما جرى فى القرون الخالية ، فاطلعت على التصانيف المؤلفة فى الحكايات والنوادر ، على اختلاف فنونها ثم انتقلت من ذلك إلى محبة الأسفار والخرافات الطوال ، ثم إلى الدواوين الكبار ؛ مثل ديوان أخبار عنتر ، وديوان ذى الهمة ، والبطال ، وأخبار الإسكندر ذى القرنين ، وأخبار

= حين يرتج ، فقد برئت منه الذمة ، يعنى إذا اضطربت أمواجه .

وروى : ارتج من الارتاج : أى الإغلاق .

(١) أى التى لا علاج معروف لها .

(٢) فى الأصل ، وفى م : كاعوا ، وهو لا معنى له .

(٣) فى بلاد فارس (شمال غرب إيران الحالية ، وعاصمة هذا الإقليم (تبريز) وهى التى قصدتها السموأل ، وهناك أذربيجان التى سيطر عليها الاتحاد السوفيتى وعاصمتها : باكو .

(٤) ولاية فى إيران الحالية تقع فى مقاطعة كرمان ، وما يقصده المؤلف مدينة تقع فى كرمان الفارسية .

العنقاء ، وأخبار الطرف بن لوزان^(١) ، وغير ذلك .

ثم إنني لما طالعت ذلك ، اتضح لي أن أكثره من تأليف المؤرخين ، فطلبت الأخبار الصحيحة ، فمالت همتي إلى التواريخ ، فقرأت كتاب : أبي علي بن مسكويه^(٢) الذي سَمَّاه « تجارب الأمم » ، وطالعت تاريخ الطبري^(٣) ، وغيرهما من التواريخ فكانت تمر بي - في هذه التواريخ - أخبار النبي ﷺ وغزواته ، وما أظهر الله له من المعجزات ، وما خصه به من الكرامات^(٤) ، وحباه به من النصر والتأييد في غزوة بدر^(٥) ، وغزوة خيبر^(٥) ، وغيرهما ، وقصة منشئه في اليتيم .

(١) هذه بعض الدواوين المنسوجة حول هذه الشخصيات ، التي بعضها أسطوري خرافي ، وبعضها واقعي تاريخي ؛ إلا أن ما نسب إليها - في هذه الدواوين - عبارة عن أسفار وخرافات وأساطير ، انظر الفهرست لابن النديم ، ص ٤٢٢/٤٢٥ طبعة دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٢) فاضل في العلوم الحكيمة ، متميز فيها ، خبير بصناعة الطب ، جيد في أصولها وفروعها ، وله من الكتب : كتاب الأشربة ، وكتاب تهذيب الأخلاق ، وكتاب تجارب الأمم ، انظر في ترجمته : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة ، ص ٣٣١ .
(٣) (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، شيخ المفسرين والمؤرخين ، وقد نشر الكتاب بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم ، ونشر بدار المعارف بمصر سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٣ م .

(أ) في : م : الكرامة بالافراد .

(٤) غزوة بدر ، هي أكرم المشاهد ، وهو يوم الفرقان ، الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله . ودفع فيه الشرك وأهله ، هذا مع قلة عدد المسلمين ، وكثرة العدو .

وكانت في الثاني عشر من رمضان ، على رأس تسعة عشر شهراً خلون للهجرة المباركة ، ولم يُعد لها المسلمون ، قال تعالى : ﴿ ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ﴾ .

(٥) غزوة خيبر : تقع خيبر شمال (المدينة المنورة) وكان يسكنها اليهود في حصون منيعة ، زمانها : قال ابن إسحاق : خرج ﷺ في بقية المحرم سنة سبع ، وقال مالك وجزم ابن خزم بأنها كانت في آخر سنة ست ؛ ورجح ابن حجر ما ذكره ابن إسحاق .

حاصر الرسول ﷺ اليهود في حصنهم : « الوطيح والسلام » ، حتى إذا أيقنوا بالهلاك ، سألوه أن يُسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ففعل ، وتحقق وعد الله فيهم ، ولما سمع

والضعف ، ومعاداة أهله له ، [وإقامته]^(ب) فيما بين أعدائه يجاهدونهم بإنكار دينهم عليهم ، والدعوة إلى دينه مدة طويلة ، وسنين كثيرة ، إلى أن أذن الله له في الهجرة إلى دار غيرها ؛ وما جرى للأعداء الذين جاهدوه من النكبات ، ومصرعهم بين يديه بسيف أوليائه ببدر وغيرها ، وظهور الآية العجبية في هزيمة الفرس - ورستم الجبار^(١) معهم ، في ألوف كثيرة ، على غاية من الحشد والقوة - بين يدي^(ج) سعد بن أبي وقاص^(٢) ، وهم في فئة يسيرة على حال من الضعف ، [ومداين]^(د) كسرى أنو شروان^(٣) ، وانكسار الروم ، وهلاك عساكرهم ، على يدي أبي عبيدة^(٤) بن الجراح^(٥) ، رحمة الله عليه ، ثم سياسة أبي بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، وعدلهما^(٥) وزهدهما .

أهل فَنَدَكْ بعثوا إلى الرسول ﷺ يطلبون منه أن يفعل بهم مثل ذلك ، انظر : للبلاذرى المتوفى ٢٧٩ هـ كتابه : « فتوح البلدان » ص ٣٤ نشرة رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(ب) سقطت (وإقامته) من : م .

(ج) سقطت (بين يدي) من : م .

(د) سقطت كلمة (الجراح) من : م .

(هـ) غير واضحة في الأصل .

(١) ويسمى رستم الفرخزاد ، خرج بنفسه لملاقاة جيش المسلمين في مائة وثلاثين ألفاً عند جسر القادسية ، وكان عدد المسلمين ثلاثين ألفاً ، فنصرهم الله تعالى . انظر المصدر السابق ص ٢٥٥ .

(٢) صحابي جليل ، أحد قواد النبي الفاتحين ، قديم الإسلام ، بَدْرِيّ ، توفي سنة ٥٥ هـ بالمدينة .

(٣) خسرو الأول ٥٣١ - ٥٧٩ ، الملقب أنو شروان ، أى : النفس الخالدة من أعظم ملوك بني ساسان .

(٤) قديم الإسلام ، بَدْرِيّ ، وأحد قواد الرسول الفاتحين ، وأمين الأمة ، مات بالطاعون في عمّواس سنة ١٨ هـ .

(٥) ونفس هذه المعاني قد لفتت ذهن المهتدى على بن ربن الطبرى في القرن الثالث =

ومع ذلك ، فإنّي كنت - لكثرة شغفى بأخبار الوزراء والكتّاب - قد أكتسبت ، بكثرة مطالعتي لحكاياتهم وأخبارهم وكلامهم ، قوة في البلاغة ، ومعرفةً بالفصاحة وكان لي في ذلك ، ما حمده الفصحاء ، وتعجب به البلغاء ، وقد يعلم ذلك مني ، مَنْ تأمل كلامي ، في بعض الكتب التي ألّفتها ، في أحد الفنون العلمية .

فشاهدتُ المعجزة ، التي لا تباريها الفصاحة الآدمية في القرآن ، فعلمت صحة إعجازه ، ثم إنّي لمّا هذبتُ خاطري بالعلوم الرياضية - ولاسيما الهندسية - وبراهينها . راجعت نفسي ، في اختلاف الناس في الأديان والمذاهب^(١) ، وكان أكبر المحرّكات لي ، في^(٢) البحث عن ذلك ، مطالعتي كتاب (برذويه

للهجرة ، وهي التي عطف عقله ووجدانه للإسلام ، فتحول إليه من التصرانية ، وسجل كل ذلك في كتابه النفيس ، الدين والدولة في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ . نشرة عادل نويهص ، دار الآفاق بيروت .

(أ) سقط حرف الجر في ش : م .

(١) كأنّ السموأل يعرض تطوره النفسي والوجداني باتجاه الإسلام ، وما أثر فيه من قراءات ومواقف ، فهو أولاً : قد قرأ كتب التاريخ والسيرة والمغازي ، فاطلع على معجزات وكرامات النبي ﷺ . ثم هو ثانياً : أدرك وأيقن بصحة إعجاز القرآن الكريم ، ثم بدأت مرحلة التحول النفسي بالمراجعة والمقارنة والتأمل ، وترك التقليد ، وتحكيم العقل . إلى أن انتهى إلى التيقن بصحة النبوات الثلاث : لموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

وعندما صحّ عنده ، بالدليل القاطع ، نبوة المسيح ومحمد ، عليهما الصلاة والسلام ، آمن بهما ، إلّا أن شبهة البرّ بوالده ، والتذمُّم لله منه ، منعت أن يعلن إسلامه إذ ذاك ، إلى أن فتح الله عليه ، وحلّ عنه تلك الشبهة بما رأى مناماً ، فهو لم ينتقل إلى الإسلام لمجرد الرؤيا !! بل إن هذه الرؤيا دفعته فقط لأن يشهر ما اطمأن - بالدليل العقلي القاطع - إلى صحته ، فاعتقده سيراً .

الطيب (١)، من كتاب (كليلة ودمنة) (٢)، وما وجدت فيه .

فعلمت أن العقل حاكم ، يجب تحكيمه على كليات أمور عالمنا هذا ، إذ لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل ، وتصديق المشائخ والسلف ، لما صدقناهم ، في سائر ما تلقيناه عنهم ، وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف ، وأصل اتباع الأنبياء ، مما أدى إليه العقل ، فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب .

وإذا نحن حكمنا العقل ، على ما نقلناه عن الآباء والأجداد ، علمنا أن الثقل عن السلف ، ليس يُوجب العقل قبوله ، من غير امتحان لصحته ، بل بمجرد كونه مأخوذاً عن السلف لكن من أجل أنه يكون أمراً ذا حقيقة في ذاته ، والحجة موجودة بصحته .

فأما الأئمة والسلفية وحدهما ، فليستا (١) بحجة ، إذ لو كانتا حجة ، لكانتا (ب) أيضاً حجة لسائر الخصوم الكفار ، كالتنصاري ، فإنهم نقلوا عن أسلافهم : أن عيسى ابن الله ، وأنه الرازق المانع الضار النافع (٢) ، فإن كان تقليد

(١) برزويه ، كان عالماً بصناعة الطب ، فاضلاً في علوم الفرس والهند ، جلب كتاب (كليلة ودمنة) من الهند إلى أنو شروان بن قباد ، ملك الفرس [انظر ص ٤١٣ من عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، ط بيروت ١٩٦٥] .

(٢) من أشهر كتب الهند القديمة ، موضوعة الحكمة والتهديب ، صيغ أكثره على السنة الحيوان والطير ، نقله عبدالله بن المقفع إلى العربية - من الفارسية - فوجد ذيوياً واشتهاراً كبيراً ، ولم يزل يطبع وينشر في العربية .

(أ) وحدهما ، فليستا سقطت من : م .

(ب) في : الأصل ، وفي : م . هكذا : [لو كانت حجة ، لكانت أيضاً] وهو لا يستقيم لغة .

(٣) يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ : يَاعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، آتَيْتُكَ لِلنَّاسِ آيَاتِي وَأَمْرِي إِلَهِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ : سُبْحَانَكَ ! مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ مِنْ

الآباء والأسلاف ، يدل على صحة ما نُقِل عنهم ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَلْزَمُ مِنْهُ الْإِقْرَارُ
بصحة مقالة النصارى ومقالة المجوس .

وإن كان هذا التقليد لأسلاف اليهود ، خاصة دون غيرهم من الأمم ،
فلا يقبل منه ذلك ، إِلَّا أَنْ يَأْتُوا بِدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ آبَاءَهُمْ ، كَانُوا أَعْقَلَ مِنْ آبَاءِ الْأُمَمِ
وَأَسْلَفِهِمْ ، فَإِنَّ الْيَهُودَ ادَّعَتْ ذَلِكَ فِي حَقِّ آبَائِهَا وَأَسْلَافِهَا ، فَجَمِيعُ أَخْبَارِ
أَسْلَافِهِمْ نَاطِقَةٌ بِتَكْذِيبِهِمْ فِي ذَلِكَ (١) .

وإذا تركنا التعصُّبَ لهم ، فنحن نجعل لآبائهم أُسُوءَ بِسَائِرِ آبَاءِ غَيْرِهِمْ مِنْ
الْأُمَمِ ، فَإِذَا كَانَتْ آبَاءُ النِّصَارَى وَغَيْرِهِمْ ، قَدْ نَقَلُوا عَنْ آبَائِهِمُ الْكُفْرَ وَالضَّلَالَ ،
الَّذِي تَهْرَبُ الْعُقُولُ مِنْهُ ، وَتُثْفِرُ الطَّبَاغُ السَّلِيمَةُ عَنْهُ (٢) ، فَلَيْسَ بِمَمْتَنَعٍ أَنْ يَكُونَ

= قُلْتُهُ ، فَقَدْ عَلِمْتُهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ،
مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ
فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ، كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٦﴾
[المائدة : ١١٦ - ١١٧] .

وانظر للإمام حجة الإسلام الغزالي كتابه : الرد الجميل لإلّهيّة عيسى بصريح الإنجيل ،
بتحقيقنا وتعليقنا ، نشر دار أمية بالرياض ، سنة ١٤٠٣ هـ ... ففيه تفنيد علمي موضوعي ،
بنصوص الإنجيل ، للدعوى النصارى ألوهية عيسى عليه السلام ، وهو من أدق وأعمق
ما كتب في بابه ، وانظر دراستنا عن الكتاب وتعليقاتنا عليه .

وانظر دراستنا لرسالة أبي عثمان : عمرو بن بحر الجاحظ « الرد على النصارى » ، نشرة
دار الصحوة بالقاهرة .

وانظر (شريعة إيمان النصارى) التي قررها مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وهذبها المجمع
المتابعة .

(١) يقصد أن جل كتب العهد القديم (التوراة وأسفار الملوك والقضاة والأنبياء) ذم
لبنى إسرائيل ، ولعن لهم ، ونفى عليهم ، ونذارة لهم بالويل والخسران والتشتت والضياع .
(٢) انظر في مناقشتهم وجداهم : « الدين والدولة » لعلّى بن ربّين الطبريّ ،
و « المختار في الرد على النصارى » للجاحظ ، و « الرد على فرق النصارى » لأبني عيسى
الورّاق ، و « تثبيت دلائل النبوة » للقاضي عبد الجبار ، والجزء الخامس من : « المغنى » لـ

مانقله اليهود عن آياتهم ، أيضاً ، بهذه الصّفة فلمّا علمتُ أن اليهود ، لهم أسوة
بغيرهم ، فيما نقلوه عن الآباء والأسلاف ، علمت أنّه ليس بأيديهم حجة

و « الفصل » لابن حزم ، « وشفاء الغليل » للجويني « والرد الجميل » للغزالي ، و « مقامح
هامات الصليبان » للخزرجي ، و « الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام » للإمام
القرطبي ، و « النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية » للمهتدي نصر بن يحيى
المتطيب ، و « الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة للقرافي » ، و « تحفة الأريب في
الرد على أهل الصليب » للمهتدي عبدالله الترحمان وهو قسيس كاثوليكي أندلسي اسمه
(انسلمو تورميذا) ، ورسالة المهتدي الحسن بن أيوب إلى أخيه علي بن أيوب «
« والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » للإمام أحمد بن تيمية ، و « إظهار الحق لرحمة الله
بن خليل الكيرانوي العثماني الهندي ، والمناظرة الكبرى بينه وبين القسيس المنصر الدكتور فندر
والدكتور كمي ... وغير ذلك .

وانظر عقائد النصارى وشروحها وجدلياتها في المصادر اللاهوتية النصرانية التالية :

« التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » ، و « نظم الجواهر » ، و « والجدل مع
المخالف لبطريك الإسكندرية المعروف : سعيد بن البطريق ، وكذلك ماكتبه يوحنا الدمسقي
في جدلياته الذائعة ، وما كتبه كل من : عيسى بن إسحق بن زرة المنطقي اليعقوبي في :
« التثليث » . و « المواضع التي فيها الخلاف بين اليهود والنصارى » . و « المواضع التي فيها
الخلاف بين المسلمين والنصارى » . و « أمر العقل وتمثيل الآب والابن والروح القدس بالمعقل
والعاقل والمعقول » .

- إيليا مطرن نصيبين النسطوري في : « حدوث العالم ووحداية الخالق وتثليث
أقانيمه » .

- وسمعان بن إكلييل القبطي : في « وحدانية الباري وتثليث أقانيمه » .

- وابن العسال في : « التثليث » . و « شرح أعمال المسيح » .

- والفضل الأنطاكي الملكي ، في « الرد على قضايا يجحدها الناس » .

- ذانيال بن الخطاب اليعقوبي ، في « وجود الخالق » .

- أيشو عاب بن ملكون مطران نصيبين النسطوري الدنيسري في : « البراهين والأدلة

على صحة الإنجيل » و « الرد على من يتهم النصارى ... » و « القيامة العامة » .

- يحيى بن عدى : وأبو الخير بن الطيب المتطيب ، وأبو الفرج بن الطيب

الנסطوري . وانظر : للقس بولس سباط ، مباحث دينية فلسفية لبعض القدماء من علماء
النصرانية ، نشرة سنة ١٩٢٩ م مكتبة فردريك .

صحيحة ، نبوة موسى ، إلا شهادة التواتر .

وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد ، كوجوده لموسى ، عليهم السلام أجمعين ، فإن كان التواتر يفيد تصديقاً ، فالثلاثة صادقون ، وثبوتهم معاً صحيحة .

وعلمتُ - أيضاً - أئني لم أر موسى ، بعيني ، ولم أشاهد معجزاته ، ولا معجزات غيره من الأنبياء ، عليهم السلام ، ولولا النقل ، وتقليد الناقلين ، لما عرفنا شيئاً من ذلك ، فعلمتُ أنه لا يجوز للعاقل أن يصدق بواحد ، ويكذب بواحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام ، لأنه لم ير أحدهم ، ولا شاهد أحواله ، إلا بالنقل وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم ، فليس من العقل ، ولا من الحكمة أن يُصدق أحدهم ، ويُكذب الباقيون ، بل الواجب عقلاً إما تصديق الكل ، وإما تكذيب الكل .

(١) انظر في معنى التواتر ، وإفادته العلم ، وشرائطه ، كتاب : (المحصول) للإمام فخر الدين الرازي ج ٢ ، القسم الأول ص ٣٢٣ - ٣٨٤ بتحقيق د. طه العلواني ، نشرة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١ هـ .

وانظر كذلك كتاب : (أصول الدين) لعبد القاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ص ١١ وما بعدها ، تصوير دار الكتب العلمية بيروت .
وانظر (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم نشرة الشيخ أحمد شاکر ، تصوير دار الآفاق الجديدة بيروت .

وانظر كذلك القسم الأول من المجلد الأول من كتاب : (الموافقات في أصول الشريعة) لأبي إسحاق الشاطبي المالكي القرناطي المتوفى سنة (٧٩٠) هـ بشرح الشيخ عبد الله دراز ، وضبط ولده الدكتور محمد عبد الله دراز ، ط المكتبة التجارية بالقاهرة ، وتصوير دار الباز بمكة المكرمة .

فأما تكذيب الكل ، فإن العقل لا يوجبه أيضاً ، لأننا إنما نجدهم قد أتوا بمكارم الأخلاق ، وندَّبوا إلى الفضائل ، ونهَّوا عن الرذائل . ولأنَّنا نجدهم ساسوا العالم بسياسة بها صلاحُ حال أهله .

فصَحَّ عندي ، بالدليل القاطع ، بُبُوَّةُ المسيح والمصطفى ، صلى الله عليهما وسلم ، وآمنتُ بهما .

فمكثتُ برهةً أعتقد ذلك ، من غير أن ألزم الفرائض الإسلامية ، مراقبةً لأبي ، وذلك أنه كان شديدَ الحبِّ لي ، قليلَ الصَّبْرِ عني ، كثيرَ البرِّ بي ، وكان قد أحسنَ تربيتي ، إذ شغلني منذ أولِ حديثي ، بالعلوم البرهانية ، وربِّي ذهني وخاطري في الحساب والهندسة ، العِلْمَيْنِ اللَّذَيْنِ مدح (أفلاطون)^(١) عقل من يتربِّي ذهنه في النظر فيهما ، فمكثت مدة طويلة ، لا يفتح عليَّ وجهُ الهداية ، ولا تُنحلُّ عني هذه الشبهة ، وهي مراقبة أبي ، إلى أن حالت الأسفار بيني وبينه ، وبُعِدت داري عن داره ، وأنا مقيمٌ على مراقبته ، والتذمُّم من أن أفجعه بنفسى .

وحان وقت الهداية ، وجاءتني الموعظة الإلهية برؤيتي للنبي ، ﷺ ، في المنام ، ليلة الجمعة ، تاسع ذى الحجة ، سنة ثمان وخمسين وخمسة^(٢) ، وكان ذلك « بمراغة »^(٣) ، من آذربيجان ، وهذا شرحُ ما رأيت .

(١) هو الفيلسوف اليوناني الشهير ، ولد سنة ٤٢٨ ق.م ، وتوفي ٣٤٨ ق.م ، انظر عنه وعن فلسفته : الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٩٤ - ١٠١ ، تاريخ الحكماء للقفطي ص ١٧ - ٢٧ ، أفلاطون للدكتور عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٥٤ م .

(٢) يقصُّ السموأل ، في موضع آخر ، أنه لم يذكر هذه الرؤيا إلَّا بعد أربع سنوات ، من وقوعها ، أي سنة ٥٦٢ هـ ، ونفهم من ذلك أنه كان حيًّا في هذا التاريخ ، وبعده أيضاً ، لأن ناسخ كتاب (إفتحام اليهود) يذكر أنه نقلها عن نسخة بخط السموأل ، حررها سنة ٥٦٥ هـ .

(٣) عاصمة إقليم آذربيجان بإيران .

الْمَنَامُ الْأَوَّلُ

رأيت كأننى فى صحراء فيحاء ، مُخَضَّرَةً الأرجاء ، يلوح من شرقها شجرة عظيمة ، والناس يُهرعون إلى تلك الشجرة ، فسألت بعضهم عن حال الناس ، فقال :

« إنَّ تحت الشجرة شموايل النبى جالسٌ والناسُ يسلمون عليه فسررت بما سمعته ، وقصدت الشجرة فوجدت فى ظلها شيخاً جسيماً ، بهياً ، وقوراً ، شديدَ بياض الشعر عظيم الهيبة ، بيده كتاب ينظر فيه ، فسلمت عليه ، وقلتُ بلسانٍ عربى :

« السلام عليك يابنى الله » ، فالتفت إلى مبتسماً وهشاً إلى ، وقال :

« وعليك السلام ، يا شريكنا فى الاسم ، اجلس لتعرض عليك أمراً » .

فجلستُ بين يديه ، فدفع إلى الكتاب الذى بيده ، وقال :

« اقرأ ما تجده بين يديك » .

فوجدت بين يدي هذه الآية من التوراة :

(نأى أقيم لاهيم مقارب أحيهم كاموخا إيلاوليشماعون)

تفسيره : « نبياً أقيم لهم ، مِنْ وَسَطِ أَخَوْتهم مِثْلَكَ ، بِهِ فَلْيُؤْمِنُوا »^(١) .

(١) جاء فى سفر التثنية ١٨ : ١٨ - ٢٢ .

يتكلم موسى عليه السلام قائلاً :

« قال لى الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا . أقيم لهم نبياً من وسط إخوانهم ، مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه إلخ » . وانظر الملحق الخاص بالنصوص مكتوبة بالحرف العبرى فى ذيل الكتاب .

وهذه مناجاة من الله عز وجل لموسى ، وكنت أعرف أن اليهود يقولون :
إن هذه الآية نزلت في حق شموائل النبي ؛ لأنه كان مثل موسى ، يَعْتَوْن أَنَّهُ كَانَ
من سبط ليوى ، وهو السبط الذى كان منه موسى .

فلما وجدت بين يدي ، هذه الآية من التوراة ، قرأتها ، وظننت أنه يذهب
إلى الافتخار ، بأن الله تعالى^(١) ذكره في التوراة ، وبشّر به موسى ، عليه السلام .

فقلت :

« هنيئاً لك يانبي الله ، ما خصك الله به من هذه المنزلة » !! .

فنظر إلى مغضباً ، وقال :

« أَوْ إِيَّايَ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا ، يَازَكِيَا ... ! مَا أَفَادَتْكَ إِذَا الْبِرَاهِينُ
الْهَنْدَسِيَّةُ !؟ »^(١) .

فقلت :

« يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا !؟ » :

قال :

« الَّذِي أَرَادَ بِهِ فِي قَوْلِهِ » :

(هُوَ فُيْعَ مَيِّهَارَ فَارَانَ^(٢)) .

وتفسيره : إشارة إلى نُبُوَّةٍ وُعِدَ بِنَزُولِهَا عَلَى جِبَالِ فَارَانَ . فلما قال لى
ذلك ، عرفت أنه يعنى : المصطفى ﷺ ؛ لأنه المبعوث من جبال فاران ،
وهي جبال مكة ؛ لأن التوراة ناطقة نصّاً بأن فاران مسكن لآل إسماعيل^(٣) ،

(أ) نسخة : م تسقط كلمة تعالى ، بعد لفظ الجلالة في كل المواضع .

(١) أى : التى تربيت عليها وبرزت فيها .

(٢) انظر سفر التكوين ، الإصحاح الحادى والعشرين ، فقرة رقم : ٢٠ - ٢١ =

وذلك قول التوراة : (ويشب يمد نار فاران)^(٥) .

تفسيره : « [وأقام في بَرية فاران]^(١) » ، يعنى إسماعيل ولد إبراهيم الخليل عليهما السلام .

ثم إنه عاد والتفت إلى ، وقال :

« وأما علمت أن الله لم يعطى ينسخ^(٢) شيء من التوراة ، وإنما بعثى ، لأذكّرهم بها ، وأحیی شرائعها ، وأخلصهم من أهل فلسطين ؟ ! » .

فقلت : « بلى يا نبي الله ! » .

قال : « فأى حاجة لهم إلى أن يوصيهم ربهم باتباع من لم ينسخ دينهم ، ولم يغير شريعتهم ؟ !! أرايتهم احتاجوا إلى أن يوصيهم بقبول نبوة دانيال ، أو أرميا ، أو حزقيل ؟ »^(٣) .

= « وكان الله مع الغلام ، فكبر وسكن في البرية ، وكان ينمو رامى قوس ، وسكن في بَرية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » .

وجاء في نفس السفر والإصحاح (١٧ : ٢٠) .

وقال الله تعالى لإبراهيم بشأن إسماعيل ، عليهما السلام ، : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيراً جداً ، اثني عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة » .

(أ) ما بين المعقوفين سقط من الأصل ، ولا يصح الكلام بدونه .

(١) انظر : سفر التكوين ، الإصحاح الحادى والعشرين ، ١٨ : ٢١ (ص ٣١

نشرة البروتستانت ١٩٧٠ م) .

(٢) عن النسخ : معناه وحده ، وأحكامه انظر : للإمام فخر الدين الرازى كتاب

المحصل ، تحقيق د. طه جابر العلوانى ج ١ ص ٤١٩ - ٥٦٧ طبعة ١٩٨٠ م ١٤٠٠ هـ .

وانظر فتاوى الإمام تقي الدين ابن تيمية ج ١٣ ص ٢٩ ، ٣٠ ، ج ٥ ، ص ٦٥ ، ٦٦ ،

ج ٤ ص ١١٢ ، ١١٣ ، ج ١٤ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ج ١٧ ، ص ١٨٤ - ١٩٢ .

(٣) طبقاً للتوراة التى بين أيدي اليهود : هؤلاء الثلاثة أنبياء ، وتنسب إليهم أسفاراً =

فقلت : لا ، لَعْمَرى ، لم يُحْتَجَّجْ إلى ذلك .

ثم أخذ المصحف ، من يدي وانصرف مُغْضَباً !!! ، فارتعَبَ لغضبه
وازدَجَرَتْ لموعظته ، واستيقظت مدعوراً ، فجلست^(أ) ، وكان وقت السَّحَر ،
والمصباح يُقَدُّ^(١) في غاية استنارته ، فتذكرتُ المنام جميعه ، فإذا أنا قد تَخَيَّلْتُه ،
لا يذهب على مِنْه شيء !! .

فَعَلِمْتُ (ب) :

« أَنْ ذَلِكَ ، لَطْفٌ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَوْعِظَةٌ لِإِزَالَةِ الشُّبُهَةِ الَّتِي
كَانَتْ تَمْنَعُنِي مِنْ إِعْلَانِ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالنَّظَّاهِرِ بِالْإِسْلَامِ » .

فُتِّبْتُ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَغْفَرْتَهُ ، وَأَكْثَرْتُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
المصطفى ﷺ .

= بِأَسْمَائِهِمْ : سفر دانيال ، وسفر أرمياء ، وسفر حزقيال .
وما يجدر ذكره أَنْ كثيراً من علماء اللاهوت يرون أَنَّ سفر حزقيال كتب أولاً ، أثناء
الأسْرَ البابلي ، وكيفت الأسفار الأخرى بعد ذلك ، بسطاً وتفصيلاً وشرحاً لسفر حزقيال ،
الذى تحدث عن « الوعد » وفلسف لليهود « السَّيِّئِ إِلَى بَابِل » بأنه تطهير لهم من عند إلههم
(يهوه) ، استعداداً للعودة إلى أورشليم وإخضاع الأمم « الجويم » ... فهذا السفر هو الذى
صاغ لليهود - ولأول مرة - النبوءة والوعد بالعودة ، والسيطرة على العالم وإخضاعه !! .
[انظر : التوراة : تاريخها وغاياتها ، ترجمة سهيل ديب ، نشر دار النفائس ص ٢٥ ،
٣٩ ، ٤٠] .

ومن أبرز ما جاء في سفر دانيال ، قصة السخبط الذى أظهره الصدوقيون
(آل صادوق) على زعمائهم المؤابيين وبروز حركة الفريسيين ، أى الانفصاليين : أو الدعاة
لأن يبقى اليهود أمة متفصلة عن بقية البشر متعالية عليهم . لا تندمج معهم : لغة أو ثقافة
أو زواجاً أو معيشة !! .

(أ) فى : م ، وجلست .

(ب) فى : م : فقلت .

(١) الْقَدُّ : القطع المستأصل والشَّقُّ طَوْلاً ، قَدَّهُ ، يَقْدُهُ قَدًّا ، ومنه : التفرق ، تقدَّدَ
القوم : تفرقوا قَدِّدًا وتقطعوا . (لسان العرب للعلامة ابن منظور) .

وَأَسْبَغْتُ الْوُضُوءَ ، وَصَلَّيْتُ عِدَّةَ رَكَعَاتٍ لِلَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَا شَدِيدُ
الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ بِمَا قَدْ انْكَشَفَ لِي مِنَ الْهَدَايَةِ .

ثُمَّ جَلَسْتُ مُفَكِّرًا ؛

فَغَلَبَ عَلَيَّ النَّوْمُ عِنْدَ تَفَكُّرِي وَنَمْتُ .

المنام الثاني^(١)

فرايتُ كأني جالسٌ في سِكَّةِ عامرةٍ ، لا أعرفها ، إذ أتاني آتٍ ، عليه ثيابُ المتصوِّفةِ وزىُّ الفقراءِ ، فلم يسلمْ عليَّ ، لكنَّهُ قال : « أَجِبْ رسولَ الله ﷺ » .

فَهَبْتُ ، وقُمتُ معه مسروراً مسرعاً مستبشراً بقاء النبي ﷺ . فسار بين يديَّ ، وأنا من ورائه حتى انتهى إلى باب دار ، فدخله واستدخلني ، فدخلتُ وراءه ، وسرت خلفه في دهليزٍ طويلٍ ، قليل الظلمةِ إلَّا أنه مظلم .

فلما انتهيتُ إلى طرفِ الدهليزِ ، وعلمتُ أَنَّهُ قد حان إشرافُ النبي ﷺ ، هبْتُ لقاءً هيبةً شديدةً ، فأخذتُ في الاستعداد للقاءه وسلامه .

وذكرتُ أَنِّي كنتُ قد قرأتُ في أخباره ﷺ ، أَنَّهُ كان إذا لقي في جماعة قيل : « سلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ولإذا لقيَ وحدهُ ، قيل :

« السَّلام عليك ، يا رسول الله ، ورحمةُ اللهِ وبركاته » .

فعزمتُ على أَنِّي أسلمُ عليه سلاماً عاماً ، لتَدْخُلَ الجماعةُ في السَّلامِ ، لأنِّي رأيتُ ذلك كأَنَّهُ الأوَّلَى والآلِيقُ^(١) .

• العنوان من وضع المحقق .

(١) انظر للخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ج ١ ص ٩٥/٩٦ بتحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد طبعة الفلاح بالكويت .

ثم أشرفْتُ على صحنِ الدار ، وكان مقابلَ الدهليزِ مجلسٌ طويل ، وعن يسرةِ الداخلِ مجلسٌ آخر ، وليس في الدار غير هذين المجلسين .

وفي كل واحد من المجلسين ، رجلان لا أحقُّقُ الآن صورَ أولئك الرجال ، إلا أني أظن أكثرهم كانوا شبَّاناً ، لكنهم كانوا كالمتهيين للسفر .

فمنهم من يلبس ثياباً للسفر ، وأسلحتهم قرية منهم . ورأيت رسول الله ﷺ ، قائماً فيما بين المجلسين ، أعنى في الزاوية التي في ذلك الركن من أركان الصحن ، وكأنه قد كان في شغل ، وقد فرغ منه وانقلب عنه ليشرع في غيره ففجأته بالدخول عليه ، قبل شروعه في غيره .

وكان ﷺ [لابساً ثياباً بيضاً]^(أ) ، وعمامته معتدلة اللطافة ، وعلى عنقه رداء أبيض حول عنقه ، وهو معتدلُ القامة ، نبيلٌ ، جسيمٌ ، معتدل اللون بين البياض والحمرة ، واليسير من السمرة ، أسود الحاجبين والعينين ، وشعر محاسنه [نصف كأنه شعره]^(ب) ، وشعره ومحاسنه أيضاً معتدلة بين الطول^(ج) والقصر . ولما دخلت عليه ، ورأيت ، التفت إليّ ورآني ، فأقبل عليّ مبتسماً ، وهشَّ إليّ جداً .

فذهلتُ لهيبته عما كنتُ قد عزمْتُ عليه من السلام ، فسَلَمْتُ سلاماً خاصاً ، فقلتُ : « السَّلام عليك ، يا رسول الله ورحمة الله وبركاته » .
والغيتُ الجماعة ...

... فلم ألتفتُ ببصرى وقلبي إلا إليه .

(أ) في الأصل هكذا : « لابس ثياب بيض » وهو لايصح لغةً ، ومع ذلك ، فقد وضعها (برلمان) في النسخة المرموز لها (م) كما هي !! دون أن يصوبها .
(ب) هكذا في الأصل ، وفي : م ، ولم أقف على معناها .
(ج) في : م (بين طول والقصر) ، وهو خطأ .

فقال :

« وعليك السلام ورحمة الله وبركاته » .

ولم يكن بين تسليمي عليه ، وبين سغبي إليه توقف ولا زمان ، بل جَرَيْتُ
إليه مسرعاً ، وأهويتُ يديَّ إلى يده ، ومدَّ يده الكريمةَ إليّ ، فأمسكْتُها^(١)
بيديّ ، وقلتُ :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتَ رسولُ الله » .

وذلك أنه خطر بقلبي أنَّ التُّحاةَ : منهم من زعم أنَّ الأسماء الأعلام هي
أعرُفُ المعارف ، ومنهم من يقول إنَّ الأسماء المضمرة هي أعرُفُ المعارف ، وهو
الصحيح ؛ لأنَّ الكاف من قولي « أنتَ » لا يشارِكُ المخاطب فيه أحد ، لأنها لا
تقع إلا عليه وحده^(١) .

فرايته قد مُلِئَ ابتهاجاً !! ، ثم جلس في الزاوية التي بين المجلسين ،
وجلسْتُ بين يديه .

وقال : « تأهَّب للمسير معنا إلى غمدان للغزاة »^(٢) .

فلما قال ذلك وقع في نفسي أنه يعنى : (المدينة العظمى) التي هي كرسى
مُلْكِ الصين ، وأنَّ الإسلام لم يستول عليها بعد .

وكنت قد قرأتُ قبل ذلك أنَّ الطريق الأقرب المسلك إلى الصين ، في
البحر الأخضر ، وهو أشدُّ البحار أهوالاً وأعظمها أخطاراً .

(أ) في نسخة م ، فأسكتها بيدي ، وهو خطأ .

(١) في هذا دلالة على تمكنه من الثقافة العربية الإسلامية ؛ إذ قال : وأشهد أنك
رسول الله ، بالضمير المخاطب ، ولم يقل : « أنَّ محمداً رسول الله » بالاسم العلم ، لما علَّل
وأظهر من الفرق الدقيق اللطيف بين الصباغتين .

(٢) أى : للغزو .

فلما سمعتُ ذلك القول من النبي ﷺ ، خِفْتُ من ركوب البحر ، وقلت في نفسي :

إنَّ الحكماء لا يركبون البحار ، فكيف أركب البحر ؟!

ثم قلت في نفسي أيضاً من غير توقُّف :

يا سبحان الله ! ، أنا قد آمنتُ بهذا النبي ، وبأبعثه ، أفيأمرني بأمر ، ولا أتابعه ؟! فإذا أئى مباحة تكون مبايعتي له ؟! وعزمتُ على السمع والطاعة .

ثم وقع لي خاطر آخر ، وقلت : إذا كان معنا رسول الله ، ﷺ وأصحابه فإنَّ البر والبحر يكونان مُسَخَّرَين لنا ، ولاخوف علينا من سائر الأخطار .

وطاب قلبي بذلك ، وحسُن يقيني وقبولي .

وأنا أذكر أن هذه الأفكار والخواطر ، ظهرت لي وأنا بين يدي النبي ، ﷺ ، في غير زمان ، أعني من غير توقُّف يستبطنني (به) (ب) عن إجابته .

فما كان بأسرع من أن قلت له : سمعاً وطاعة ، يا رسول الله .

فقال : « على خيرة الله تعالى » (ج) .

فقلت بين يديه ، وخرجت .

فما وجدت في الدهليز الظلمة التي كانت فيه عند الدخول !!! .

فلما خرجت من الدار ، ومشيت قليلاً ، وجدت كأني في سوق (مراغة) ، فيما بين الصيارف وبين المدرسة القضوية وكأني أرى ثلاثة نفر

(أ) في : م ، والأصل ، « يكون مسخَّر لنا » ، وهو خطأ لغوي ، والصواب : « فإنَّ البر والبحر يكونان مسخَّرَين لنا » ، وذلك ما ذكرناه .

(ب) هكذا في الأصل ، ورفع الجار والمجرور (به) ، أولى .

(ج) تسقط نسخة م قوله : « تعالى » دائماً .

عليهم زِيُّ المتصوفة ، وثيابُ الزَّهَادِ .

ومنهم مَنْ على بدنه صُدْرَةٌ صَوِيفٌ خَشَنٌ ، أَسْوَدٌ ، وعلى رأسه مِثْرَرٌ من جنسها ، ويده قوس ملفوفةٌ في لبادٍ خَلِقَ ، ويده الأخرى خَرَبَةٌ نَصَابِهَا من سَعَفِ النَّخْلِ ، والآخر متقلِّدٌ سيفاً ، غِمْدُهُ من خوصِ النَّخْلِ ، لأنَّه كان قد انطبع في خيالي ، منذ كنتُ صغيراً ، حين قرأتُ أخبارَ ظهورِ دولة الإسلام ، كيف كان أصحابُ النبي ﷺ ، ضعفاءً ، فقراء ، وليس لهم من الآلاتِ إلَّا شبيهاً بما ذكرنا ، وأنهم كانوا مع ذلك^(١) ، يُنصِّرون على الجيوش الكثيفة ، والخيول العديدة ذوى الشوكة القوية .

فلما رأيتُ النفرَ الثلاثة قلت :

هؤلاء هم المجاهدون والغزاة ، هؤلاء أصحابُ النبي ﷺ ، مع هؤلاء ، أسافر وأغزو .

وكانت الدمعة تَبْدُرُ من عيني ، في النوم ، لفرطِ سروري بهم ، وغبطني إياهم !!! (ب) .

ثم استيقظتُ والصبح لم يسفر بعد .

فأسبغت الوضوء وصليتُ الفجر ، وأنا شديد الحرص على إشهار كلمة الحق ، وإعلان الانتقال إلى دين الإسلام .

وكنت حينئذ بمراغة من آذربيجان ، في ضيافة (الصاحب الأجد فخر الدين : (ج) عبدالعزيز بن محمود بن سعد بن علي بن حميد المضري)^(١) رحمة الله عليه^(٢) .

(أ) في : م ، وإنهم مع ذلك كانوا ، وانظر كتاب « الدين والدولة » للطبرى .

(ب) في : م ، بهم . (ج) في : م ، زيادة كلمة : أئى العز .

(١) لم أقف عليه في كتب التراجم .

(٢) لعل في هذا إشارة إلى أنه قد كتب (سيرته الذاتية) ، بعد كتابته مؤلفه : =

وكان قد ابتلى بمرض ، قد عافاه الله منه ، ولى به أنس متقدم .
فدخلتُ إليه في أوائل نهار الجمعة المذكور يومئذ ، وعرفته أن الله قد رفع الحجاب عني وهداني ، فما أعظم استبشاره يومئذ بذلك !! .

وقال :

الله ، إن هذا الأمر مازلتُ أتمناه ، وأترجّاه ، وطلما قد حاورت قاضي القضاة صدر الدين في ذلك ، وكنا جميعاً نتأسف على علومك وفضائلك أن لا تكون إسلامية ! ، فالحمد لله على ما ألهمك به من صلاح وهداية ، وعلى استجابته دعائنا في ذلك ! .

فقل لي :

كيف فتح الله ذلك عليك^(أ) ، وسهّله بعد إرتاجه^(ب) وامتناعه ؟ .

فقلت : ذلك أمر أوقعه الله في نفسي بالإلهام والفكر . ودليله العقلي وبرهائه ، قد كنت قديماً أعرفه ، ودليله في التوراة ، إلّا أنّي كنت أراقب أبي وأكره أن أفجعه بنفسى ، تذبذباً من الله تعالى ، والآن قد زالت عني هذه الشبهة ، مُدَّ يدك ، فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فقام الصاحبُ لِفِرط سروره قائماً ، واهتزَّ فرحاً ، وكان قبل ذلك لا يقوم إلّا بالتكلّف ، وغاب عني ، واستجلسني إلى عودته ، وأفاض عليّ من الملابس أجّلّها ، وحملني من المراكب على أنبلها ، وأمر خواصّه بالسعى إلى الجامع بين يديّ .

= « إفتحام اليهود » ، لأنّه قد صرّح في موضع لاحق ، أنه بدأ في تدبيج كتابه ، فور إعلان إسلامه ، على يد الصاحب فخر الدين المضريّ ، المذكور هنا .

(أ) في م : عليك ذلك .

(ب) إرتاجه : انغلاقه وامتناعه .

وكان الصاحب قد تقدم إلى الخطيب ، وأمره بالتأخير والتوقف إلى وقت
حضورى في المسجد ، لأنّ الوقت ضاق إلى أن فرغ الحياطون من خياطة الجبّة
التي أمر الصاحب بتفصيلها .

فسيرت إلى الجامع ، والجماعة في انتظاري ، وارتفع التكبير من جماعة أهل
المسجد ، حين أشرفت عليهم .

وارتجّ المسجد الجامع من صلاتهم على رسول الله ، ﷺ . ثم رقى الخطيب
المنبر ، ووعظ الناس القاضي صدر الدين ، ملك الوعاظ ، أبو بكر محمد بن عبد الله
ابن عبد الرحيم بن لّل ، وأطنب في مدحي وإحمادي ما أيّديني الله به من
التيقّظ والهداية وبالع في ذلك مبالغة تجاوز^(١) حدّ الوصف . وكان أكثر المجلس
متعلقاً بي .

وفي عشية ذلك اليوم ، أعنى ليلة عيد النحر ، ابتدأت بتحرير الحجج
المُفحمة لليهود ، وألّفتها في كتاب ، وسُمّيته بإفحام اليهود^(٢) .

واشتهر ذلك الكتاب ، وطار خبره ، وانتسخ منى في عدّة بقاع نُسَخَ
كثيرة ، بالموصل وأعمالها ، وديار بكر ، والعراق ، وبلد العجم .

ثم أضفت إليه - بعد وقت - فصولاً كثيرة^(٣) من الاحتجاج على اليهود ،

(أ) في م : تتجاوز .

(١) أى أن تاريخ تأليف الكتاب هو تاريخ إشهار إسلامه ، وهو سنة ثمان وخمسين
وخمس مائه للهجرة .

وفي هذا دليل على أن السموأل قد ألّف (إفحام اليهود) أولاً ، ثم وضع رسالتيه هاتين
بعد ذلك .

(٢) نفهم من ذلك أن السموأل لم يؤلف كتابه جملة واحدة ، لكنه أضاف إليه وزاد
فيه بعد أن وضعه - لأول مره - في مراغة سنة ٥٥٨ هـ .

من التوراة ، حتى صار كتاباً بديعاً لم يُعمل في الإسلام مثله ، في مناظرة اليهود البتّة .

وأما المنام الأول ، والمنام الثاني ، فإنّي لم أذكرهما للصاحب ، ولا لغيره من أهل مراغة إلى انقضاء أربع سنين من أوان رؤيتهما .

وكان ذلك لشيئين :

أحدهما :

أنى كرهتُ أن أذكر أمراً ، لا يقوم عليه البرهان ، فربما يُسرّع^(أ) خاطر من يسمعه ، إلى تكذيبه لأنّه أمر نادر ، قليلاً^(ب) ما يتفق^(ج) ، (إذا)^(د) كان العاقل يكره أن يُعرض كلامه للتكذيب ، سرّاً أو علانية .

والثاني :

أنى كرهتُ أن يصل خبر المنامين إلى مَنْ يحسدنى ، في البلاد ، على مافضلتنى الله به من العلم والحُرمة ، فيجعل ذلك طريقاً إلى التشنيع علىّ ، والإضرار على مذهبي ، فيقول :

إن فلاناً ترك دينه لمنام رآه ، واتخذ لأضغاث أحلام !! .

فأخفيتُ ذلك إلى أن اشتهر كتاب (إفحام اليهود) ، [وكثرثُ نسخته وقراءة^(هـ) على جماعة كثيرة من الناس] .

(أ) في م : تسرع .

(ب) في م ، والأصل ، قليل .

(ج) في م كلمة (مثله) زيادة .

(د) ما بين القوسين زيادة لأضرورة لها ، والأفصل أن تكون العبارة هكذا ، (وكان

شعاعق الخ) .

(هـ) في م . والأصل ، وكثر نسخته وقراءة على جماعة كثيرة من الناس .

فلما تحقق الناس ، أعنى أن انتقائى من مذهب اليهود ، إنما كان بدليل ، وبرهان ، وحجج قطعية عرفتها ، وأنى كنت أخفى ذلك ولا أبوح به ، مدة ، مراقبة لأبى ، وبرأ به ، فحينئذ أظهرت قصة النامين وأوضحت أنهما كانا موعظة من الله تعالى ، وتنبهاً على ما يجب تقديمه ، ولا يحل لى تأخير ، بسبب والد أو غيره .

وكتبت كتاباً إلى أبى ، إلى (حلب) ، وأنا يومئذ بخصن كيف ، وأوضحت له فى ذلك الكتاب عدة حجج وبراهين مما أعلم أنه لا ينكره ، ولا يقدر على إبطاله ، وأخبرته أيضاً بخبر النامين^(١) .

فانحدر إلى (الموصل) ليلقانى ، وفاجأه مرضٌ جاءه بالموصل ، فهلك فيه^(٢) .

فَلْيَعْلَمْ - الآن - من يقرأ هذه الأوراق ، أن المنام لم يكن باعثاً على ترك المذهب الأول ؛ فإن العاقل لا يجوز أن يتخذ عن أحواله بالنامات والأخلام ، من غير برهان ولا دليل !! .

لكننى كنت قد عرفت قبل ذلك بزمان طويل ، الحجج ، والبراهين ، والأدلة ، على بُبُوَّة سيدنا محمد ﷺ .

فتلك الحجج والبراهين ، هى سبب الانتقال والهداية ، وأنا المنام فإنما كانت فائدته الانتباه والازدجار من التمدادى فى الغفلة والتربُّص بإعلان كلمة الحق ، بعد هذا ، ارتقاباً لنوب^(ب) أبى .

فالحمد لله على الإسلام ، وكلمة الحق ، ونور الإيمان ، ونور الهداية ،

(١) كأنه يدعو أباه إلى الإسلام .

(أ) فى م : به .

(ب) فى م : نبوت .

وَأَسْأَلُهُ الْإِرْشَادَ لَمَّا يُرْضِيهِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَآلِهِ (١) وَصَحْبِهِ وَسَلِّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً .

(١) ثم ذكر الناسخ بعد ذلك .

« وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْهَا فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْمُبَارَكِ سَابِعِ عَشَرَ شَهْرَ صَفَرِ الْخَيْرِ ، مِنْ شَهْوَرِ سَنَةِ خَمْسَةِ عَشَرَ وَمِائَةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الكتاب الثاني

كتاب

إفحام اليهود

تحقيق : الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى

١٤٧٨

كتاب الفخار اليهودي الامام القاضى السيد ابن يحيى الحزري

بإجازة الله تعالى
امين
ابن
سنان
سليم



اقوى حلاله من سائر اليهود وذكرا كنهه لانه اراد ان يار اليهود من بين يديه
وكان يهودا انواع من الكروا شديده فمن احسنهم واولهم من الكروا من الكروا
معناه ولعلكم تعلمون هذا الاثر في هذا السحر الذي اراد ان يار اليهود من
كبر ولا يفتاد بل تكونوا واقفين بين يدي هذا الانبياء الكروا من الكروا
من الكروا الذي يمانية وري او ان الكروا من الكروا من الكروا من الكروا
او غيره من الالب والحب وحقه تحت الزاوية فاستجاب الله صوت الامام واهل
الدين لعماده وسواد الموصل وتكونت اليه من الكروا من الكروا من الكروا
من الكروا وكان الزاوية من الكروا من الكروا من الكروا من الكروا من الكروا
الحبر الذي قد ظهر من بين يديه الى ان الكروا من الكروا من الكروا من الكروا
الذي ما قبل صاحب الفتنة المتألف حله من الكروا من الكروا من الكروا من الكروا
داقوا بال السقم واختارات والقرى والكروا من الكروا من الكروا من الكروا
ظهوره لكل ذي عقل يدعي الى الان يعملوه على كبره من الكروا من الكروا من الكروا
العمادية ومنهم من يعتقد السبع المتطهر لعماده **ولقد رايت**
جماعة من يهود الاعاج حوى وسلمان وتبين
ومراعه وقد جعلوا اسمه تسعة الاعظم واسما من العمادية من اليهود تسعة
اسد ممانية ومخالفة في جميع امورهم لليهود ومن المتألف في ذلك
الولاية جماعة من يهود يدي ينسبونه الى مناجية المتألف المذكور
ولما وصلا خبرهم الى بغداد اتفق هناك تسعة من يهود
اليهود واهل مشيختهم وشيوخهم واعيانهم مناجية من الكروا من الكروا من الكروا
بالمرج الذي كانوا قد يابستونه وانه يعينه لهم بطريقه وفيه الاجيب
من القدس فأتوا الى اليهود بغداد يوت اليه مع ما يدعونه من الذكاء
وليجرون به من احب نقادوا باسره الى بغداد فكان ودهن لسواهم
لما من لهم وجليهم الى ذئب اليسين تسعة واهلهم من الكروا من الكروا من الكروا
ومررت اليهود جل امورهم في هذا الوجه والكروا من الكروا من الكروا من الكروا
فمن ذلك البيلة على السطوح ينظرون الطراد يترجم على الفتنة الملائكة الى
بيت المقدس وارفع ليلسوان من الكروا على اطرافهم المبتغين خوفهم ان يكون
قبل طراد اولادهم اولادهم فليمن فتح الاموال تاجر الرمال بهم وجميع
السكوت هناك مما اعترى اليهم وجنود كبر اجمعوا على مقلصهم من الكروا
اناموا عيدهم المعروفة فصاروا لعمادتين الى الطراد الى ان أصبح الصباح

هذا الخبر
الذي
هو
من
الاعاج
الذي
هو
من
الاعاج
الذي
هو
من
الاعاج

هذا الخبر
الذي
هو
من
الاعاج
الذي
هو
من
الاعاج
الذي
هو
من
الاعاج

سجدوا لغير الله تعالى وخذلوا بني اسرائيل وخذلوا بني اسرائيل
لهم بعد ذلك وخذلوا بني اسرائيل وخذلوا بني اسرائيل
الحامد على الخلق انهم قد صاروا في هذه الدنيا في هذه الدنيا
وهو انهم قد صاروا في هذه الدنيا في هذه الدنيا
عزاد الله ما كان في هذه الدنيا في هذه الدنيا
الائمة من عظماء هذه الدنيا واعوذ بالله مما يشكون والله المبرر
والله اعلم هذه المسئلة السارة في هذه الدنيا
مستقيمة في هذه الدنيا في هذه الدنيا

ان هذا التاريخ في تالي مستقيمة
وكتبت في هذه الدنيا في هذه الدنيا
حامدا لله على افعاله
على سبيله حمد الله
وكتبه في هذه الدنيا
وقد والله لا يحد
في هذه الدنيا
في هذه الدنيا



هَذَا كِتَابٌ بَذَلَ الْيَهُودُ فِي الْفِتَامِ
الْيَهُودَ إِلَى الْمَرْحُومِ الْفَاضِلِ

السَّمُورِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَادِيَا

الْمَغْرِبِيِّ الَّذِي تَرَجَّمَهُ

صَاحِبُ عَيُونِ الْأَنْبَاءِ

فِي تَارِيخِ الْأَطْبَاءِ

وَكَانَ هَذَا الْمَوْقِفُ فِي كِتَابِ

مِنْ أَهْبَارِ السَّيَرِ

فَأَسْلَمَ بِسَبَبِ

رُؤْيَاهُ لِلنَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

ق. نقل هذا الكتاب من  من موجوده
عند الشيخ ابي السعادات الدجاني
اليافاوى وهو نقلها من منسىز عند
صفي يافاوى وقد نقلها من عندنا
خالد افندي عديل احمد باب الشهم
فاليعلم

تنبه عند تمام نسخ هذا الكتاب رايت في النوم مشو
عشرة رجال من اعيان اليهود ويدهم اخونا
محمد توفيق ابن السيد رغب الخردجي بناظرهم
ويبا حشرهم في هذا الكتاب وكان سنة اثني عشر
سنة وفي جانب حفرة الاستاذ العلامة الشيخ
طاهر افندي الخرايى وكان حفرة الاستاذ
الرومي اليه وضع محمد توفيق المذكور لناظرهم
استقار الهم فغلبهم محمد توفيق واخراهم
ثم استيقظت وانا مسرور
تأنيته نا منى هذا
اكتساب محمد الرحمن
التصاير

[مقدمة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنِّ يَا اللَّهُ .

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى ، عَلَى مَا أَلَّهَمَ (من)^(أ) الهداية ، وعصم عنه من الغواية ، والصلاة والسلام على محمد ، خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين .

فَإِنَّ سَبِيلَ مَنْ فَضِّلَ ، مِنَ الْعِبَادِ ، بِالْفَطَانَةِ وَالرَّشَادِ ، أَنْ يَجِدَّ فِي الْبَحْثِ عَنْ أَحْوَالِ الْمَعَادِ ، وَالتَّأَمُّلِ لِمَا أَخَذَهُ عَنِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، بَعَيْنِ الْإِمْتِحَانِ وَالْإِنْتِقَادِ ؛ فَإِنْ رَأَاهُ فَضِيلَةً ، سَمَا لِإِدْرَاكِهَا ، وَإِنْ أَلْفَاهُ رَذِيلَةً ، نَجَا مِنْ شِرَاكِهَا ؛ لِتَضْحَى (ب) حَقَائِبُهُ بَطَانًا^(ج) مِنْ الزَّادِ ، فَإِنَّ هَاتِفَ الْمَوْتِ بِالْمُرْصَادِ .

وَلَنْ يَحْمَدَ الْعُقْبَى ، مُضْجِعٌ فِي تَحْصِينِ شَرْعِهِ ، وَمَوْزِعٌ مَوَاقِيْتِهِ عَلَى مَا يَنْقَادُ إِلَيْهِ بِطَبْعِهِ^(١) ، وَلَنْ يَظْفَرَ بِضَالَّةِ الْحَقِّ إِلَّا نَاشِدُوهَا ، وَلَنْ يُنْهَرَجَ الْأَبَاطِيلُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، إِلَّا مَفْسُدُوهَا^(٢) .

• العنوان من وضع المحقق .

(أ) في م : (منه من) ، وفي الأصل : منه ، وأرى أن الأصوب ، هو ما ذكرناه .

(ب) في م : لتبقى ، وهو غير مناسب لسياق الكلام .

(ج) أى : ممتلئة ، وفي الحديث : « تغدو بحماسة وتروح بطاناً » .

(١) أى : متراخ سادر وراء أهوائه وغرائزه .

(٢) يعنى : لن يزين الباطل لنفسه ، إلا مفسد نفسه .

[الغرض من تأليف الكتاب]

والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة ، الردُّ على أهل اللجاج والعناد ، وأنَّ تُظْهِرَ ما يعتورُ كلمتهم من الفساد .

على أنَّ الأئمة - ضُوعِفَ ثوابهم - قد انتدبوا - قبلي - لذلك ، وسلکوا في مناظرة اليهود^(١) ، أنواع المسالك ، إلَّا أنَّ أكثر ما نوظروا به ، يكادون لا يفهمونه ، أو لا يلتزمونه ، وقد جعل^(٢) إلى إفحامهم طريقاً ، مما يتداولونه في أيديهم ، من نصِّ تنزيلهم ، وأعماهم الله عنه ، عند تبديلهم ، ليكون حُجَّةً عليهم ، موجودة في أيديهم .

[فصل في إلزامهم التَّسْخِخِ بنصِّ كتابهم]

وهذا أوَّل ما أُبتدئُ به ، من إلزامهم التَّسْخِخِ ، من نصِّ كتابهم وما تقتضيه أصولهم ، نقول لهم :

هل كان قبل نزول التوراة شرعٌ أم لا ؟

فإنَّ جحدوا ، كُذِّبوا بما نطق به الجزء الثاني من السفر الأول من

• • العنوان من وضع المحقق .

(١) من هؤلاء العلماء : النظام ، والجاحظ ، والقاضي عبد الجبار ، والجويني ... وغيرهم .

(٢) لعله يقصد : الكتاب « إفحام اليهود » أو المؤلف ، ويصح أن يكون الله تعالى هو الذي جعل الخ .

التوراة ؛ إذ شرع الله تعالى على نوح - عليه السلام - القصاص في القتل ، ذلك قوله :

« شوفيخ دام هأدام دامو يشافيخ كي بصلم ألوهيم عاما إث هأدام » .

تفسيره :

« سَأَفُكُ دَمَ الْإِنْسَانِ ، فَلْيُحَكِّمْ بِسَفْكِ دَمِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى (أ) خَلَقَ الْآدَمِيَّ بِصُورَةٍ شَرِيفَةٍ » (١) .

وبما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة ، إذ شرع الله على إبراهيم - عليه السلام - ختانَ المولود (٢) في اليوم الثامن من ميلاده ، وهذه وأمثالها شرائع ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ : لا يخرج عن كونه : أمراً أو نهياً من الله تعالى لعباده ، سواء نزل على لسان رسول (ب) ، أو كُتِبَ في أسفارٍ ، أو ألُوِجَ أو غير ذلك . فإذا أَقْرَأُوا بأنَّ قد كان شرعٌ .

قلنا لهم : ما تقولون في التوراة ، هل أتت بزيادةٍ على تلك الشرائع أم لا ؟ .

(أ) تسقط نسخة (برلمان) لفظ تعالى دائماً .

(١) جاء في الإصحاح التاسع من سفر التكوين : ٦

« سَأَفُكُ دَمَ الْإِنْسَانِ ، بِالْإِنْسَانِ ، مَا يُسِفِّكُ دَمَهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى صُورَتِهِ ، عَمِلَ الْإِنْسَانَ » .

(طبعة البرونستانت بالقاهرة ، ص ١٤)

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح السابع عشر ، ١٠ - ١٤

« يُحْتَنُّ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ ، فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَيْكُمْ ، فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ابْنِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يَخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ ... الخ » .

هذا ، ولقد أفاد (القرافي) عند الحديث عن التسخين من كتاب السموأل هذا ، وإن لم يصرح به ، كعادة المؤلفين في الجدل ضد أهل الكتاب .

(ب) في م : رسول الله .

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَتَتْ بِزِيَادَةٍ فَقَدْ صَارَتْ عِبْثًا ، إِذْ لَا زِيَادَةَ فِيهَا عَلَى مَا تَقْدُمُ ، وَلَمْ تَغْنِ شَيْئًا ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ صَادِرَةً عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَيُلْزَمُكُمْ أَنَّ التَّوْرَةَ لَيْسَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ كُفْرٌ عَلَى مَذْهَبِكُمْ ، وَإِنْ كَانَتِ التَّوْرَةُ أَتَتْ بِزِيَادَةٍ ، فَهَلْ فِي تِلْكَ الزِّيَادَةِ تَحْرِيمٌ مَا كَانَ مَبَاحًا أَمْ لَا ؟ .

فَإِنْ أَنْكَرُوا ذَلِكَ بَطَلَ قَوْلُهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ التَّوْرَةَ حَرَّمَ الْأَعْمَالِ الصَّنَاعِيَّةَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ بَعْدَ أَنْ كَانَ ذَلِكَ مَبَاحًا ، وَهَذَا بَعِينُهُ [هُوَ] النِّسْخُ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِلزِّيَادَةِ فِي الشَّرْعِ إِلَّا تَحْرِيمٌ مَا تَقَدَّمَتْ إِبَاحَتُهُ ، أَوْ إِبَاحَةٌ مَا تَقَدَّمَ تَحْرِيمُهُ .

فَإِنْ قَالُوا : إِنَّ الْحَكِيمَ لَا يَحْظُرُ شَيْئًا ثُمَّ يُبَيِّحُهُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنْ جَازَ مِثْلَهُ ، كَانَ كَمَنْ أَمَرَ بِشَيْءٍ وَضَيَّعَهُ .

فَالْجَوَابُ :

أَنَّ مَنْ أَمَرَ بِشَيْءٍ وَضَيَّعَهُ ، فِي زَمَانَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ ، غَيْرُ مُنَاقِضٍ بَيْنَ (أ) أَوَامِرِهِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ كَذَلِكَ لَوْ كَانَ الْأَمْرَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ .

فَإِنْ قَالُوا : إِنَّ التَّوْرَةَ حَظَرَتْ أُمُورًا كَانَتْ مَبَاحَةً مِنْ قَبْلِ ، وَلَمْ تَأْتِ بِإِبَاحَةٍ مُحْظُورٍ ، وَالتَّسْخُ الْمَكْرُوهُ : هُوَ إِبَاحَةُ الْمُحْظُورِ ؛ لِأَنَّ مَنْ أُبِيحَ لَهُ شَيْءٌ فَا مَتَنَعَ عَنْهُ ، وَحَظَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ بِمُخَالَفٍ وَإِنَّمَا الْمُخَالَفُ : مَنْ مَنَعَ مِنْ شَيْءٍ فَأَتَاهُ ؛ لِاسْتِبَاحَتِهِ الْمُحْظُورِ .

(أ) فِي م : مَنْ ، وَهُوَ لَا يَنْسَبُ السِّيَاقُ .

فالجواب :

إِنَّ مَنْ أَحَلَّ مَا حَظَرَهُ الشَّرْعُ ، فِي طَبَقَةِ الْمُحَرَّمِ لَمَّا أَحَلَّهُ الشَّرْعُ ؛ إِذْ كُلُّ
 مِنْهُمَا قَدْ بَخَالَفَ الْمَشْرُوعَ ، وَلَمْ يَقْرَ الْكَلِمَةُ عَلَى مَعَاهِدِهَا ، فَإِنْ جَازَ أَنْ يَأْتِيَ شَرْعُ
 التَّوْرَةِ بِتَحْرِيمٍ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ تَقَدَّمَ ، عَلَى اسْتِبَاحَتِهِ ، فَجَائِزٌ أَنْ
 تَأْتِيَ شَرِيعَةٌ أُخْرَى بِتَحْلِيلِ مَا كَانَ فِي التَّوْرَةِ مُحْظُورًا ، وَأَيْضًا فَلَا تَخْلُو الْمُحْظُورَاتُ
 مِنْ أَنْ يَكُونَ تَحْرِيمُهَا مُفْتَرَضًا فِي كُلِّ الْأَزْمَنَةِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكْرَهُ ذَلِكَ الْمُحْظُورَ
 لِعَيْنِهِ ، [وَإِنَّمَا أَنْ لَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ لِعَيْنِهِ] (أ) بَلْ يَنْهَى عَنْهُ فِي بَعْضِ الْأَزْمَنَةِ ، فَإِنْ
 كَانَ اللَّهُ تَعَالَى يَنْهَى عَنْ عَمَلِ الصَّنَاعَاتِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، لِعَيْنِ السَّبْتِ (ب) ، فَيَنْبَغِي
 أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّحْرِيمُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَنُوحَ وَآدَمَ أَيْضًا ؛ لِأَنَّ عَيْنَ السَّبْتِ كَانَتْ
 مَوْجُودَةً (ج) أَيْضًا فِي زَمَانِهِمْ ؛ وَهِيَ عِلَّةُ التَّحْرِيمِ . وَإِنْ (د) كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ مُحَرَّمٍ
 عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ تَقَدَّمَ ، فَلَيْسَ التَّهَيُّ عَنْهُ لِعَيْنِهِ أَعْنَى : فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِ وَجُودِ
 عَيْنِهِ . وَإِذَا لَزِمَكُمْ أَنَّ تَحْرِيمَ الْأَعْمَالِ الصَّنَاعِيَّةِ ، فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، لَيْسَ بِمُحَرَّمٍ (هـ)
 فِي جَمِيعِ وَجُودِ أَوْقَاتِ (و) السَّبْتِ فَلَيْسَ بِمَمْتَنِعٍ أَنْ يَنْسَخَ هَذَا التَّحْرِيمُ ، فِي زَمَانٍ
 آخَرَ ، وَإِذَا ظَهَرَ قَائِمٌ بِمُعْجَزَاتِ الرِّسَالَةِ وَأَعْلَامِ التَّبَوُّةِ ، فِي زَمَنِ آخَرَ ، بَعْدَ فِتْرَةٍ
 طَوِيلَةٍ ، فَجَائِزٌ أَنْ يَأْتِيَ بِنَسْخِ كَثِيرٍ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ سِوَاءَ حَظَرِ مُبَاحَاتِهَا
 أَوْ أَبَاحِ مُحْظُورَاتِهَا ! (أ٢) وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُحَاجَّ مِنْ جَاءِ بِالْبَيِّنَةِ بِاعْتِرَاضٍ فِيمَا وَرَدَ
 بِهِ مِنْ أَمْرِ وَنَهْيٍ ، سِوَاءَ وَافِقِ الْعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ أَوْ بَاطِنِهَا ، وَلَا سِيَّمًا أَنَّ الْخُصُومَ (١)

(أ) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، مذكورة في : م ، ولا يستقيم الكلام بدونها .

(ب) لعين السبت ، سقطت من : م ، ولا يستقيم السياق إلا بها .

(ج) في : م « كان أيضا موجوداً » .

(د) في : م (إذ) .

(هـ) في : م : بتحريم ، وهو لا يصوغ .

(و) في : م (أو ان) .

(١) يقصد اليهود .

قد طال ما تُعبدوا بفرائضَ مباينةٍ للعقول ؛ كطهارة أنجاسهم برماد البقرة ، التي
 كان الإمام الهاروني يحرقها قبيل أَوَّان الحج ، ونجاسة طاهرهم بذلك الرماد
 بعينه ، على أَنَّ الذي يزوم تنزيله منزلة هذا ، أقرب كثيراً إلى العقل ، فإنَّ الأفعال
 والأوامر الإلهية مُنزَّهة عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية ، وإذا كانت
 التَّعَبُّدات الشرعية غيرَ عائدةٍ بنفعٍ لله ، عزَّ وجلَّ ، ولا دافعة عنه ضرراً ؛ لتزهِه
 سبحانه وتعالى عن الانتفاع والتأذى بشيءٍ ، فما الذي يُحيلُ أو يمنعُ كونه تعالى
 يأمرُ أُمَّةً بشرعيةٍ ، ثُمَّ ينهى أُمَّةً أخرى عنها ، ويحرمُ محظوراً على قومٍ ، ويحلُّه
 لأولادهم ، ثُمَّ يحظره ثانياً على من يجيء من بعد ؟ وكيف يجوز للمتعبَّد ، أنْ
 يعارضَ الرسولَ في تحليله ما كان حراماً على قومٍ ؟ ويستبدل بذلك على كذبه بعد
 أنْ جاء بالبيِّنة ، وأوجب العقلُ تصديقه وتحكيمه ؟ أليس هذا تحكُّماً ؟ وضللاً
 وعُدولاً عن الحق ؟ !! .

إفحام اليهود والنصارى بالحجة العقلية ، والزمامهم الإسلام

لا يسع عقلاً أن يكذب نبياً ذا دَعْوَةٍ شَائِعَةٍ ، وكلمَةٍ قَائِمَةٍ ، ويَصْدُقَ غَيْرُهُ ؛ لأنَّه لم ير أَحَدَهُمَا ، ولا شاهد معجزاته ، فإذا اختَصَّ أَحَدُهُمَا بالتصديق والآخر بالتكذيب ، فقد تَعَيَّنَ عليه الملامُ والإِزْراءُ عَقْلاً .

ولنضربَ لذلك مثلاً : وهو أَنَا إِذَا سَأَلْنَا يَهُودِيًّا عَنْ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - وهل رآه وعَينَ معجزاته ؟ فهو - بالضرورة - يُقَرُّ بِأَنَّهُ لم يشاهد شيئاً من ذلك عَيْنَاناً ، فنقول له :

بماذا عَرَفْتَ نُبُوَّةَ مُوسَى وَصِدْقَهُ ؟!

فإن قال : إِنَّ التَّوَاتُرَ قد حَقَّقَ ذلك ، وشَهِدَتْهُ الأُمَمُ بِصِحَّتِهِ ، دَلِيلٌ ثَابِتٌ فِي الْعَقْلِ ، كما قد ثَبِتَ عَقْلاً ، وجودُ بِلَادٍ وَأَنْهَارٍ لم تَشْهَدْهَا وَإِنَّمَا تَحَقَّقْنَا وجودَهَا بتواتر الأَنْبَاءِ والأَخْبَارِ !! .

قلنا : إن هذا التواتر موجودٌ لِمُحَمَّدٍ وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(أ) ، كما هو موجودٌ لِمُوسَى ، فيلزُمُكَ التَّصَدِيقُ بهما .

وإن قال اليهوديُّ : إِنَّ شَهِادَةَ أَبِي عَتَقَى نُبُوَّةَ مُوسَى ، هي سَبَبٌ تصدِّقِي نُبُوَّتِهِ .

قلنا له : وَلِمَ كان أبوكَ عندكَ صادقاً في ذلك ، معصوماً عن الكُتْبِ ، وأنت ترى الكُفَّارَ^(١) أيضاً يَعْلَمُهُمْ أَبَاؤُهُمْ ما هو كُفْرَ عندكَ ؟ .

(أ) عليهما السلام ، أسقطتها (م) .

(١) يقصد غير اليهود ، من مسلمين ونصارى ، وهو من يلقب بمجارة الخصم .

- إِمَّا تَعْصِبُ مِنْ أَحَدِهِمْ لِدِينِهِ ، وَكَرَاهِيَةً لِمُبَايِنَةِ طَائِفَتِهِ ، وَمِفَارِقَةِ قَوْمِهِ

وَعَشِيرَتِهِ .

- وَإِمَّا لِأَنَّ أَبَاهُ وَأَشْيَاخَهُ نَقَلُوهُ إِلَيْهِ ، فَتَلَقَّنُهُ مِنْهُمْ ، مَعْتَقِداً فِيهِ الْهَدَايَةَ وَالتَّجَاةَ ، فَإِذَا كُنْتَ يَا هَذَا ، قَدْ تَرَى جَمِيعَ الْمَذَاهِبِ الَّتِي تَكْفُرُهَا^(أ) ، قَدْ أَخَذَهَا أَرْبَابُهَا عَنْ آبَائِهِمْ ، كَأَخْذِكَ مَذْهَبَكَ عَنْ أَبِيكَ ، وَكُنْتَ عالِماً أَنَّمَا هُمْ عَلَيْهِ ضَلَالٌ وَجَهْلٌ ، فَيُلْزِمُكَ أَنْ تَبْحَثَ عَمَّا أَخَذْتَهُ عَنْ أَبِيكَ ، خَوْفاً مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ حَالَتَهُ .

فَإِنْ قَالَ : إِنَّ الَّذِي أَخَذْتَهُ عَنْ (ب) (أ) ، أَصَحُّ مِمَّا أَخَذَهُ النَّاسُ عَنْ آبَائِهِمْ ، لَزِمَهُ أَنْ يَقِيمَ الْبِرْهَانَ عَلَى ثُبُوتِ مُوسَى مِنْ غَيْرِ تَقْلِيدٍ لِأَبِيهِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ ادَّعَى صِحَّةَ ذَلِكَ ، بِغَيْرِ تَقْلِيدٍ ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ الْعِلَّةَ فِي صِحَّةِ مَا نَقَلَهُ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ أَبَاهُ ، يَرْجُحُ عَلَى آبَاءِ النَّاسِ بِالصَّدْقِ وَالْمَعْرِفَةِ ، كَمَا تَدَّعَى الْيَهُودُ فِي حَقِّ آبَائِهَا ، لَزِمَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْدَّلِيلِ ، عَلَى أَنَّ أَبَاهُ كَانَ أَعْقَلَ مِنْ سَائِرِ آبَاءِ النَّاسِ ، وَأَفْضَلَ ، فَإِنْ هُوَ ادَّعَى ذَلِكَ كَذَبَ فِيهِ ؛ لِأَنَّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ - يَجِبُ أَنْ يُسْتَدَلَّ عَلَى فَضَائِلِهِ بِآثَارِهِ^(ب) ، وَقَوْلُ الْيَهُودِ بَاطِلٌ ؛ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْآثَارِ فِي الْعَالَمِ ، مَا لغيرِهِمْ مِثْلُهُ ، بَلْ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، لَا ذِكْرَ لَهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ اسْتَخْرَجُوا الْعُلُومَ الدَّقِيقَةَ وَدَوَّنُوهَا لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ ، وَجَمِيعَ مَا نُسِبَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعُلُومِ - مَعَ مَا اسْتَفَادُوهُ مِنْ عُلُومٍ غَيْرِهِمْ - لَا يَضَاهِي بَعْضَ الْفُنُونِ الْحَكْمِيَّةِ ، الَّتِي اسْتَخْرَجَهَا حُكَمَاءُ الْيُونَانِ ، وَالْعُلُومِ الَّتِي اسْتَبْطَنَهَا التَّبْطُّ . وَأَمَّا تَصَانِيفُ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَسْتَحِيلُ - لِكَثْرَتِهَا - أَنْ يَقِفَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى جَمِيعِ مَا صَنَّفُوهُ فِي أَحَدِ الْفُنُونِ الْعِلْمِيَّةِ ، لِسَعْتِهِ وَكَثْرَتِهِ . وَإِذَا كَانَ هَذَا مَوْقِعُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ ، فَقَدْ بَطَلَ قَوْلُهُمْ : إِنَّ آبَائَهُمْ أَعْقَلُ النَّاسِ ، وَأَفْضَلُهُمْ وَأَحْكَمُهُمْ ، وَلَهُمْ أَسْوَأُ سَائِرِ آبَاءِ النَّاسِ الْمِمَّاثِلِينَ لَهُمْ مِنْ

(أ) فِي م : تَكْفُرُ بِهَا ، وَهُوَ أَصَحُّ .

(ب) فِي : م ، (بِإِفْسَادِهِ) وَهُوَ خَطَأٌ فَاحِشٌ !! .

ولد سام بن نوح ، عليهما السلام . فإذا أقرّوا بتأسي آبائهم ، بآباء غيرهم ، فقد لقنّوهم الكفر ، ولزمهم أنّ شهادة الآباء ، لا تجوز أن تكون حجة في صحة الدّين ، فلا تبقى لهم حجة بنبوّ موسى إلّا شهادة التواتر ، وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد ، عليهما السلام ، كوجوده لموسى ، وإذا كانوا قد آمنوا بموسى بشهادة التواتر بنبوّته ، فقد لزمهم التصديق بنبوة المسيح والمصطفى ، صلى الله عليهما وسلم .

وجه آخر في إثبات النسخ بأصولهم

نقول لهم : هل أنتم - اليوم - على ملة موسى عليه السلام ؟ فإن قالوا : نعم . قلنا لهم : أليس في التوراة أنّ مَنْ لمسَ عَظْماً ، أو وطىءَ قَبْراً ، أو حضر مَيْتاً عند موته ، فإنّه يصير من النّجاسة في حال لا مخرج له منها إلّا برماد البقرة ، التي كان الإمام الهارونى يحرقها ؟! فلا يمكنهم مخالفة ذلك ؛ لأنه نصّ ما يتداولونه !! .

فنقول لهم : فهل أنتم اليوم على ذلك ؟ .

فيقولون : لا نقدر عليه (أ) .

فنقول لهم : فلم جعلتم أنّ مَنْ لمسَ العَظْمَ والقَبْرَ والميت ، فهو طاهر يصلح للصلاة ، وحمل المصحف ، والذي في كتابكم بخلافه ؟ .

أما إن قالوا : لأننا عِدَمْنَا أسباب الطهارة وهي : رمادُ البقرة والإمام المطهر المستغفر ! .

• كان الأول أن يجيء هذا الفصل قبل الذى سبقه ، لوحدة الموضوع - النسخ - وعدم الفصل بين الأفكار المتائلة .

(أ) من قوله : فنقول لهم : فهل أنتم ... إلى قوله : لا نقدر عليه ، سقطت من : م

قلنا : فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله ، مما تستغنون في الطهارة عنه أم لا ؟! فإن قالوا : نعم قد نستغنى عنه ، فقد أقرؤا بالنسخ لتلك الفريضة ، لحال اقتضاها هذا الزمان ، وإن قالوا : لا نستغنى في الطهارة عن ذلك الطهور ، فقد أقرؤا بأنهم الأنجاسُ أبداً ماداموا لا يقدرّون على سبب الطهارة !!^(١) .

فنقول لهم : فإذا كنتم أنجاساً - على رأيكم وأصولكم - فما بالكم تعتزلون الحائض ، بعد انقطاع الحيض وارتفاعه ، سبعة أيام اعتزالاً تُفرطون فيه ، إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبه ثوب المرأة ، لاستنجستموه (أ٣) مع ثوبه^(٢) !! .

فإن قالوا : لأن ذلك من أحكام التوراة ! .

قلنا : أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة ؟! فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم ، والنجاسة التي أنتم فيها^(أ) - على معتقدكم - لا ترتفع بالغسل ، كنجاسة الحيض ، فهي لذلك^(ب) أشد من نجاسة الحيض ، ثم إنكم ترون أن الحائض طاهرة إذا كانت على غير ملئكم ، ولا تستنجسون لايسها ، ولا الثوب الذي تلمسه . وتخصيص هذا الأمر ، أعني نجاسة الحيض بطائفتكم ، مما ليس في التوراة ، فهذا كله منكم نسخ أو تبديل !! .

فإن قالوا :

إن هذا ، وإن كان النص ، غير ناطق به ، فقد جاء في الفقه !! .

(١) لله در السّمؤال !! فقد ألزم وأفحم ، وقد نقل عنه هذا القرائى الصنهاجى فى : الأجوبة الفاخرة ، وابن القيم فى : هداية الحيارى .

(٢) فى شأن الحائض ونجاستها عند يهود ، انظر : سفر اللاويين ، الإصحاح (١٥) - (١٩ : ٢٤) .

(أ) فى : م : همى ، زيادة .

(ب) فى : م : كذلك .

قلنا لهم :

فما تقولون في فقهاءكم : هل الذى اختلفوا فيه من مسائل^{١٠} الخلاف والمذاهب ، على كثرتها لديكم ، كانت ثمرة اجتهاد واستدلال أو منقولاً بعينه ؟ . فهم يقولون : إن جميع ما فى كتب فقهاءنا ، نقله الفقهاء عن الأخبار ، عن الثقات من السلف عن يوشع بن نون^(١) ، عن موسى الكليم ، عليهما السلام ، عن الله تعالى !! .

فيلزمكم فى هذا أن المسألة الواحدة ، التى اختلف فيها اثنان من فقهاءكم ، يكون كل واحد منهما ، ينقل مذهبه فيها نقلاً مسنداً إلى الله عز وجل ! . وفى ذلك من الشناعة اللازمة لهم ، أن يجعلوا الله قد أمر فى تلك المسألة بشيء وخلافه !! ، وهو التسخُّ الذى يدفعونه بعينه !! .

فإن قالوا : إن هذا الخلاف غير مستعمل ؛ لأن الأولين كانوا بعد اختلافهم فى المذهب ، فى المسألة يرجعون بها إلى أصل واحد ، هو المقطوع به . قلنا : إن رجوعهم بعد الاختلاف ، إلى الاتفاق على مذهب واحد ، إما لأن أحدهم رجع عما نقل ، أو طعن فى نقله ، فيلزمه السقوط عن العدالة ،

(١) يكتب يَهُو شَع ، ويوشع ، ويشوع ، وهو خادم موسى عليه السلام ، واصطفاه الله نبياً بعد موسى صلى الله عليه وسلم ، جاء فى سفر يشوع ، الإصحاح الأول ، الفقرة الأولى وما بعدها :

« وكان بعد موت موسى ، عبد الرب ، أن الرب كلم يشوع بن نون ، خادم موسى ، قائلاً : فالآن قم واعبر هذا الأردن أنت وكل الشعب الخ » فهو الذى قادهم إلى دخول الأرض المباركة .

وسياتى لنا تعليق مفصل ، نوضح فيه ، إن شاء الله ، نشأة كتب الفقه والشروح الحاخامية اليهودية وأهميتها لديهم .

ولا يجوز لكم أن تعاودوا الالتفات إلى نقله .

وإما أن يكون الفقهاء اجتمعوا على نسخ أحد المذهبين ، أو تكون رواية أحدهما ناسخة لرواية الآخر .

وما من الفقهاء إلا مَنْ ألقى مذهبه في مسائل كثيرة ، وهذا جُنُونٌ مِمَّنْ لا يَقْرُءُ بالنَّسخ ، ولا يرى كلامَ أصحابِ الخلافِ اجتهداً ونظراً ؛ بل نُقلًا محضاً !!^(١) .

إلزامهم النسخ بوجه آخر

نقول لهم :

ما تقولون في صلواتكم وأصوامكم ؟

فهل هي التي فارقكم عليها موسى ، صلى الله عليه وسلم ؟ فإن قالوا :

نعم !! .

قلنا :

فهل كان موسى - عليه السلام - وأُمَّته يقولون في صلواتهم ، كما

تقولون ؟

« نقاع شوفار كادول تحيرو تيثنو وسانيس لَقَنُو حينوا وَقَبَعْنُو بأحد ملاء

(١) قارن هذا بما كتبه سعد بن منصور بن كمونة الكاتب اليهودي ، في « تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث » ص ٤٥ وما بعدها ، من نشرة (Moshe Perlmann) كاليفورنيا ، ١٩٦٧ م وهذا الكتاب - كما ذكرنا - يحاول نقض كتاب السّمؤال في أكثر من موضع ، وقد وضعه مؤلفه اليهودي المتعصب بعد تأليف السّمؤال (إفحام اليهود) بحوالى مائة سنة فقط .

رباع كنفوت هأرض إن نوى قد شيخا باروخ .

تفسيره : « اللّهم ، اضرب بيوق عظيم لعقتنا ، واقبضنا جميعاً من أقطار الأرض إلى قدسك ؛ سبحانك ، يا جامع تشيت قومه إسرائيل »^(١) .

(١) أهم ما في هذه المسألة هو الربط بين صلاة اليهود ، وبين « الوعد » بالعودة إلى أورشليم ، والاستيلاء على « الجويم » = الأيمن أو الغرباء ، وهذا واضح من النص الذى ساقه السّمؤال ، ومن نصوص كثيرة غيره ، (انظر كتاب الصّلاة والسّبت والأعياد ، الصادر عن شركة النشر العبرية) .

ولقد اهتم مؤلف كتاب : التوراة ، تاريخها وغاياتها ، وهو عالم لاهوتى أمريكى ، وترجمه : سهيل ديب ، ونشرته دار النفائس ، اهتم بهذه المسألة ، وقال نقلاً عن كتاب (الصلاة والسبت والأعياد) :

« إنّ صلاة اليهود الأكثر تردداً اليوم هى التالية :

فلتتمجّد ويتقدّس اسم الرب العظيم فى كل العالم الذى خلقه حسب مشيئته وليتحقق ملكه أثناء حياتكم وخلال أيامكم وأثناء حياة كل بنى إسرائيل ، بسرعة ، وفى القريب العاجل ، آمين » .

والمملكة المقصودة هى مملكة يهوه إله إسرائيل .

وإن الموسوعة العبرية - The Feewish Encyclopaedia [نشرت فى الولايات المتحدة ١٩٠٣ - ١٩٠٥] - لتؤكد مسألة « الوعد » هذه ، التى يرددها اليهود فى صلواتهم ، ولم تكن على عهد موسى عليه السلام ، أو خليفته يوشع بن نون ، فتقول تحت مادة : Eschatology : « إن تحطيم جيوش يأجوج ومأجوج ، لا يعنى - كما قال وير خطأ - إباداة عالم الجويم ، عند انتهاء عهد المسيح المنتظر ؛ بل إفناء كل سلطة وبلد تعارض مُلك (يهوه) ... والشعوب التى ستخضع عندئذ للشرعية (يقصد شريعة التلمود) ستبقى على قيد الحياة ... أما الأرض المقدسة نفسها ، فلن يسكن فيها أحد من الغرباء » انظر : التوراة ، تاريخها وغاياتها ص ٤٣ وجاء فى سفر أشعيا (٦٠ : ٢٠) :

« لا تغرب شمسك من بعد ، وقمرك لا ينقص (يقصد مملكة إسرائيل) لأن الرب يكون لك نوراً أبدياً ، وتكون أيام مباحثك قد انقضت ، ويكون شعبك كلهم صيدين ، وإلى الأبد ، يرثون الأرض » .

وفى سفر دانيال عن (نبوءة الوعد) وما يفعله (يهوه) بالغرباء أو الجويم انظر : الإصحاح الثامن : ١٩ ، وانظر : سفر زكريا : ١٤ : ١٢ .

أم هل كانوا يقولون على عهد موسى عليه السلام كما تقولون في كل يوم :
« هاشيب شو فطينوا كبار يشؤنا ويوعصيناو كبتحلا وائبي إثم يروشلام عين قد
سحًا يحيدنوا وناحمينوا بنياناو بأروخ انا أذوناي بوى برشالايم » .

تفسيره (٣ب) :

« أَرَدُّ حَكَمَنَا كَالْأَوَّلِينَ ، وَمَشِيرِنَا كَالْأَبْتَدَاءِ ، وَابْنُ يَرْوَشَلِيمَ ، قَرْيَةِ
قُدْسِيكَ فِي أَيَّامِنَا ، وَعِزَّنَا بَيْنَاتِهَا ، سَبْحَانِكَ ، يَا بَابِي يَرْوَشَلِيمَ ! » .

أم هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد زوال الدولة ؟!

وأما صومُ إحراق بيت المقدس ، وصومُ حصاره ، وصومُ كدليا ، التي
جعلتموها فرضاً ، هل كان موسى [عليه السلام] يصومها ، أو أمر بها هو ،
أو خليفته يوشع بن نون ؟!

أو صومُ صلبِ هامان ؟^(١) .

هل هذه الأمور مفترضة في التوراة ، أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها ،
في هذه الأعصار ؟ .

= « وليس العدول والانصراف عما كان عليه موسى عليه السلام وخليفته يوشع بن
نون ، في الأدعية فحسب ؛ بل وقع تغير وتطويع في أشكال وطقوس العبادة نفسها ، مما يُعَدُّ
نسخاً مُلْزِماً لهم » .

انظر : الدراسة الجيدة التي كتبها الباحث اليهودي : نفتالي فيدر ، ونشرت بالعبرية ،
في أكسفورد عام ١٩٤٧ م ونقلها إلى العربية الدكتور : محمد سالم الجرجع بعنوان :
(التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية) نشر القاهرة ١٩٦٥ . وانظر : إسرائيل في الكتاب
المقدس . بقلم مجموعة من أساتذة اللاهوت ، ترجمة حسني خشبة ١٩٧٢ م مصر .
(١) هامان وزير فرعون وقد جاء ذكره في القرآن الكريم (سورة غافر : آية

(٣٤) .

فإن قالوا : فكيف يلزمنا النسخ ، بهذا^(أ) الأمر ؟ .

قلنا : لأن التوراة نطقت بهذه الآية :

« لَوْثُوا سَيَفُو عَلَى هَدَابَارِ اشِيرَا نُوخَى فَعَوَى اِثْنِمِمْ وَلَوْ نَغِيرَ عَوْمِمِنُو » .

[تفسيره] : « لا تزيدوا على الأمر الذى أنا مُوصيكم به شيئاً ، ولا تنقصوا منه شيئاً » .

وإذا زدتم أشياء من الفرائض فقد^(ب) نَسَحْتُمْ تلك الآية !! .

إثبات النسخ على وجه آخر

نقول لهم :

أليس عندكم أَنَّ الله اختار من بنى إسرائيل الأَبَكَارَ ، ليكونوا خواصَّ في الخدمة للأقداس^(١) ؟ .

فيقولون : بلى .

فنقول لهم :

أليس عندكم أيضاً أَنَّ موسى [عليه السلام] لَمَّا نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَبِيَدِهِ الْأَلْوَحَ ، وَوَجَدَ الْقَوْمَ عَاكِفِينَ عَلَى الْعَجَلِ^(٢) ، وَقَفَ بِطَرْفِ الْمَعْسَكَرِ وَنَادَى :

(أ) فى م : هذا .

(ب) فى م : سقطت كلمة (فقد) .

(١) فى موضوع تقديس البكور عند إسرائيل . انظر : سفر الخروج ١٣ - ١ ،

سفر العدد (٣ - ١١ : ١٣) .

(٢) يتحدث القرآن الكريم بتفصيل عن هذه الواقعة الإجرامية الخبيثة ، يقول عز من قائل : =

= ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون الآيات ﴾ [البقرة : ٩٢ : ٩٣] .

﴿ وإذا وعدنا موسى أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٥١] .

واقرا الآيات ١٥٣ من سورة النساء ، ١٥٨ من سورة الأعراف ، ٨٥ - ٩١ من سورة طه .

والقرآن الكريم يشير إشارة مُعْجِزَةً إلى أن (عبادة العجل) أو (عبادة الأوثان والأصنام) عند اليهود ، قضية راسخة في وجدانهم وضمائرهم ، وقد ظهر ذلك في تاريخ أجيالهم الواقعي - بعد ذلك .
يقول الله عز وجل :

﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ، قُلْ : بِسَيِّئَاتِكُمْ يَأْتُمْكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩٣] .

وجاء في سفر الملوك الأول (١١ : ٢٣) يخاطب الرب سليمان بن داوود ، عليهما السلام قائلاً عن بني إسرائيل : ه .. لأنهم تركوني وسجدوا لعشوت إلهة الصيادين ، ولكموش إله المزيين ، وللكوم إله بني عمون ... الخ » .

وكذلك فإن الأسفار التي بأيدي اليهود تذكر أن يربعام ملك إسرائيل الذي أبدته إسرائيل ضد خليفة النبي سليمان وابنه ه قد عمل (يربعام) ملك إسرائيل - عِجْلِي ذهب وقال لهم : كثير علي أن تصعدوا إلى أورشليم هو ذا إِلَهْتُكِ يا إسرائيل ... ووضع واحداً في بيت إيل ، والآخر في وان ... وعمل يربعام عيداً وأصعدَ للذبح » .

سفر الملوك الأول ١٢ - ٢٥ : ٣٣ .

وتحكي الأسفار أن اليهود قد استجابوا له ، وآزره !!! ومن المدهش حقاً ، أن التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم ، تنسب إلى نبي الله هارون عليه السلام ، صناعة العجل الوثني لبني إسرائيل ، فتقول :

« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذي أصدنا من أرض مصر ، لا نعلم ماذا أصابه !!! »

فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم ، =

من كان لله فليخضرنى .

فانضم إليه بنو ليوى ، ولم ينضم إليه البكور ، على أن مناداته ، وإن كان لفظها يقتضى العموم ، لم يكن أشار بها إلا إلى البكور ، إذ هم خاصة الله يومئذ ، دون أولاد ليوى ، فلما خذله البكور ، ونصره أولاد ليوى ، قال الله لموسى :

= وأتوني بها ، فترع كل الشعب أقرط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل ، وصنعه عجلاً مسبوكاً ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ، ونادى هارون وقال : غداً عيد للرب .

(سفر الخروج - ٢٣ : ١ - ٦)

يتم اليهود نبهم الكريم ، بهذه التهمة النكراء ، بينما يبرئه القرآن الكريم ، ويذكر أن (السامرى) هو الذى صنع لهم عجلاً جسداً له خوار (سورة طه : ٨٥ - ٩١) وقد نهاهم هارون ونصحهم ودعاهم بدعوة الله عز وجل ، لكنهم ﴿ قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ وقد نسبوا النقائص ، ووجهوا التهم إلى رسل الله الكرام : نوح ، ولوط ، وإبراهيم ، ويعقوب ، وداوود ، وسليمان ، وموسى وهارون ، ويظهر أن (الوثنية) رغبة حميمة فى الوجدان اليهودى ، فما كادوا يعبرون البحر مع موسى عليه السلام ، حتى رأوا قوماً يعكفون على عبادة (تمثال) لهم فطالبوه بأصنام يعبدونها ﴿ وجاوزنا بنى إسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون ﴾ [الأعراف : ١٣٨] حقاً إنهم قوم يجهلون !!! .

انظر : للمؤلف اليهودى جورج فايدا : « مقدمة للفكر اليهودى فى العصر الوسيط » نقلها للعربية د. على سامى النشار وعباس الشربيني ص ٤٠ وما بعدها من كتاب المترجمين « الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية » الطبعة الثانية ١٩٧٢ م الإسكندرية .

وانظر : ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٣٧ ، ٣٤٦ .

وانظر للباحث الفرنسى بول ماسون أورسيل : « الفلسفة فى الشرق » ترجمة محمد يوسف موسى ص ٤٠ - ٤١ ، ٧٠ - ٧١ المعارف بمصر ١٩٤٥ م .

وانظر لنا : « النبوة والأنبياء فى التوراة والقرآن » ، و« خصائص النفسية اليهودية فى التوراة والإنجيل والقرآن » .

« وَإِقَاحِ إِثْ هَلَوِيْمِ تَاحَتْ كُلِّ بَخُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

تفسيره : وقد أخذت الليوانيين ، عوضاً عن كل بكر في بني إسرائيل .
وفي عقيب نزول هذه الآية ، أليس أن الله عزل الأبكار عن ولاية الاختصاص ، وأخذ أولاد ليوى عوضاً عنهم ؟ .
فهم لا يقدرّون على إنكار ذلك ، وهذا يلزمهم منه القول بالبداء أو التسخ .

إلزامهم بُؤة المسيح صلى الله عليه وسلم

نقول لهم :

أليس في التّوراة التي في أيديكم :

« لوياسور شبيط ميهودا ومحط قيوميين رغلّاف » .

تفسيره :

« لا يزول الملك من آل يهوذا ، والراسم بين ظهرانهم إلى أن يأتي المسيح » .

ولا يقدرّون على جحده !! .

فنقول لهم :

أفما علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة ومُلك ، إلى ظهور المسيح ، [عليه السلام] ، ثم انقضى ملككم ؟ ! فإن لم يكن لكم اليوم مُلك ، فقد لزمكم من التوراة ، أن المسيح قد أرسل ! .

وأيضاً فإننا نقول لهم :

أليس منذ بُعث المسيح - عليه السلام - استولت ملوك الروم^(١) على اليهود وبيت المقدس (٤أ) ، وانقضت دولتهم ، وتفرق شملهم ؟!

فلا يقدرّون على جحد ذلك إلا بالبهتان ويلزمهم على أصلهم الذى فى التوراة ، أنّ عيسى بن مريم ، [عليه السلام] ، هو المسيح الذى كانوا ينتظرونه .

إلزامهم بُؤّئه وبُؤّة المصطفى عليهما السلام

نقول لهم :

مانقولون فى عيسى بن مريم ؟

فيقولون :

ولّد يوسف النجار سفاحاً^(٢) !!! كان قد عرف اسم الله الأعظم يسخر به كثيراً من الأشياء^(٣) !!! .

فنقول لهم :

أليس عندكم - فى أصح نقليكم - أنّ موسى عليه السلام ، قد أطلعه الله

(١) خضع اليهود للرومان سنة ٣٩ ق.م. فى عهد الحاكم هيرودس والامبراطور الرومانى أغسطس قيصر . انظر : « مصادر التاريخ الرومانى » للدكتور عبد اللطيف أحمد على ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
• يقصد بُؤّة عيسى عليه السلام .

(٢) هذا دأبهم مع رسل الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم .

(٣) فكرة الإحاطة باسم الله الأعظم وتسخير الأشياء به ، فكرة يهودية ، انتقلت إلى النصرانية واتحلها غلاة الباطنية والمتفلسفة من الصوفية . =

على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفاً ، وبه شقّ البحر وعمل المعجزات^(١) !!؟ فلا يقدرّون على إنكار ذلك .

فتقول لهم :

فإذا كان موسى - أيضاً - قد عمل المعجزات بأسماء الله ، فَلِمَ صدّقتُم بنبوّته ، وكذّبتُم بنبوّة عيسى ؟ .

فيقولون : لأن الله تعالى علّم موسى الأسماء ، وعيسى لم يتعلّمها من الوحي ، ولكنه تعلّمها من حيطان بيت المقدس !! .

فتقول لهم :

فإذا كان الأمر الذى يتوصل به إلى عمل المعجزات قد يصل إليه مَنْ لا يختصّه الله به ، ولا يريد تعليمه إياه ، فبأى شيء جاز تصديق موسى ؟ .

= انظر فى ذلك : محيى الدين بن عرى : (الفتوحات) (بدون تحقيق) والأسفار التى حققها د. عثمان يحيى ونشرت فى مصر ، و (فصوص الحكم) بتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى ، ومقالنا فى حولىة دار العلوم - العدد التاسع ١٩٧٩/٧٨ م بعنوان « ابن عرى : الرجل والمذهب » .

ورسالة : « اسم الله الأعظم » لابن عرى والغزالى ، مكتبة الجندى .

(١) وفكرة (الحروف) والتّسخير بها ، فكرة يهودية كذلك ، واستغلها الغلاة من الفلاسفة والصوفية والباطنية ... انظر مثلاً : (رسالة الحروف) لابن مسرّة الصوفى ، نشرها الدكتور محمد كمال جعفر فى كتابه : دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، نشر دار العلوم بمصر ، وهى أفكار أدخل فى باب السّحر والطلسمات والسيميا ، منها إلى العلم الصحيح ، ويعترف بها التلمود .

- وانظر : تاريخ الفلسفة الإسلامية : هنرى كوربان ، ود. عثمان يحيى ، والسيد حسين نصر ، ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٥ ط ٢ بيروت ١٩٧٧ م .

- وانظر : ما كتبه الباحث اليهودى المعاصر (جورج فيدا) عن « القَبَلا » عند اليهود ص ٢٩٣ - ص ٣١١ ، وترجمه دكتور على سامى النشار وعباس الشرينى فى كتاب : الفكر اليهودى وتأثيره بالفلسفة الإسلامية ، ط ٢ ١٩٧٢ م .

فيقولون :

لأنه أخذها عن ربه .

فنقول :

وبأى شيء عرفتم أنه أخذها عن ربه ؟ .

فيقولون :

بما تواتر من أخبار أسلافنا^(أ) !! .

وأيضا فإننا نلجئهم إلى نقل أسلافهم ، بأن نقول لهم : بماذا عرفتم نبوة موسى ؟ .

فإن قالوا :

بما عمله من المعجزات !

قلنا لهم :

وهل فيكم من رأى هذه المعجزات ؟ .

ليس هذا - لعمرى ! - طريقاً إلى تصديق النبوات لأن هذا كان يلزم منه أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام ، باقية من بعدهم^(١) ، ليراها كل جيل فيؤمنوا بها !! .

وليس ذلك بواجب ، لأنه إذا اشتهر النبي في عصر ، وصحت بُبُوته في ذلك العصر بالمعجزات التي ظهرت منه لأهل عصره ، ووصل خبره إلى أهل

(أ) في : م (أسلافهم) .

(١) انظر بحثنا : « الإسلام والعلم التجريبي » بحولية المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض ، العدد الخامس ، ص ١٦٢ وما بعدها .

عصر آخر ، وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه لأن المتواترات والمشهورات ، مما يجب قبولها في العقل - وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، صلوات الله عليهم وسلامه ، في هذا الأمر متساوون .

ولعل تواتر الشهادات بنبوة موسى ، أضعف من تواتر الشهادات بنبوة عيسى ومحمد ؛ لأن شهادة المسلمين والنصارى بنبوة موسى ، ليست إلا بسبب أن كتابيهما شهدا له بذلك^(١) ، فتصديقهم بنبوة موسى فرغ عن تصديقهم بكتابيهما .

وأما معجزة القرآن فإنها (٤ب) ، وإن كانت باقية ، فتلك فضيلة زائدة ، لا يحتاج إلى كونها سبب الإيمان .

فأما من أعطى ذوق الفصاحة ، فإن إيمانه بإعجاز القرآن إيمان من شاهد المعجزة ، لا من اعتمد على الخبر ! إلا أن هذه درجة لم يرسخ بها كل واحد .

(١) جاء في الإصحاح الخامس من إنجيل متى ما نسب إلى المسيح عليه السلام : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس - التوراة - أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لأكمل » .

وفي الإصحاح الثالث والعشرين ، ما نسبته متى إلى المسيح عليه السلام : « خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً :

على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون !! » .

أما دعوة القرآن الكريم إلى الإيمان بالرسول أجمعين ، فهي سمة بارزة في هذا الكتاب العظيم ، يقول تعالى :

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ... الآية ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

فإن قالوا :

إنَّ نبينا يشهد له جميعُ الأمم ، فالتواتر به أقوى . فكيف تقولون إنه أضعف ؟ ! .

قلنا :

أو كان إجماعُ شهادات الأمم ، صحيحاً لديكم^(أ) ؟

فإن قالوا :

نعم ! .

قلنا :

فإنَّ الأمم الذين قبلتم شهادتهم ، مجمعون على تكفيركم وتضليلكم ! ، فيلزمكم ذلك ؛ لأنَّ شهادتكم عندكم مقبولة !! .

فإن قالوا :

لا نقبل شهادة أحد - لم يبق لهم تواتر إلا من طائفتهم ، وهى أقل الطوائف عدداً فيصير تواترهم وشرعهم ، لذلك ، أضعف الشرائع !! .
ويلزمهم مما تقدم أنَّ كل من أظهر معجزاتٍ ، شهد بها التواتر مُصدِّق في مقالته .

ويلزمهم من ذلك ، التصديقُ بنبوَّة المسيح والمصطفى ، عليهما السلام .

(أ) فى : م تغيير فى العبارة .

فصل فيما يكونه عن عيسى عليه السلام

هم يزعمون أنه كان من العلماء ، لا من الأنبياء ، وأنه كان يُطَبَّبُ المَرْضَى بالأدوية ، ويوهمهم^(١) أن الانتفاع إنما حصل لهم بدعائه !! .
وأنه أبرأ جماعة من المرضى^(أ) من أسقامهم ، في يوم السبت^(٢) ، فأثكرت عليه اليهود ذلك .

(أ) سقطت من الأصل ، وذكرت في : م .
(١) انظر رأيهم في الأنبياء عليهم السلام في بحث : « موقف بنى إسرائيل من أنبيائهم » بكلية الدعوة والإعلام ١٤٠٥ هـ .
وانظر لابن كموه اليهودى المتوفى ٦٨٣ هـ كتابه : (تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث) ص ٦٦ .
(٢) تقديس السبت جزء من عقيدة يهود الراسخة في توراتهم وأصل فكرة تقديس السبت ، هو : زعمهم بأن الله تعالى وجل ، قد خلق السموات والأرض في ستة أيام فتعب ، واستراح وتنفس في اليوم السابع ، فأمرهم - بزعمهم - أن يَسْتَبُوا فيه ، أى يرتاحوا ، ولا يقوموا بأى عمل من أى نوع ... ولقد كذبهم القرآن العظيم قال تعالى (في سورة ق : ٣٨ - ٣٩) :

﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ، فاصبر على ما يقولون ... ﴾ الآيات : أى ما مسنا من تعب ولا نصيب ، فاصبر على قول اليهود ، ولقد جاء في التوراة (خروج ٣١ - ١٢ - ١٨) حديث مفصل عن السبت : « وكلم الرب موسى قائلاً ... سُبُّوتى تحفظونها ؛ لأنه علامة بينى وبينكم في أجيالكم ... فتحفظون السبت لأنه مقدس ، مَنْ دُسَّه ، يقتل قتلاً ، إن كل من عمل فيه عملاً تقطع تلك النفس من شعبها ، ستة أيام يُصنع عمل ، أما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب ... لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض ، وفي اليوم السابع استراح وتنفس » !!

﴿ كَبُرَتْ كلمة تخرُجُ من أفواههم !! إن يقولون إلا كذباً ﴾ [الكهف : ٥] .
ويسجل القرآن العظيم - بتفصيل - أن اليهود لم يلتزموا بالسبت ، ولم يحفظوا العهد الذى قطعوه ووثقوه - برعايته ، وإنما احتالوا - بخبث ومكر - لكسره ونقض عهده ، فلعنهم الله ، وغضب عليهم ، وجعل منهم القردة والخنازير . قول سبحانه :

فقال لهم :

أنخبروني عن الشاة من الغنم ، إذا وقع في البئر يوم السبت ، أما تنزلون إليه وتُحلُّون السبت لتخليصه ؟ .

قالوا :

بلى !

قال : فَلِمَ أَحَلَّيْتُمْ السَّبْتَ لتخليص الغنم ، ولا تُحلُّونه لتخليص الإنسان ، الذى هو أكبر حَرَمَةً من الغنم ؟ ! .

فأفحمهم ولم يؤمنوا !! .

وأيضاً فإنهم يحكون عنه أنه كان مع قوم من تلاميذه في جبل ، ولم يحضرهم الطعام ، فأذن لهم في تناول الحشيش في يوم السبت .

فأنكرت عليه اليهود ، قطع الحشيش في يوم السبت .

فقال لهم :

أرايتم ، لو أنّ أحداً ، لو كان وحيداً ، مع قوم على غير ملته ، وأمره بقطع الثبات ، في يوم السبت وإلقائه لدوابهم ، لا يقصدون بذلك كسر السبت ، ألستم تُجيزون له قطع الثبات ؟ .

= ﴿ ... أو نلغنههم كما لَعَنَّا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً ﴾ [النساء : ٤٧] .

ويقول سبحانه :

﴿ وأسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر ، إذ يعدون في السبت ، إذ تأتيم حيتانهم يوم سبّهم شرعاً ، ويوم لا يسبّون لا تأتيم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ [الأعراف : ١٦٣] .

قالوا :

بلى ! .

قال : فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَمَرْتَهُمْ بِقَطْعِ الثَّيِّبَاتِ لِأَكْلِهِ ، وَلِيُغْتَدُوا بِهِ ، لَا لِلطَّعْنِ فِي أَمْرِ السَّبْتِ .

كل ذلك ملاطفة منه لعقولهم التي لَا يَنْطَبِعُ فِيهَا النَّسْخُ^(١) ! ولئن كان ما يحكونه من ذلك صحيحاً ، فلعله كان في ابتداء ظهور أمر المسيح^(٢) عليه السلام .

(١) أى لَا يَقْرُونَ بَأَن الشَّرَائِعَ وَالنِّظْمَ تَتَطَوَّرُ وَتَتَغَيَّرُ عَلَى أَيْدَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أَمَّا الْعَقِيدَةُ أَوْ الْإِيمَانُ فَأَمْرُهَا رَاسِخٌ ثَابِتٌ وَاحِدٌ . وانظر للكاتب اليعقوبى : أئى على عيسى بن إسحق بن زرة المنطقى ، المتوفى سنة (٣٩٨ هـ - ١٠٠٧ م) رسالته : « المواضع التي فيها الاختلاف بين اليهود والنصارى ، وهي نسخ الشريعة التي أئى بها موسى ، ومجىء السيد المسيح ، والتثليث ، والاتحاد الذى يقول به النصارى فى المسيح ، والقيامة العامة » نشرة الأب بولس سباط ١٩٢٩ م القاهرة .

(٢) عن رأى اليهود فى عيسى عليه السلام ، عن الحوار الذى جرى بينه وبينهم انظر : إنجيل متى : الإصحاح ١٢ / ١ : ١٢

« فى ذلك الوقت ذهب يسوع فى السبت بين الزروع ، فجاع تلاميذه ، وابتدأوا يأكلون ، ... فالفريسيون لما نظروا قالوا له : هوذا تلاميذك يفعلون مالا يحلّ فعله فى السبت ، فقال لهم : أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ؟! ...
أما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت - فى الهيكل - يدبسون السبت وهم أبرياء ...

فسألوه قائلين : هل يحل الإبراء فى السبت ؟ لكى يشتكوا عليه ! فقال لهم : أى إنسان منكم يكون له خروف واحد ، فإن سقط هذا فى السبت فى حفرة ، أفما يمسه ويقيمه ؟! فلإنسان كم هو أفضل من الخروف ! إذاً يحل فعل الخيرات فى السبت ... » .
وكان رأى المسيح فى اليهود المعاصرين له ، أنهم « جيل شرير وفاسق » (متى

ذِكْرُ الآيَاتِ وَالْعَلَامَاتِ - الَّتِي فِي التَّوْرَةِ - الدَّالَّةُ عَلَى نُبُوَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

إِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَجْحَدُوا هَذِهِ الْآيَةَ ، مِنْ الْجُزْءِ الثَّانِي ، مِنْ السَّفَرِ
الْخَامِسِ ، مِنْ التَّوْرَةِ :

« نَأْيِ أَقِيمِ لَاهِيمَ مَقَارِبَ اجْتِهِيمِ كَامُوخَا إِيْلَا وَيَشْمَاعُونَ » .

تفسيره :

« نَبِيًّا أَقِيمُ لَهُمْ ، مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ ؛ بِهِ فَلْيُؤْمِنُوا » .

وإنما أشار بهذا^(أ) إلى أنهم (هـ) يؤمنون بمحمد ﷺ .

فإن قالوا :

إنه قال :

من وسط إخوتهم ، وليس في عادة كتابنا أن يعنى بقوله : « إخوتكم »
إلا بني إسرائيل .

= ٣٩/١٢) « وأن قلب هذا الشعب - اليهودى - قد غلظ ، وأذانهم قد ثقل سماعها ،
وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ، ويسمعوا بأذانهم ، ويفهموا بقلوبهم » (متى
١٤/١٣) .

وانظر : متى ١٣/٢٣ - ٣٩ حيث يقول المسيح عنهم :

« ويل لكم أيها المراءون .. ويل لكم أيها القادة العميان .. أيها الحيات أولاد
الأفاعى ... » .

وعن عاصمتهم أورشليم يقول : « يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ... » إلى
آخره .

(أ) في : م : (هذا) .

قلنا :

بلى ، فقد جاء في التوراة « إخوتكم بنو العيص » ، وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس قوله :

« أَتَيْمٌ عَوِيرِيمٌ يَقْبُولُ أَحْيَحَمُ بَنِي عَيْسَا وَهِيَو شَيْمٌ بَسِيعِيرٌ » .

تفسيره :

« أنتم عابرون في تُخَمِ إخوتكم بنى العيص المقيمين في سِغِير ، إياكم أن تَطْمَعُوا في شيءٍ من أرضهم » .

فإذا كان بنو العيص إخوةً لبنى إسرائيل ؛ لأنَّ العيص وإسرائيل ولدا إسحاق ، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع وَلَدِ إبراهيم .

وإن قالوا :

إنَّ هذا القول إنما أُشير به إلى شموئيل ، النبی عليه السلام ، لأنَّه قال :
« مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلُكَ » .

وشموئيل كان مثل موسى ؛ لأنه من أولاد ليوى - يعنون : من السَّبَط الذى كان منه موسى .

قلنا لهم :

فإن كنتم صادقين ، فأى حاجةٍ بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموئيل^(١) ، وأنتم تقولون إن شموئيل لم يأت بزيادة ولا بنسخ ؟! أأشقى من أن لا تقبلوه ؟! .

(١) مما يجدر ذكره أن الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ ، قد استفاد فائدة عظيمة من كتاب الإمام السَّمَوَال بن يحيى : « إفحام اليهود » في مناقشته اليهود وإظهار مخاريقهم وفضائحهم ، ونقل فصولاً بأكملها ، ولخص فصولاً أخرى =

إِنَّهُ^(١) إِنَّمَا أَرْسَلَ لِيَقْوَى أَيْدِيكُمْ عَلَى أَهْلِ فِلَسْطِينَ ، وَلِيُرِدَّكُمْ إِلَى شَرَعِ التَّوْرَةِ .

وَمَنْ هَذِهِ صَفَتُهُ ، فَأَنْتُمْ أَسْبَقُ النَّاسِ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُخَافُ تَكْذِيبَكُمْ لِمَنْ يَنْسَخُ مَذْهَبَكُمْ وَيَغَيِّرُ أَوْضَاعَ دِيَانَتِكُمْ ، فَالْوَصِيَّةُ بِالْإِيمَانِ بِهِ^(٢) مِمَّا لَا يَسْتَفْنِي مِثْلَكُمْ عَنْهُ .

وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِمُوسَى حَاجَةٌ أَنْ يُوصِيَكُمْ بِالْإِيمَانِ بِنُبُوَّةِ أَرْيَا وَأَشْعِيَا^(٣) وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

= وَأَثْبَتَهَا فِي كِتَابِهِ : « هِدَايَةُ الْخِيَارَى فِي أَجْوِبَةِ الْيَهُودِ وَالتَّصَارِيِّ » .

وَابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - لَمْ يَشِرْ إِلَى الْإِمَامِ السَّمَوَالِ إِشَارَةً صَرِيحَةً ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ مَا نَصَّهُ :

« وَقَالَ بَعْضُ أَكْبَرِهِمْ بَعْدَ إِسْلَامِهِ » . قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مِنْ كِتَابِهِ عِدَّةَ صَفَحَاتٍ ، ثُمَّ أَثْبَتَ عِدَّةَ صَفَحَاتٍ أُخْرَى بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ قَطَّ اسْمَ السَّمَوَالِ ، كَمَا أَنَّهُ نَقَلَ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ « أَحْكَامُ أَهْلِ الذِّمَّةِ » ج ١ ص ١٦٩/٢٦٧ بِتَحْقِيقِ صَبْحِيِّ الصَّالِحِ . وَفِي كِتَابِهِ : « إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ » بِحَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهُ قَدْ اعْتَمَدَ ، اعْتِمَاداً كَلِيّاً فِي مُجَادَلَتِهِ يَهُودَ - عَلَى كِتَابِ الْإِمَامِ السَّمَوَالِ بْنِ يَحْيَى « مِنْ عِلْمَاءِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِجْرِيِّ » كَمَا أَنَّهُ اسْتَفَادَ بِشَكْلٍ مُبَاشَرٍ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامِ الْقُرَافِيِّ : الْمُتَوَفَى عَامَ ٦٨٤ هـ ، : الْمُسَمًّى : « الْأَجْوِبَةُ الْفَاخِرَةُ عَنْ الْأَسْئَلَةِ الْفَاجِرَةِ » .

قَارَنَ : (هِدَايَةُ الْخِيَارَى) ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥) طَبْعَةُ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ ١٣٩٦ هـ) .

(أ) فِي : م : لِأَنَّهُ .

(١) إِى بِمَنْ يَغَيِّرُ وَيَنْسَخُ دِيَانَتَكُمْ .

(٢) مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بِشَرَعٍ نَاسَخٍ أَوْ مُبَدِّلٍ لِلتَّوْرَةِ ، وَمَنْ ثُمَّ فَلَمْ تَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِاتِّبَاعِهِمْ وَتَصَدِيقِهِمْ .

وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى (١) ﷺ ، وأتباعه .

(١) مما يجدر ذكره هنا أن كل من كتب في بشارات الكتب السابقة : (العهد القديم والعهد الجديد) نبوة محمد ﷺ ، قد ذكر هذه الفقرة من التوراة ، انظر مثلا :
• كتاب « الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ » للمهتدى على بن ربّين الطبرى ، من علماء القرن الثالث للهجرة .

- وكتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم .
 - وكتاب « تثبت دلائل النبوة » للقاضي عبد الجبار الهمداني .
 - وكتاب « النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة التصرائية » لنصر بن يحيى المتطبب .
 - وكتاب « الأجوبة الفاخرة » للقرافي الصنهاجي .
 - وكتاب « إظهار الحق » لرحمة الله الكيرانوى الهندى .
 - وكتاب « مسالك النظر في نبوة سيد البشر » لسعيد بن الحسن الإسكندراني .
- كما أنّ أكثر من كتبوا في : « دلائل النبوة وعلاماتها » قد ذكروا هذه الفقرة وأشباهها ، انظر مثلا :

« دلائل النبوة » لابن قتيبة الدينورى ، و « دلائل النبوة » لأبى نعيم صاحب الحلية ، و « دلائل النبوة » لليبقي ، و « إثبات نبوة النبي ﷺ » لأبى الحسن أحمد بن الحسين بن هارون الزيدى المتوفى ٤٢١ هـ ، و « أعلام النبوة » للماوردى ، و « تثبت الدلائل » للقاضي عبد الجبار ، و « الوفاء بأحوال المصطفى » لابن الجوزى ، و « الخصائص الكبرى » للسيوطى ... إلى آخره .

الإشارة إلى اسمه في التوراة

قال الله تعالى في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة ، مخاطباً إبراهيم^(أ) الخليل ، عليه السلام :

« وأما في إسماعيل فقد قَبِلْتُ دُعَاءَكَ ، هاأنا قد باركت فيه ، وأُثِمِرَهِ وأكثره جداً جداً » .

ذلك قوله :

« وليشما عيل شمعيحاً هني ييرختي أونوا وهفريشي أوثوا وهز ييشي أوثوا بمادام » .

فهذه الكلمة : « بمادام » ، إذا^(ب) عددنا حساب حروفها بالجمال^(١) ، كان :

• يقصد الرسول المصطفى (محمد ﷺ)

(أ) في الأصل ، و : م « لإبراهيم » .

(ب) إذا ساقطة من الأصل .

(١) طريقة معروفة في الحساب القديم ، وهو قائم على أن كل حرف من حروف الأبجدية يساوى عدداً معيناً كالتالي :

أ = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، د = ٤ ، هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ،
ط = ٩ ، ي = ١٠ ، ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، س = ٦٠ ، ع = ٧٠ ،
ف = ٨٠ ، ص = ٩٠ ، ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ، ت = ٤٠٠ ،
ث = ٥٠٠ ، خ = ٦٠٠ ، ذ = ٧٠٠ ، ض = ٨٠٠ ، ظ = ٩٠٠ ، غ = ١٠٠٠ .

وبحساب الحروف هذا تكون « بمادام » تساوى :

ب = ٢ + م = ٢ + ٤٠ = ٤٢ ، أ = ١ + د = ١ + ٤ = ٥ ، م = ٤٠ + أ = ٤٠ + ٥ = ٤٥ ،
فيصبح مجموع هذه الحروف كالتالي :

اثنين وتسعين ، وذلك عدد حساب حروف اسم (محمد) ﷺ ، فإنه أيضاً اثنان وتسعون .

وإنما جعل ذلك في هذا الموضوع مُلغِزاً^(١) ؛ لأنه لو صُرح به لبَدَّته اليهود ، أو أسقطته^(٢) من التوراة ، كما عملوا في غير ذلك !! .

فإن قالوا :

إنه قد يوجد في التوراة عدد كلمات مما يكون عدد حساب حروفه مساوياً لعدد حساب حروف اسم زيد وعمرو وخالد وبكر ، فلا يلزم من ذلك أن يكون زيد وعمرو وخالد وبكر أنبياء .

فالجواب :

إنَّ الأمر كما يقولون ، لو كان لهذه الآية أسوةٌ بغيرها من كلمات التوراة ، لكنَّا نحن نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها من سائر التوراة .

وذلك أنه ليس في (٥ب) التوراة من الآيات ، ما حاز به إسماعيل الشرف ، كهذه الآية ؛ لأنها وُعِدَّ من الله لإبراهيم بما يكون من شرف إسماعيل ، وليس في التوراة آيةٌ أخرى مشتملةٌ على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر^(٣) !! .

$$= ٤٧ + ٤٥ = ٩٢ \text{ وهو عدد حروف اسم: محمد .}$$

$$م = ٤٠ + ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤ \text{ والمجموع } ٩٢ \text{ حرفاً .}$$

(١) لا يبين إلّا لمن يعين النظر والتأمل فيه .

(٢) وهو أعرف بهم في التبديل والتحريف ومن أجل ذلك كان هجوم اليهود عليه عنيفاً مسعوراً ، انظر مثلاً :

« تنقيح الأبحاث » لابن كمونة اليهودي ، في مواضع متفرقة .

(٣) لقد استخرج - من قبل - المهتدي على بن ربن الطبرى (من علماء القرن =

ثم إننا نُبَيِّنُ أَنَّهُ ليس في هذه الآية كلمة تساوى « بمادماذ » التي معناها :
(جداً جداً) .

وذلك أَنَّها كلمةٌ المبالغة من الله سبحانه ، فلا أسوة لها بشيءٍ من كلمات
الآية المذكورة .

وإذا كانت هذه الآية ، أعظم الآيات مبالغةً في حق إسماعيل وأولاده ،
وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقى كلمات تلك الآية ، فلا عجب أن
تتضمَّن الإشارة إلى أَجَلٍ أولاد إسماعيل شرفاً وأعظمهم قدراً ، صلى الله عليه وآله
وصحبه وسلم^(١) .

وإذ قد بيَّنا أَنَّهُ ليس لهذه الكلمة أسوةٌ بغيرها ، من كلمات هذه الآية ،
ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة ، فقد بطل اعتراضهم .

= الثالث الهجرى (أنْ عِدَّة حروف كلمة (الفار قليط) الواردة في الإصحاح الخامس عشر
من إنجيل يوحنا ، هى نفس عدة حروف اسم محمد ﷺ ، وأورد على نفسه نفس شبهة
الخصم التى أوردها السَّمَوَال هنا ، وأجاب عليها بنفس هذا الجواب ، انظر له : « الدين
والدولة » ص ١٨٥ الطبعة الثالثة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
(١) انظر : للقرافى آخر كتابه : الأجوبة الفاخرة فى الرد عن الأسئلة الفاجرة فى الرد
على اليهود والنصارى ، وهو قيد التحقيق ، وانظر كذلك : لرحمة الله الهندى : « إظهار
الحق » ، نشرة عمر الدسوقى ، طبعة قطر .

ذكر الموضع الذى أشير فيه إلى بُوَّة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام

« وَأَمَّا أَذُنَايَ مِسْنَانِ إِشْكَلَى وَدَبْهُوزَ بَقَانِهِ مِسْعِيرِ اثْحَزَى لَأَنَا اسْتَحْيَى
يَغْبُورْتِيَه تَمَلْ طُورَادَ فَارَانَ وَعَمِّيَه رَبَّوَاتِ قَدِيسِينَ » .

تفسيره :

قال : « إن الله تعالى من سيناء تجلَّى^(أ) ، وأشرق نوره من سيناء ، وأطلع
من جبال فاران ومعه ربوات القديسي » .

وهم يعلمون أن جبل سيناء^(ب) هو جبل الشراة الذى فيه بنو العيص ،
الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ، بل فى هذا الجبل كان مقام المسيح ، عليه
السلام . ويعلمون أن سيناء ، هو جبل الطُور ، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران
هو جبل مكة .

وفى الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة^(١) ، التى كانت مقام بُوَّة هؤلاء
الأنبياء ، ما يقتضى للعقلاء ، أن يبحثوا عن تأويله المؤدَّى إلى الأمر باتباع
مقاتلهم .

(أ) فى : م ، يتجلَّى .

(ب) هذا الكلام ساقط من الأصل ، وأثبتناه ، معتمدين على النص العبرى المتقدم ،
وعلى التفسير اللاحق ، وعلى نسخة : م ؛ ولأن الكلام لا يصح بدون ذكره .

(١) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن كل من تحدث عن نبوءات الكتب القديمة وبشاراتها
ببعثة محمد ﷺ ، - تقريبا - من المهتدين إلى الإسلام أو من المسلمين قد استدلل بهذا النص
التوراتى . وكذلك من كتبوا فى دلائل نبوة محمد ﷺ وأعلامها ؛ بل إن بعض الباحثين قد
ربط بين هذا النص وبين صدر سورة ﴿التين والزيتون﴾ فى القرآن الكريم : قال تعالى : =

فأما الدليل الواضح من التوراة ، على أنَّ جبل فاران . هو جبل مكة ، فهو
أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليه السلام . سكن إسماعيل في بَرِّيَّة فاران .
ونطقت التوراةُ بذلك في قوله :

« ويسبب بمذبار فاران وتقاح لو إمو إشأميآء يزمن مصرإيم » .

تفسيره :

« وأقام في بَرِّيَّة فاران ، وأُنكحَتْهُ أُمُّهُ امرأة من أرض مصر »^(١) .

فقد ثبت في التوراة ، أنَّ جبل فاران ، مسكن لآل إسماعيل .

وإذا كانت التوراة قد أشارت ، في الآية التي تقدم ذكرها . إلى ثُبُوتِ تَنَزُّلِ
على جبل فاران ، لزم أنَّ تلك الثبوتة على آل إسماعيل ؛ لأنَّهم سكانُ فاران .
وقد علم النَّاس قاطبة ، أنَّ المشار إليه [بالثبوتة]^(أ) من وَلَدِ إسماعيل :

= ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ، وَطُورِ سِنِينَ ، وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ .

● فالتين والزيتون فيه إشارة إلى مكان بعثة عيسى ﷺ .

● وطور سنين إشارة إلى نبوة موسى ﷺ .

● وهذا البلد الأمين : أم القرى ، فيه إشارة إلى نبوة محمد ﷺ .

انظر مثلاً : « الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح » لابن تيمية ، طبعة المدنى ،
بالقاهرة .

وانظر : « هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى » لابن القيم الجوزية ، طبعة
مكتبة المعارف بالرياض ، وطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(١) جاء في سفر التكوين (٢١ - ٢١)

« وسكن في بَرِّيَّة فاران ، وأخذت له أُمُّهُ زوجة من أرض مصر » .

(أ) سقطت من الأصل ، وذكرت في : م ، وإثباتها أولى .

محمد ﷺ ، وأنه بُعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل .

فَدَلَّ ذلك على أَنَّ جبال فاران ، هي جبال مكة ، وأنَّ (٦ أ) التوراة أشارت في هذا الموضع ، إلى بُبُوَّة المصطفى ، صلوات الله وسلامه عليه ، وبشَّرت به ، إِلَّا أَنَّ اليهود ؛ لجهلهم وضلالهم لَا يُحْسِنُونَ الجمع بين هاتين الآيتين .

بل يسلّمون المقدمتين ، ويبحدون^(١) النتيجة ، لفرط جهلهم .

وقد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس من الفطنة والرأى !! .

ذلك قوله تعالى :

« كى بمو أو باذ عيصوث هيما وأئن باهم تبونا » .

تفسيره :

« إنهم لشعبٌ عادم^(١) الرأى ، وليس فيهم فطنة » .

(أ) فى : م ، سقطت كلمة يبحدون ، ووضعت كلمة : لا .

(١) فى الترجمة المعاصرة : عديم الرأى .

فصل

في إبطال ما يدعونه من محبة الله إياهم

هم يزعمون أن ، الله سبحانه وتعالى ، يُحبُّهم ، دون جميع الناس ، ويحبُّ طائفتهم وسلاطنتهم^(١) ، وأن الأنبياء والصالحين لا يختارهم الله ، إلا منهم !! .
ونحن نناظرهم على ذلك .

فقول لهم :

ما قولكم في أيوب النبي - عليه السلام - ؟
أتقرّون بنبوّته ؟ .

فيقولون :

نعم .

(١) جاء في سفر التثنية ١٤ - ٢ .

« ... لأنك - إسرائيل - شعب مُقدَّس للرب إلهك ، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » .

وجاء في القرآن العظيم نقضٌ لهذا الزعم ، ودحضٌ ماحق لتلك الدعوى ، يقول سبحانه :

﴿ وقالت اليهود والتصارى : نحن أبناء الله وأحبّاءه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟! بل أنتم بشرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ [المائدة : ١٨] .

وقال سبحانه :

﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمتوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنّوه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليمٌ بالظالمين ﴾ [الجمعة : ٦ ، ٧] .

فنقول لهم :

هل هو من بنى إسرائيل ؟ .

فيقولون :

لا .

فنقول لهم :

ما تقولون في جمهور بنى إسرائيل ، أعنى التسعة أسباط والنصف الذين أغواهم (يربعام بن نباط)^(١) ، الذى خرج على ولد سليمان بن داوود - عليهما السلام -^(أ) ، وصنع لهم الكيشين من الذهب وعكف على عبادتهما جماعة بنى إسرائيل ، وأهل جميع ولاية^(ب) دار ملكهم^(٢) الملقبة يومئذ (بشومرون) ، إلى أن

(١) انظر عن (يربعام بن نباط) حاشية ص ٢٠ ، وانظر كذلك قصته بالتفصيل في سفر الملوك الأول ، ١٢ - ٢٥ : ٣٣ من طبعة البروتستانت ١٩٧٠ م .

(أ) تسقط نسخة م : عليها السلام ، في كل موضع يقتضى ذكرها .

(ب) في : م : ولايته ، وهو غير صحيح .

(٢) هذا دينهم ، رغم أن أسفارهم قد نتهب عن ذلك ، وحذرهم ربهم ، على لسان نبيائهم ، من الانحياز إلى الوثنية ، في أى صورة من صورها .

جاء في سفر اللاويين (٢٦ : ١ - ٢) :

« لا تصنعوا لكم أوثاناً ، ولا تقيموا لكم تمثالاً منحوتاً أو نصبا ، ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له لأئى أنا الرب إلهكم » .

لكن وقع منهم ذلك وأصرّوا عليه ، وما ذلك إلا « لأن كل بيت إسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب ... إنهم بيت متمرّد » .

تلك شهادة سفر حزقيال فيهم على لسان ربهم !!! (٣ - ٨ : ٩) .

ولا شك أن أسفارهم وأنبياءهم أعرف بهم !! فشهادتهم عليهم ، شهادة حق وصدق ! .

جرت الحرب بينهم وبين السبطين والنصف ، الذين كانوا مؤمنين مع ولد سليمان
في بيت القدس ، وقتل في معركة واحدة خمسمائة ألف إنسان ؟ .

فما تقولون في أولئك القتل بأسرهم وفي التسعة أسباط والنصف .

هل كان الله يحبهم لأنهم إسرائيليون ؟ .

فيقولون :

لا ، لأنهم كفار !! .

فنقول لهم :

أليس عندكم في التوراة ، أنه لا فرق بين الدخيل في دينكم ، وبين الصريح
النسب ؟^(أ) .

فيقولون :

بلى ! لأن التوراة ناطقة بهذا :

« ككبر كما إن راح كاخيم يمي نفنى أذوناى » .

تفسيره : إن الأجنبي والصريح النسب منكم سواء عند الله « تورا أحات
ومسقاط إينحاذ يمي لأخيم ويكبر هكار يثوخخيم » .

تفسيره :

« شريعة واحدة وحكم واحد ، يكن لكم والغريب الساكن فيما
بينكم » .

فإذا اضطررناهم إلى الإقرار بأن الله لا يحب الضالين منهم ، ويحب
المؤمنين من غير طائفتهم ، ويتخذ أنبياء وأولياء من غير سلالتهم ، فقد نقوا
ما ادعوه من اختصاص محبة الله سبحانه وتعالى بطائفتهم من بين المخلوقين !! .

(أ) في : م ، كلمة منكم زيادة على الأصل .

فصل

في ذكر طرف من كفرهم وتبديلهم !!

إِنَّ مِنْ سَبِيلِ ذَوِي التَّخْصِيلِ ، أَنْ يَتَجَنَّبُوا الرِّذَائِلَ ، وَيَتَنَفَّرُوا مِمَّا قَبَحَ فِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ ، وَرَجَحَ (٦ب) تَزْيِيفُهُ عِنْدَ الْأَفْهَامِ الْمُسْتَقِيمَةِ .

ولهذه الطائفة من فُتُون الضَّلَالِ والاختلال ، ما تَنَأَى (أ) عن مثله العقول ، ويخالفه المعقول والمشروع !! .

فمن ذلك أَنَّهُمْ مع ذهاب دولتهم ، وَتَفَرُّقِ شَمْلِهِمْ ، وَعِلْمِهِمْ ، بِالغَضَبِ الْمُدَوَّدِ عَلَيْهِمْ ، يَقُولُونَ في كل يوم ، في صلواتهم ، أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ . ذلك قولهم كل يوم في الصلوات (ب) :

« آهَبَانْ غُولَامْ أَهْبَتَانُو أَذُونَايْ أَلُو هِينُوا » .

تفسيره :

حبة الدَّهْرِ أَحْبَبْتَنَا يَا إِلَهَنَا !!! .

« هَسِييِينُو أَيْنُوا لثُورْ أَثِيخَا » .

تفسيره :

أَرْدُذْنَا يَا أَبَانَا إِلَى شَرِيعَتِكَ .

« أَيْنُو ، مَلَكِينُو ، أَلُو هِينُو » .

(أ) في : م : تنفر .

(ب) في : م : الصلاة (بالافراد)

تفسيره :

يا أبانا ، يا مَلِكَنَا يا إِلَهَنَا .

« أَتَا أَذُونَايَ أَبْنِيُو كَوَالِينُو » .

تفسيره :

أَنْتَ - اللَّهُم - أبونا وَمُنْقِدُنَا .

« وَأَيْثَ كُلِّ رَوْذٍ فِي بَاتِيخَا وَأَوَيْتِي عَدَانِيخَا كَوَلَامَ كَسَامُوِيَامِ إِيجَادِ مِيهِمِ
لُونُوثَارِ » .

تفسيره :

وجميع الذين اقتفوا أثر^(أ) نبيِّكَ وأعداء جماعتك كلَّهم غطَّاهم البحرُ ،
واحد منهم لم يبق !!

وَيُمَثِّلُونَ أَنْفُسَهُمْ « بَعْنَا قَيْدَ الْعَنْبِ » ، وسائر الأمم بالشُّوكِ المحيط بأعلى
حيطان الكرم !! .

وهذا مِنْ قِلَّةِ عَقُولِهِمْ ، وفساد نظرهم ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى بِمَصَالِحِ الْكَرَمِ ، إِنَّمَا
يَجْعَلُ عَلَى أَعَالَى حَيْطَانِهِ الشُّوكَ حِفْظًا وَحِيَاطَةً لِلْكَرَمِ .

ولسنا نرى لليهود ، مِنْ بَقِيَّةِ الْأُمَمِ ، إِلَّا الضَّرَرَ وَالذَّلَّ وَالصَّغَارَ ، وذلك
مُبْطِلٌ لِقَوْلِهِمْ .

وَيَنْتَظِرُونَ قَائِمًا يَأْتِيهِمْ ، مِنْ آلِ دَاوُدَ النَّبِيِّ إِذَا حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بِالْذِّعَاءِ مَاتَ
جَمِيعُ الْأُمَمِ ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا الْيَهُودُ !! .

وَأَنَّ هَذَا الْمُنْتَظَرَ - بِزَعْمِهِمْ - هُوَ الْمَسِيحُ الَّذِي وُعدوا بِهِ .

(أ) (أثر) ساقطة من : م .

وقد كان الأنبياء ، عليهم السلام ، ضربوا لهم أمثالاً أشاروا بها إلى جلالة دين المسيح ، وخضوع الجبارين لأهل ملته وإتيانه بالنسخ العظيم ؛ فمن ذلك قول (يشعيا)^(١) في نبوءته :

(١) إشعيا ، أو يشعيا ، أحد أنبياء بني إسرائيل ، كما تذكر كتبهم وله سفر باسمه في العهد القديم ، يتكون من ستة وستين إصحاحاً ، تتميز بأنها إصحاحات موجزة ، وترجمتها - البروتستانية - جيدة .

وفي صدر الإصحاح الأول تعريف بموضوع السفر كله ، جاء فيه :

« رؤيا إشعيا بن آموص ، التي رآها على يهوذا وأورشليم في أيام عُزِّيَّا ، ويوثام ، وآحاز ، وجزقيا ، ملوك يهوذا ... الخ » .

وجاء في الإصحاح الستين من السفر المذكور ، « الوعد » أو « النبوءة » بالسيطرة اليهودية على العالم كله !! ، وبأورشليم عاصمةً للمسكونة كلها !! .

يتحدث عن أورشليم : « .. فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك تتحول إليك ثروة البحر ، ويأتى إليك غنى الأمم ، تغطيكم كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شتبا ، تحمل ذهباً ولبناً ... كل غنم قيدار تجتمع إليك .. كباشن نبايوت تخدمك » .

« وبنو الغريب ينون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك ، وتفتتح أبوابك ... ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم ؛ لأن الأمم التي لا تخدمك تبعد ، وخراباً تخرب ، مجد لبنان إليك ... » .

« وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين ، وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ، ويدعونك مدينة الرب صهيون ... » .

« لا تغيب بعد شمسك ، وقمرك لا ينقص » .

والعجيب والغريب حقاً هو أن هذه النبوءة الجريئة ! ، قد انقذ بها زناد العقل اليهودى ، بينما كان اليهود يرزحون تحت الأسر البابلى ، في المنفى ، على ضفاف الفرات ، كما تفتقت عقيرتهم عن فكرة (الشريعة) كذلك !! وسنعلق عليها في موضع قادم بإذن الله . وانظر عراقة أطماعهم في لبنان !! اقرأ قولهم : « مجد لبنان إليك !! » .

« عَمَّ كَيْسٌ يَخْدا وَيَرْتَصُو سَنِيهِمْ وَفَارَا وَأَذُوبَ تَرْعِينَا وَأَرْيَاكِيَا قَارَ
يُوخَلَ تَيْنِ » .

تفسيره :

إِنَّ الذَّنْبَ وَالْكَبْشَ يَرْعِيَانِ جَمِيعاً ، وَيَرْبُضَانِ مَعاً ، وَإِنَّ الْبَقْرَةَ وَالذَّبَّ
يَرْعِيَانِ جَمِيعاً ، وَإِنَّ الْأَسَدَ يَأْكُلُ التَّيْنَ كَالْبَقْرَةِ^(١) !! .

فَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْ تِلْكَ الْأَمْثَالِ ، إِلَّا صَوْرَهَا الْحَسِّيَّةَ ، دُونَ مَعَانِيهَا الْعَقْلِيَّةِ ،
فَقَتَّلُوا عَنْ الْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ عِنْدَ مَبْعَثِهِ ، وَأَقَامُوا يَنْتَظِرُونَ الْأَسَدَ حَتَّى يَأْكُلَ التَّيْنَ ،
وَتَصَحَّ لَهُمْ حِينَئِذٍ عَلَامَةُ الْمَسِيحِ^(٢) !! .

وَيَعْتَقِدُونَ أَيْضاً أَنَّ هَذَا الْمُنْتَظَرَ ، مَتَى جَاءَهُمْ ، يَجْمَعُهُمْ بِأَسْرِهِمْ إِلَى
الْقُدْسِ ، وَتَصِيرُ لَهُمُ الدَّوْلَةُ ، وَيَخْلُو الْعَالَمُ مِنْ سِوَاهُمْ ، وَيَحْجُمُ الْمَوْتُ عَنْ
جَنَابِهِمْ^(أ) .. الْمُدَّةُ الطَّوِيلَةُ ! .

وَسَيُلْهِمُهُمْ أَنْ لَا يَغْدِلُوا عَنْ تَتَبُّعِ الْأَسَدِ فِي غَابَاتِهِمْ ، وَطَرَحِ التَّيْنِ بَيْنَ
أَيْدِيهَا ، لِيَعْلَمُوا وَقْتَ أَكْلِهَا إِيَّاهُ !!!

وَأَيْضاً فَإِنَّهُمْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ يَقُولُونَ فِي صَلَوَاتِهِمْ :
« الْهُوَيْنَا أَوْ الْوَهَى أَدْتَوَاتِينَا لِمَلُوحٍ عَلَى يَوْشَبِي تَبْيِيلَ أَرْضِيخَا وَتَوْمَارِكُولِ
أَسِيرِ نَسْتَامَا بِأَفْوَا ذَوْنَايَ أَلُوها يَسْرَائِيلَ مَالَاخٍ وَمَلَخُو ثَوْبُوبِكُولِ مَاسَالَا » .

تفسيره (١٧) :

يَا إِلَهَنَا ، وَإِلَهَ آبَائِنَا : اْمْلِكْ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ ؛ لِيَقُولَ كُلُّ ذِي
نَسَمَةٍ :

(١) أشعيا ٦٥ - ٢٥ .

(٢) قَارَنَ كِتَابَ « هِدَايَةِ الْحَيَارَى » لِابْنِ الْقَيْمِ .

(أ) في : م : « حَيَاتِهِمْ » .

(اللّهُ إلهُ إسرائيل ، قد مَلَك ، ومملكته في الكل مُتسلّطه^(١))^(١) .

ويقولون في هذه الصلاة أيضاً :

وسيكون لله الملك ، وفي ذلك اليوم يكون الله واحداً .

ويَعْنون بذلك : أنّه لا يظهر أنّ الملك لله ، إلّا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته ! .

فأمّا مادامت الدولة لغير اليهود ، فإنّ الله خامل الذكر عن الأمم ، وأنّه مطعون في ملكه ، مشكوك في قدرته^(٢) ! .

(أ) في : م : متسلطنة !! .

(١) أى أن مملكة بنى إسرائيل ، ستسلّط على الكل ، وهنالك نصوص في العهد القديم - كثيرة جداً - تفيد العهد أو النبوة ، بأنّ ذلك سيتحقّق لإسرائيل . لكن قلة من اللاهوتيين المعاصرين ، من النصارى وبعض اليهود ، يفسّرون العهد ، أو الوعد ، تفسيراً آخر ، والذي دفعهم إلى ذلك ، هو ادّعاء (دولة إسرائيل) الحالية ، بأنها في قتلها للعرب ، وذبحهم وطردهم ، تتمثل أحكام العهد القديم ، وتحقق الوعد أو النبوة ، انظر في ذلك : « إسرائيل في الكتاب المقدس » Israel According to Holy Scriptures .

(وترجمة حسنى خشبة ، نشر معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧٢)

- Prof. Alfred Guillaume

- Dr. Elmer Berger.

- DrFrank stagg.

- Dr. Ovid Sellers

- Dr. William Stine spring

(يهودى)

أستاذ العهد القديم

أستاذ العهد القديم وأسقف

أستاذ العهد القديم وراعى كنيسة

وغير هؤلاء ، والكتاب بحث جدير بالمراجعة .

(٢) هذا جانب من رأيهم في إلههم ، وإنّا لنقول مع متى فيهم (١٣ : ١٥)

« .. قد غلّظ قلب هذا الشعب وثقلت آذانهم عن السماع » .

وعليّنا أن نتذكّر بأن رب إسرائيل خاص بهم ، ولا يجوز لأحد من (الجويم) أى :

= الغرباء من أبناء الأمم غير إسرائيل ، أن يدعو إلهاله !! فهو قدوس إسرائيل وحدها !!
« لأنك شعب مُقدَّس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك ، أن تكون له أمة خاصة من بين
جميع الأمم التي على الأرض »
(سفر تثنية الاشتراع ٧ : ٦) .

وفي سفر الأخبار ما هو أوضح من ذلك وأكثر تحديداً : (٢٠ : ٢٤)

« أنا الرب إلهكم الذي فرزكم من بين الأمم » .

وصورة رب إسرائيل - على هذا النحو - صورة إله قَبَلَى عنصرى ، لا يختلف بأى
حال عن الآلهة القبلية التي سادت آنذ ، في شرق الأرض وغربها على سواء مثل (بعل -
مردوخ) في بابل ، و (ملكارت) في صور ، و (آشور) إله الأشورية ومثل آلهة المصريين
الفراعنة .. إلخ .

لكن مما يجدر ذكره هنا أن سفر حزقيال ، قد طَوَّر من صفات الإله اليهودى (يهوه)
وأضاف عليه صفات واختصاصات لم تكن له من قبل !! .

ويجب أن ألا يغيب عن ذهن القارئ ، أن الديانة اليهودية قد ثبتت بشكلها النهائى في
بابل - حين كان اليهود يرزحون في الأسر البابلى - وهذا جعل واضعى الديانة يتأثرون
بالديانات والمعتقدات السائدة آنذاك ولتقرأ في ذلك عبارة جيدة لقاموس التوراة :

« إن تفهم الديانة العبرية مستحيل ما لم تؤخذ بعين الاعتبار ، وبشكل مستمر ،
الديانات والثقافات الأخرى ، التي نمت وترعرعت في وادى الفرات ... إن الأصول
القضائية البابلية ، وكذلك الطقوس المعمول بها في المعابد البابلية ، يجب أن تؤخذ كعوامل
حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية في الأصول القضائية والطقوس الدينية » .

A Dictionary of the Bible, Charles

Scnibner's Sons, New York, 1909

وانظر كذلك :

Man and his Gods, homer W. Smith,

Univesal Library, 1956. p. 91

وانظر : « الفلسفة في الشرق » لبول ماسون ص ٤٠ - ٤١ ، ٧٠ - ٧١ ترجمة

=

محمد يوسف موسى .

فهذا معنى قولهم :

« اللهم املك على جميع أهل الأرض » .

ومعنى قولهم :

« وسيكون الملك لله » .

وَمَا يَنْخَرِطُ فِي هَذَا السَّلَكِ ، قَوْلُهُمْ :

« لَأَمَّا يَوْمِي وَهَلْيَوِينِ أَنَا نَأْلُوهِمْ » .

تفسيره :

لِمَ تَقُولُ الْأُمَمُ : أَيْنَ إِلَآهُهُمْ ؟ .

وقولهم :

« عوراً لَأَمَّا بِيْشَانَ أَدُونَايَ هَاقِيضَاتْنَا نِيخَا » .

= وأن فكرة التوحيد - عند اليهود - فكرة قبلية عنصرية ، ولدت وترعرت على ضفاف
الفرات إبان الأسر البابلي ، فاللههم رهيّب يستأصل جميع الآلهة الأخرى :

« الرب رهيّب عليهم ، فيستأصل جميع آله الأرض » (نبوءة صفي ٢ : ١٢)

ولتقرأ ما جاء في سفر الخروج : ٣٣ : ٧ وما بعدها ، لنرى كيف يخاطب رسول

ربه :

« وقال الرب لموسى : رأيْتُ هذا الشعب وإذا هو شعبٌ صُلْبُ الرِّقْبَةِ ، فالآن اتركنى
ليحمى غضبى عليهم ، وأفنيهم ... فتضرّع موسى أمام الرب إلهه ، وقال : لماذا ياربُّ يحمى
غضبك على شعبك الذى أخرجه من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة ، لماذا يتكلم
المصريون قائلين : أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ... ارجع عن حُمُو غضبك واندم على
الشر ... فندم الرب على الشر ... » .

هذه صفات ربهم الذين يطلقون عليه (يهوه) أو (أدوناي) أو (أدون) !! .

وتفسره :

انتبه لِمَ تنام يارب ، استيقظ من رقدتك !!! .

وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهدىانات والكفریات من شدة الضجر من الدل
والعبودية والصغار^(١) وانتظار فرج ، لا يزداد منهم إلا بعدا !! .

فأوقعهم ذلك في الطيش والضجر ، وأخرجهم إلى نوع من التزئدق
والهذيان الذى لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة !! .

فتجرأوا على الله بهذه المناجاة^(٢) القبيحة ، كأنهم يُنحون الله بذلك ،
ليُنْتَجى لهم ، ويحمى لنفسه ، لأنهم إذا ناجوا ربهم بذلك فكأنهم يخبرونه بأنه قد
اختار الخمول لنفسه ، ويُتخونه للتباهة واشتار الصيت^(٣) !! .

فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات فى الصلاة ، يقشعر جلده ، ولا يشك
فى أن كلامه يقع - عند الله - بموقع عظيم ، وأنه يؤثر فى ربه ويحركه بذلك
ويبهزه وينحيه .

وهؤلاء - على الحقيقة - ينبغى أن يُرْحَمَ جهلهم وضعف عقولهم !!! .
وأیضا فإن عندهم - فى توراتهم - أن موسى صعد الجبل مع مشايخ
أمتة ، فأبصروا الله جَهْرَةً ، وتحت رجليه كرسى ، منظره كمنظر البلور .
ذلك قوله : « ویراوا ایث الوهى یسرائیل وتاحث رغلا وکرای لبنات
هسفیر وخعیصم مشامایم لاطوهر » .

(١) يقصد أثناء الأسر فى بابل .

(أ) فى : م : المناجات .

(٢) تعالى الله العظيم عما يقولون علواً كبيراً ، فاللهم يحتاج إلى من يث فيه
النحو ، ويخرجه عن خموله وكسله !! .

وإذا ما وضعنا فى الحسبان ما قلناه فى حاشية الصفحة السابقة ، تأكد لنا أن إلههم
قَبْلَى عنصرى ، هم الذين صنعوه واختاروه !! .

ويزعمون أنَّ اللّوحين ، مكتوبان بأصبع الله في قلوبهم : « بأصباع
الوهم » .

ويطوّل الكتاب ، إذا عدّنا ما عندهم ، مِنْ كُفريات التجسيم ؛ على أنَّ
أخبارهم قد تهذّبوا كثيراً ، عن (أ) معتقد آبائهم ، بما استفادوه من توحيد
المسلمين (١)

وأعربوا عن تفسير ما عندهم بما يدفع عنهم إنكار المسلمين عليهم ؛ مما
لا تقتضيه الألفاظ التي فسّروها ونقلوها (٢) !! .

وصاروا متى سئلوا عما عندهم من هذه الفضائح (ب) . استتروا بالجهل
والبُهتان (٣) ؛ خوفاً من فظيع ما يلزمهم من الشناعة !! .

(أ) في : م : من .

(ب) في : م : القبائح .

(١) انظر في هذا : كتاب الباحث اليهودي : نفتالي فيدر : « التأثيرات الإسلامية في
العبادة اليهودية » اكسفورد ١٩٤٧ م ، مع ترجمة جيدة للدكتور محمد سالم الجرج
١٩٦٥ م ، وفي الكتاب نماذج من الإصلاحات الدينية التي أدخلها على اليهودية مثلاً :
إسحق بن ميمون ، وابنه إبراهيم الميموني وغيرهما .

وانظر للدكتور إبراهيم موسى هنداوى : « الأثر العربي في الفكر اليهودي »
ص ١٣٨ - ١٦٥ طبعة الأنجلو بمصر .

وانظر : « تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث » بعناية موسى برلمان ، نشرة ١٩٦٧ .
وانظر : « الفكر العربي ومكانه في التاريخ » لديلاسى أوليرى ، ترجمة الدكتور تمام
حسان ، نشرة عالم الكتب بالقاهرة .

وانظر للباحث اليهودي : « جورج فايدا » كتابه « مقدمة للفكر اليهودي في العصر
الوسيط » ترجمها د. على سامى النشار ، وعباس أحمد الشربيني ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م
وقد ترجم بعنوان : « الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية » .

(٢) وهذا هو التأويل الفاسد ، أو تحريف الكلم عن مواضعه .

(٣) واليهود قوم بُهت ، وهذه شهادة سيدهم وحبرهم عبد الله بن سلام ، رضى الله
عنه وأرضاه .

ومن ذلك أَنَّهُمْ يَنْسِبُونَ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - النَّدَمَ (١) عَلَى مَا يَفْعَلُ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ :

« وَيَتَنَاحِمُ أَذُونَايَ كَيْ عَاشَا إِثْ هَاأَدَامَ بِالْأَرْضِ وَيَتَعْصَبُ إِنْ لَبُونَ » .

تفسيره (٧ب) :

وَنَدِمَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِ الْبَشَرِ فِي الْأَرْضِ وَشَقَّ عَلَيْهِ .

وقد أفرط المترجم ، في تعصُّبه وتحريفه للألفاظ ، عن موجب اللُّغَةِ ، وفسَّرَ « وَيَتَنَاحِمُ أَذُونَايَ » :

« وَثَابَ أَذُونَايَ بِمِيمِهِ » يعنى « وَعَادَ اللَّهُ فِي رَأْيِهِ » !! .

وهذا التأويل ، وإنْ كَانَ غَيْرَ مُوَافِقٍ لِلُّغَةِ ، فَهُوَ أَيْضاً كُفْرٌ ! ؛ بَلْ مُنَاقِضٌ لِمَا يَدْفَعُونَهُ مِنَ الْبَدَاءِ وَالتَّسْخِخِ !! .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ تَفْسِيرَ « وَيَتَعْصِبُ أَلْ لَبُ » : « وَشَقَّ عَلَيْهِ » ، فَهُوَ مَا جَاءَ فِي مَخَاطَبَةِ حَوَاءَ عَلَيْهَا السَّلَامُ :

« سَعِصَبْتُ تَلِيدِي بَانِمِ » .

تفسيره :

« وَبِمَشَقَّةٍ تَلْدِينَ الْأَوْلَادَ » .

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَلْ « عِصَبُ » فِي اللَّسَانِ الْعِبْرَانِي هُوَ الْمَشَقَّةُ . وَهَذِهِ الْآيَةُ - عِنْدَهُمْ - ، فِي قِصَّةِ قَوْمِ نُوحٍ . زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ، لَمَّا رَأَى فُسَادَ قَوْمِ نُوحٍ ، وَأَنَّ شَرَّهُمْ وَكُفْرَهُمْ قَدْ عَظُمَا ، نَدِمَ عَلَى خَلْقِ الْبَشَرِ وَشَقَّ عَلَيْهِ ،

(١) انظر في ذلك : كتاب علاء الدين الباجي المتوفى ٧١٤ هـ « على التوراة » نشرة دار الأنصار بمصر ١٩٨٠ م ١٤٠٠ هـ .

ولا يعلمون^(أ) البُلهُ ، أن مَنْ يقول بهذه المقالة ، لزمه أن الله ، قبل أن يخلق البشر ، لم يكن عالماً بما سيكون من قوم نوح ، وغير ذلك من النقص ، تعالى الله عما يكفرون .

وغندهم أيضاً أن الله تعالى قال لشموائل النبی - عليه السلام - :
« نوحاً متى كى هملاخی إن شاو المیلخ علی یسرایل » .

تفسیره :

« نَدِمْتُ إِذْ^(ب) وَلَيْتَكَ (شاؤول) مَلِكاً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

وفي موضع آخر من سفر شموائل^(ج) :

« وَأَذُونَايَ نِيحَامُ كِي هَمِيلِيخُ إِنِّي شَاوُلُ عَلَى إِسْرَائِيلَ » .

تفسیره :

« وَاللَّهُ نَدِمَ عَلَى تَمْلِيكِه شَاوُولُ عَلَى إِسْرَائِيلَ » .

وأيضاً فإنَّ عندهم أن نوحاً النبي عليه السلام ، لما خرج من السفينة بدأ ببناء مَذْبَحٍ لله تعالى ، وقَرَّبَ عليه^(د) قرابين ، ويتلو ذلك .

« ويارح أذوناي اث ديهح هنيجو وح ولومر أذوناي ال لبو لواسيف عوذ لقليل اث هاذا ماعا عبورها إذا م كى يبصير ليب هاذا ام راع منعوو او ولو اوسيف مود هلكوث اث كل حاي كا اثير عاسيئي » .

(أ) في الأصل وفي : م : يعلمون البُلهُ ، وهي على لغة : (يتعاقبون فيكم ملائكة) .

(ب) في : م : ألى .

(ج) في : م : مصاحفهم .

(د) ساقطة من : م .

تفسيره :

« فاستنشق الله رائحة القنار^(١) ، فقال الله تعالى ، في ذاته : لَنُ أَعاود لعنة الأرض بسبب الناس ؛ لأنَّ خاطر البشر مطبوع على الرداءة ، ولن أعاود إهلاك جميع الحيوان ، كما صنَّعتُ !! » .

ولسنا نرى أنَّ هذه الكفريات ، كانت في التوراة المنزلة على موسى ، صلوات الله عليه .

ولا نقول - أيضاً - إنَّ اليهود قصدوا تغييرها وأفسادها^(٢) ، بل الحق أولى ما أتبع ! ونحن نذكر الآن حقيقة سبب تبديل التوراة .

ذِكْرُ السَّبَبِ فِي تَبْدِيلِ التَّوْرَةِ

علمائهم وأخبارهم يعلمون^(١) ، أنَّ هذه التوراة التي بأيديهم - لا يعتقد أحد من علمائهم وأخبارهم - ، أنها المنزلة على موسى البتة^(٢) ؛ لأنَّ موسى ،

(١) القنار - في لسان العرب - بضم القاف : ريح القنر ، وفي حديث جابر - رضى الله عنه - : « لا تؤذ جارك بقنار قنرك » هو ريح الشواء والقدر ، ونحوها .

(٢) لعله يقصد بقوله : « ولا نقول أنَّ اليهود قصدوا تغييرها وإفسادها » أنَّ جميع اليهود لم يغيروا ، لكن الذين غيروا التوراة فئة منهم ، وبقية الناس كانوا أميين لا يعرفون الكتاب ، أو أنَّ بعض فئات اليهود لم تقبل التحريف .

أما الجملة على إطلاقها ، فموهمة ، وإنَّ كلامه الذى ذكره في السطور التالية ، يؤكد قراءتنا لهذه العبارة ، التى سبق بها قلم السموأل .

(أ) العبارة في م : مختلفة عن ذلك « لا يعتقد أحد من علماء اليهود وأخبارهم .. ! » .

(٣) يحسن بالقارئ أن يراجع الكتب التالية ، التى تدرس هذه النقطة بشئ من التفصيل :

- = - « الملل والنحل » : للشهرستاني .
- « الفصل في الملل والأهواء والنحل » : لابن حزم الأندلسي .
- « التوراة تاريخها وغاياتها » ، لعالم لاهوتي أمريكي ، ترجمة سهيل ديب نشر دار النفائس . بيروت .
- « التلمود : تاريخه وتعاليمه » ، لظفر الإسلام خان ، الطبعة الثانية . بيروت .
- The "Fewish Encyclopaedia"
- الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٠٣/١٩٠٥ .
- "Fewish Universal Encyclopaedia"
- New York 1948
- "Hebrew Literature", Joseph
- Bara clay, New York 1901
- "Lectures on the Religions of Semites"
- London 1927
- للبروفيسور وليام روبرتسن
- "The Talmud", Tr. h. Polano, London
- Frederick & Co
- "The Mishnah Treatise Sanhedrin"
- Dr. Samuel Krauss, Leiden, 1909
- « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة » ، للقرافي مخطوط ، ورقة (٥٤ب) وما بعدها ، فهو ينقل كلام السموأل بحروفه دون إشارة .
- وانظر « إظهار الحق » ، لرحمة الله الهندي كذلك .
- كتاب مسالك النظر في نبوة سيد البشر ، للمهتدي ، حسن الإسكندرائي ، الذي هداه الله إلى الإسلام ، بعد أن كان على اليهودية في القرن الثامن الهجري سنة ٧٢٠ هـ / ١٢٩٨ م ونشر هذه الرسالة مع مقدمة وترجمة إلى الإنجليزية ، المستشرق : (Sidney Adams Weston)
- ونشرها في :

Journal of the American Oriental
Society, vol 24, part 2, 1903.

- البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ، تأليف صالح بن الحسين . مخطوط بالآستانة بتركيا . ودار الكتب المصرية .

صان التوراة عن بنى إسرائيل ، ولم يثبها فيهم . وإِنَّمَا سَلَّمَهَا إِلَى عَشِيرَتِهِ ، أَوْلَادَ لِيُؤَيَّ ، ودليل ذلك قول التوراة (أ٨) :

« ويختوب موسى إثم هتورا هزوت وييتناه ال هكوا هنيم بنى ليوى » .

تفسيره :

وكتب موسى هذه التوراة ، ودفعها إلى الأئمة بنى ليوى .

وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم ، لأن الإمامة ، وخدمة القرابين وبيت المقدس ، كانت موقوفة عليهم .

ولم يبدل موسى من التوراة لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها : « هأزينو » .

فإن هذه السورة من التوراة ، هى التى علّمها موسى بنى (أ) إسرائيل ، ذلك قوله :

« ويختوب موسى إلى هئسيرا هزوث ويلمذاه لبنى يسرايل » .

تفسيره :

وكتب موسى هذه السورة وعلّمها بنى (ب) إسرائيل .

وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة :

« وهأيت الى هئسيرا هزوث لعيد بينى يسرايل » .

وتفسيره :

وتكون لى هذه السورة ، شاهداً على بنى إسرائيل .

وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة :

(أ) ، (ب) فى : م لبنى .

« كى لوتشا خاخ مفى زرعون » .

تفسيره :

لأنّ هذه السورة لا تُنسى ، من أفواه أولادهم .

يعنى أن هذه السورة ، مشتملة ، على ذم طباعهم ، وأنهم سيخالفون شرائع التوراة ، وأنّ السخط يأتيهم بعد ذلك ، وتخرب ديارهم ويشتتون في البلاد .

قال :

فهذه السورة تكون متداولة في أفواههم ، كالشاهد عليهم ، الموافق لهم على صحة ما قيل لهم . فهذه السورة ، لما قال الله تعالى عنها أنها^(١) « لا تُنسى من أفواه أولادهم » ، دلّ ذلك على أنّ الله تعالى عليم أنّ غيرها من السور تُنسى . وأيضاً فإنّ هذا دليل على أن موسى لم يُعطِ بنى إسرائيل ، من التوراة ، إلّا هذه السورة . فأما بقية التوراة ، فدفعتها إلى أولاد هارون ، وجعلها فيهم ، وصانها عن سواهم .

وهؤلاء الأئمة الهارونيون ، الذين كانوا يعرفون التوراة ، ويحفظون أكثرها ، قتلهم (بُحْتُ نصر)^(١) على دم واحد ، يوم فتح بيت المقدس .

(أ) (عنها أنها) سقطت من : م .

(١) (بُحْتُ نصر) قائد بابلي ، غزا القدس سنة ٥٨٦ ق.م وخرب هيكل سليمان ، وأسر سبعين ألفاً ، وساقهم أمامه إلى بابل ، وهم معظم يهود العالم آنذاك ، أما رواية (التلمود) عن تدمير الهيكل فتقول :

« عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها ، وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم ، وعندما رفضوا أن ينصتوا لتحذيرات أرمياء ، ترك أرمياء أورشليم ... وعندما هجرها إلى بنيامين دمر نبوخذ نصر بلاد إسرائيل وحطم الهيكل المقدس ، ونهب مجوهراته ، وتركه فريسة للنيران الملتبحة . =

ولم يكن جِفظُ التوراة فَرَضاً ولا سُنَّةً ، بل كان كل واحد ، من
الهارونيين ، يحفظ فصلاً من التوراة .

فلَمَّا رأى (عزرا)^(١) أَنَّ القوم قد أُحْرِقَ هيكلهم ، وزالت دولتهم ،
وتفرَّق جمعهم ، ورُفِعَ كتابهم ، جمع من محفوظاته ، وَمِنَ الفصول التي يحفظها
الكهنة ، ما لَفَّقَ منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن* .

= « فذبح نبوخذ نصر ، سكان أورشليم ، وكهنتها ، وشعبها ، كهولها وشبابها ، نساءها وأطفالها » .
« ثم ضرب جنود نبوخذ نصر السلاسل الحديدية في أيدي باقي الإسرائيليين ،
وساقوهم إلى السبي » .

The Talmud, h. Ploano, P.P 319-320

عن كتاب (التلمود : ظفر الإسلام خان ص ٦٨) .
(أ) تبدأ نسخة الظاهرية من قول : (رجل فارغ جاهل بالصفات ... إلخ) .
(ب) في : م (ما مضى من) .
(ج) وغير ذلك ، سقطت من : م .
(١) كان (عزرا) خادماً للملك الفرس ، وكان حظياً عنده ، فتوصل إلى بناء بيت
المقدس ، بعد أن خربه بخت نصر ، وكتب لليهود التوراة التي بأيديهم لذا فقد كان يسمّى
بالكاتب أو الناسخ . وهو غير (عزير) المعروف (إفحام اليهود) المخطوط .
ويقول صاحب التوراة : تاريخها وتعاليمها ص ٤٧ من الترجمة العربية :
(عزرا) هو أول الكتبة ومعه ابتدأت تلك الفئة من المؤلفين الذين وضعوا التوراة
والشريعة الشفهية ، والتي سيطرت لقرون عديدة على عقول ومقدرات اليهود ، وكان للكتبة
هؤلاء حزب منظم ، هو حزب (القُريسين) ، وهم الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخامين ،
أى معلمى الشريعة* .
وتقول (الموسوعة اليهودية) أمام كلمة (كتبة) :-

« هم هيئة من المعلمين ، كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب ، وقد ابتدأ تنظيمهم
على يد (عزرا) ، الذى كان رئيسهم ، وهؤلاء الكتبة كانوا أول من علّم التوراة ، وهم
واضعو الشريعة الشفهية » .

و (لعزرا) هذا سفرٌ توجت به ، وبسفر نحما ، أسفارهم وفيهما وصف للظروف =

ولذلك ، بالغوا في تعظيم (عزرا) هذا ، غاية المبالغة ، وزعموا أن التور
- إلى الآن - يظهر على قبره ، الذى عند بطائح العراق ؛ لأنه عمل لهم كتاباً
يحفظ دينهم .

فهذه التوراة التى بأيديهم - على الحقيقة - ، (كتاب عزرا) ، وليس
كتاب الله !! (١).

= التى جرت بها القراءة الأولى للشرعة الموسوية (بعد تعديلها وتبديلها) ، على اليهود المحطى
المعنويات ، فى الأسر ، ومن هنا ، قبل اليهود عزرا الكاتب ، ونحميا الحاكم رؤساء لهم .
وتذكر الموسوعة اليهودية ، أنه قد أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية
بعد (حزقيال) ، كما أعيد وضع جميع الكتب المقدسة السابقة المخالفة للنصوص الجديدة .
(التوراة) ص ٢٧ .

وتقول الموسوعة اليهودية أيضاً : وأصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين ، منظمة
حسب تعليمات الفريسيين (المنشقين) ، كما أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر
فريسية ، وأعطى وجه جديد للتشريعات السابقة « السنهدرين » ، كما حلت سلسلة جديدة
من التقاليد محل التقاليد السابقة القديمة ، وقد كيّفت الفريسية طبيعة اليهود ، وكذلك حياة
اليهود وتفكيرهم عن المستقبل .

« إن الأسس التاريخية لهذه العقيدة (اليهودية المعدلة) قد أعطيت لليهود فى تشريعات
عزرا ونحميا حوالى ٤٠٠ ق.م ، ثم عدلت ونقحت فى القرون التالية ، فى الشرعة غير
المكتوبة ، وتلمود بابل »
(انظر : التوراة ، ص ١٦ ، ١٧)
أما القرآن العظيم فقد أخبرنا بجرمة تحريفهم للتوراة بفيض غزير من الآيات البينات ،
انظر فى هذا :

- اليهود فى القرآن الكريم : محمد عزة دروزة ، المكتب الإسلامى بيروت .
 - معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، د. عبد الستار فتح الله سعيد .
 - وإظهار الحق لرحمة الله الهندي ، ورسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينوزا .
- (١) وانظر فى ذلك كتاب الإمام أبى المعالى الجوينى المتوفى ٤٧٨ هـ « شفاء الغليل فى
بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل » ، حيث يقول :

« إن التوراة التى بيد اليهود الآن : هى التوراة التى كتبها : عزرا الوراق ، بعد فتنهم
مع (بحث نصر) ... وهذه النسخة كتبها عزرا ، قبل بعثة المسيح ، عليه السلام ، بخمس

وهذا يدل على أنه . أعنى الذى جمع هذه الفصول ، التى بأيديهم ، رجل^(أ) فارغ جاهل بالصفات الإلهية ، فلذلك نسب إلى الله تعالى ، صفات التجسيم^(ب) والتدامة على ماضى^(ب) من أفعاله والإقلاع^(ب) عن مثلها وغير ذلك^(ج) ، مما تقدم ذكره .

وأيضاً ، فمما يستدل به على بطلان ، تأويلاتهم ، وإفراطهم فى التعصب ، وتشديد الإصر ، ما ذكره فى تفسير هذه الآية :

« رiest بكورى إذ ماشخا تخا تالى بيت أذوناي ألوهيخا لو تبشيل كدى باحليب أمر » .

تفسيره :

« بكور ثمار أرضك ، تُحمل إلى بيت الله ربك ، لا تنضج الجدى بلبن أمه » .

= مائة وخمسة وأربعين سنة ... » ص ٣١ ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
(١) [هذا وإن كان بعض الباحثين المعاصرين ، يحاول - جاهداً - أن ينزّه اليهود عن القول بالتجسيم ، وأن ينفى عن كتابهم ذلك ، وهذا - فى الواقع - رأى ابن كمونة اليهودى المتوفى سنة ٦٨٣ هـ فى كتابه : « تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث » انظر الفصل الثانى من هذا الكتاب من ص ٢٢ - ٥٠ ، نشرة ١٩٦٧] .

انظر للدكتور أحمد حجازى السقا : كتاب « الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام » ، ص ١٤ - ٤٠ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ، نشر دار النهضة العربية بمصر ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

* يذكر الإمام أبو المعالى الجوينى أن السبب الحامل لعزرا على تبديل التوراة هو (الرياسة) ويذكر : أن رياسة بنى إسرائيل كان شأنها عظيماً !! .
وتتفق معه الدراسة التى أجراها لاهوتى أمريكى وترجمها (سهيل ديب) بعنوان « التوراة : تاريخها وغاياتها » (نشر دار النفائس ، ط ٤ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م . ومع تحليل السّمؤال الذى نحن بصدده .

والمراد من ذلك ، أنهم أمروا ، عقيب افتراض الحج عليهم ، أن يستصحبوا معهم ، إذا حجوا إلى القدس أبكار أغنامهم ، وأبكار مُستغلات أرضهم ؛ لأنهم قد كان فرض^(أ) عليهم ، قبل ذلك ، أن تبقى سخولة البقرة والغنم وراء أمهاتها ، سبعة أيام ، ومن اليوم الثامن ، فصاعداً ، تصلح أن تكون قرباناً لله تعالى .

فأشار في هذه الآية في قوله :

« لا تنضج الجذى بلبن أمه » .

إلى أنهم لا يبالغوا في إطالة مُكث^(ب) بكور أولاد الغنم والبقر وراء أمهاتهن ، بل^(ج) يستصحبوا أبكارهن اللاتي قد عَبرن سبعة أيام ، من ميلادهن ، معهم ، إذا حجَّوا إلى بيت المقدس ، ليتخذوا منها القرايين .

فتوهم المشائخ البُلَّه ، المترجمون لهذه الآية ، والمفسرون لمعانيها ، أن المشرع يريد بالإنضاج ، هنا إنضاج الطبخ في القدر .

وهَبَّهْم صادقين في هذا التفسير ، فلا يلزم من تحريم الطبخ ، تحريم الأكل إذ لو أراد المشرع الأكل^(د) ، لما منعه مانع ، من التصريح بذلك .

وما كفاهم هذا الغلط في تفسير هذه اللفظة ، حتى حرّموا أكل سائل اللحم باللبن .

وهذا مضاف إلى ما يستدل به على جهل المفسرين والثقلّة ، وكذبهم على الله تعالى وتشديد الإصر^(هـ) على طائفهم .

(أ) في ظ : لأنه قد فرض عليهم .

(ب) سقطت من الأصل .

(ج) سقطت من الأصل .

(د) في ظ : تحريم الأكل .

(هـ) في ظ : الأكل وهو خطأ .

فأما^(أ) الدليل على تفسير « تبشيل » : الإنضاج الذى هو البلوغ ، فهو قول رئيس السقاة ليوسف الصديق ، وهما^(ب) فى السجن إذ شرح له رؤياه ، فقال فى جملة كلامه : « ويكيفن شلوشا ساريقيم وهى حفوراحت عالثا نصاه هبشيلو سكلوثيا غنايين » .

تفسيره :

وفى الكرمية ، ثلاثة عناقيد ، وهى كأنها قد أثمرت ، وصعد نوارها ، ونضجت عناقيدها عنياً .

فقد تبين أن الإنضاج الذى يعبر عنه بال « هبشيلو » إنما هو البلوغ . ولا ينبغي للعاقل ، أن يستبعد اصطلاح كافة هذه الطائفة على المحال ، واتفقهم على فنون من الكفر والضلال !! .

فإن الدولة ، إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذها بلادها ، انطمست حقائق سالف أخبارها ، واندرس قديم آثارها ، وتعذر الوقوف عليها لأن الدولة إنما يكون زوالها عن أمة ، بتتابع الغارات والمصادمات ، وإخراب البلاد ، وإحراق بعضها . فلا تزال هذه الفنون متتابعة عليها إلى أن تستحيل علومها جهلاً ، (....)^(ج) وكلما كانت الأمة أقدم ، واختلفت عليها الدول^(د) المتناولة لها^(هـ) بالإذلال^(و) والإيذاء ، كان حظها من اندراس الآثار أكثر .

(أ) فى : م : فالدليل (فقط) .

(ب) فى ظ : وهو .

(ج) فى الأصل كلمتان لم استطع قراءتهما ، ويبدو انهما : أكثرها قلاً .

(د) فى : م : الدولة .

(و) فى : م : بها .

(هـ) الإيذاء : سقطت من (ظ) .

وهذه الطائفة ، بلا شك ، أعظم ، الطوائف (أ) حظاً مما ذكرناه ؛ لأنها من أقدم الأمم عهداً ، ولكثرة الأمم التي استولت عليها من : الكنعانيين ، والبابليين ، والفرس ، واليونان^(١) ، والنصارى ، والإسلام .

وما من هذه الأمم إلّا من قصدهم أشدّ القصد ، وطلب استئصالهم ، وبالغ في إحراق بلادهم وإخربائها وإحراق كتبهم ، إلا المسلمين .

فإن الإسلام ، صادف اليهود تحت ذمّة الفرس ، ولم يبق لهم مدنية ، ولا جيش ، إلّا العرب المتهودّة بخير (ب) .

فأشدُّ على اليهود من جميع هذه الممالك ، ما نالهم من ملوكهم العصاة ، مثل : (أحاب) و (أحزيا) و (أمصيا) و (يهورام) و (يربعام بن نباط) . وغيرهم من الملوك الإسرائيليين ، الذين قتلوا الأنبياء ، وبالغوا في تطلُّبهم ليقتلوهم ، وعبدوا الأصنام ، وأحضروا من البلاد سدنةً للأصنام لتعظيمها وتعليم رسوم عبادتها ، وابتنوا لها البيع العظيمة^(ج) ، والهياكل ، وعكف على عبادتها الملوك ، ومعظم بنى إسرائيل وتركوا أحكام التوراة والشرع مدةً طويلةً وأعصاراً متصلةً !! .

(أ) في : م : الكسدانيين ، وكذا في ظ .

(ب) في الأصل : بخيبر ، وكذا في ظ ، وهى لغة فيها .

(١) أنمار سرجوس الإغريقى على السامرة سنة ٧٢١ ق.م واحتلها .

- وفى سنة ٥٨٦ ق.م أغار بخت نصر على مملكة يهودا ، التى كانت عاصمتها

(أورشليم) .

- وفى سنة ٥٥٠ ق.م. ألحقت فلسطين بدولة الفرس .

- وفى سنة ١٦٠ م احتلها الرومان .

- بقيت كذلك إلى أن دخلها الإسلام ، وفتحها الخليفة عمر بن الخطاب .

(ج) سقطت من (ظ) .

فإذا كان هذا تواتر الآفات ، على شرعهم^(١) ، من قِبَل ملوكهم ، ومنهم على أنفسهم ، فما ظنُّك بالآفات المُتَفَتِّتَةِ التي تواترت عليهم ، من استيلاء الأمم ، فيما بعد ، عليهم ، وقتل أئمتهم ، وإحراق كتبهم ، ومنعهم إياهم عن القيام بشرائعهم .

فإنَّ الفرس كثيراً ما منعوهم عن الختانة ، وكثيراً ما منعوهم عن الصَّلَاة ، لمعرفتهم أنَّ معظم صلوات هذه الطائفة ، دعاءٌ على الأمم بالبور ، وعلى العالم بالخراب ، سوى بلادهم التي هي أرض كنعان .

فلما رأت اليهود الجِدُّ من الفرس ، في منعهم عن الصلاة ، اخترعوا أدعية ، مزجوا بها فصولاً من صلاتهم^(١) ، وسموها (الخزانة) ، وصاغوا لها ألحاناً عديدة ، وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها .

والفرق بين هذه (الخزانة) وبين الصلاة ، أنَّ الصلاة بغير لحن ، وأنَّ المصلِّي يتلو الصَّلَاة وحده ، ولا يجهر معه غيره ، وأمَّا الخزانة ، فيشاركه جماعة في الجهر بالخزانة ، ويعاونونه في الألحان ! . فكانت الفرس إذا أنكرت ذلك منهم ، زعمت اليهود أنَّهم يغنون أحياناً ، وينوحون أحياناً على أنفسهم ، فتركوهم وذلك .

ومن العجب أنَّ دولة الإسلام ، لما جاءت مُقَرَّةٌ للذُّمة على أديانها ، وصارت الصلاة مباحةً لهم ، صارت (الخزانة) عند اليهود من السُّنن المستحبة في الأعياد والمواسم والأفراح ، يجعلونها عِوَضاً عن الصلاة ويستغنون بها عنها ، من غير ضرورة تبعثهم على ذلك .

(١) قارن كتاب : التوراة ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

(أ) في ظ : عليهم بدلاً من على شرعهم .

فصل فيما يعتقدونه في دين الإسلام

هم يزعمون أن المصطفى ﷺ ، وشرف ، وعظم ، وكرم ، كان قد رأى أحلاماً ، تدل على كونه صاحب دولة ، وأنه سافر إلى الشام ، في تجارة لحديجة (٩ ب) ، رضوان الله عليها واجتمع بأحبار اليهود ، وقص عليهم أحلامه ، فعلموا أنه صاحب دولة ، فأصبحوه (عبد الله بن سلام)^(١) ، فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة .

زعموا وأفرطوا في دعواهم إلى أن نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القرآن ، إلى تأليف عبد الله بن سلام ، وأنه قرّر في شرع النكاح أن الزوجة لا تستحل بعد الطلاق الثالث إلا بنكاح آخر^(أ) ، ليجعل - بزعمهم - أولاد المسلمين « ممزجين » .

وهذه كلمة جميع ، واجده « ممزير » وهو اسم لولد الزنا ؛ لأن في شرعهم أن الزوج ، إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره ، كان أولادهما معدودين من^(ب) أولاد الزنا .

(١) جاء في صحيح البخارى ، عن أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - أن عبد الله بن سلام ، سأل النبی ﷺ : فقال ﷺ : « وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبقت كان الشبه لها » .
قال عبد الله بن سلام رئيس أحبار اليهود آنذاك : أشهد أنك رسول الله ، فأمن رضى الله عنه .

وانظر سيرة ابن هشام ، ج ٢ ص ٥١٥ - ١١٦ ، ٥٥٧ - ٥٧١ بتحقيق مصطفى السقا وآخرين ، تصوير مؤسسة علوم القرآن بدمشق .
(أ) في ظ : رجل آخر .
(ب) في ظ : في .

فلما كان النسخ مما لا ينطبع فهمه في عقولهم ، ذهبوا إلى أنّ هذا الحكم في
النكاح^(أ) ، من موضوعات عبد الله بن سلام ، قصّد به ، أنّ يجعل أولاد
المسلمين « ممزريم » بزعمهم !! .

ثم أكثر العجب منهم ، أنهم جعلوا داود النبي - عليه السلام - « ممزير »
من وجهين ، وجعلوا مُنتظرَهُم « ممزير » من وجهين .

وذلك أنهم لا يشكّون في أنّ داود بن بشاى بن عابد ، وأبو هذا : عابد
يقال له : (بوعز) من سبط يهوذا ، وأُمّه يقال لها (روث الموابية) من بني
مؤاب ، ومؤاب هذا منسوبّ عندهم ، في نصّ التوراة ، في هذه القصة ،
وهي أنّه لما أهلك الله تعالى أُمَّة لوط لفسادها ، ونجا بابنتيه فقط ، خالنا ابتناه
أنّ الأرض قد خلت ممّن تستبقيان منه نسلاً . فقالت الكبرى للصغرى :

إنّ أبانا لشيخ . وإنسان لم يبق في الأرض ليأتينا كسيل البشر ،
فهلمّي^(ب) نسقي أبانا خمرأ ، ونضاجعه ، لنستبقى من أيّنا نسلاً !! .

ففعلتا ذلك ، بزعمهم - لعنهم الله^(ج) - وجعلوا ذلك النّبي قد شرب
الخمر حتى سكر ، ولم يعرف ابنتيه ، ثم وطئهما فأخبلهُما ، وهو لا يعرفهما .
فولدت إحداهما ولداً سمّته (مؤاب) ، تعنى : أنّه من الأب والثانية
سمّت ولدها (بن عمى) ، تعنى : أنّه : من قبيلتها .

وذلك الولدان عند اليهود « ممزريم » ضرورة ، لأنهما من الأب وابنتيه .
فإن أنكروا ذلك ، لأنّ التوراة لم تكن نزلت ، لزمهم ذلك ؛ لأنّ عندهم

(أ) في ظ : شرع النكاح .

(ب) من هنا إلى نهاية المخطوط ساقط من نسخة : (ظ) .

(ج) سقطت هذه الجملة الوعائية من : م ، وهذا يتكرر كثيراً ، بشكل يستوقف

النظر !!! .

أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما خاف في ذلك العصر من أن يقتله المصريون بسبب زوجته ، أخفى نكاحها ، وقال هي أختي - علماً منه بأنه إذ قال ذلك ، لم يبق للظنون إليهما سبيل .

وهذا دليل على أن حظر نكاح الأخت ، كان في ذلك الزمان مشروعاً .

فما ظنك بنكاح البنت !! الذي لم يجوز^(أ) ، ولا في زمن آدم عليه السلام .

وهذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبي ، في التوراة الموجودة بأيدي اليهود^(١) ، فلن يقدرُوا على جحدها فيلزمهم من ذلك أن الولدين المنسويين إلى لوط : ممزريم ، إذ توليدهما على خلاف المشروع .

(أ) في : م : لا يجوز .

(١) وردت هذه القصة الأثيمة في سفر التكوين (١٩ - ٣٠ - ٣٨)

« وصعد لوط من صوعر ، وسكن في الجبل وابنتاه معه ، ... فسكن في المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض من رجلٍ ليدخل علينا كمعادة كل الأرض ، هلم نسقي أبانا خمراً ، ونضطجع معه ، فثخبي من أبنينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت البكر ، واضطجعت مع أبيها ؛ ولم يعلم باضجاعها ولا بقيامها فسقتا أباهما خمراً ، في تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغيرة ، واضطجعت معه ... ، فحملت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابناً ، ودعته مؤاب ؛ وهو أبو المؤابيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى ؛ وهو أبو بني عمون إلى اليوم » .

(ص ٢٩ من ترجمة البروتستانت)

والمؤسف أن واضع هذه القصة قد فاته أن يذكر لنا كيف أصبح ابنا بنتى لوط - عليه السلام - رأسى قبيلتين ، وليس على وجه الأرض نساء يدخلان عليهن !! هل دخلا على أمههما !! ، لعل ذلك ما أراد أن يقوله المفترون على أنبياء الله ورسله ، صلوات الله عليهم وسلامه ، لكن سكتوا عنه لفطنة القارئ .

- ولقد جاء في صحيح البخارى أن إبراهيم عليه السلام لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات : نثنين في ذات الله عز وجل : قوله : (إني سقيم) وقوله : (بل فعله كبيرهم) ،

وإذا كانت (روث) من وَلَدِ مؤاب ، وهي جدّة داود^(١) عليه السلام
 وجدّة مسيحهم المنتظر ، فقد جعلوها جميعاً من نسل الأصل الذى يطعنون فيه .
 وأيضاً فمن أفحش المحال ، أن (١٠) يكون شيخ كبير قد قارب المائة
 سنة ، قد سقى الخمر حتّى سكر سكرأ حال بينه وبين معرفة ابنتيه ، فضاجعته
 إحداها واستنزلت منيّه ، وقامت عنه وهو لا يشعر ، قاتلهم الله أنّي
 يؤفكون^(٢) ، نطق كتابهم في قوله :
 « ولو ياذا ع بشخبا وبقوماه » .

= وقال : بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له : إنّ هاهنا رجلاً معه
 امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه ، فسأله عنها ، فقال : من هذه ؟ قال : أختى . فأتى
 سارة قال : يا سارة ، ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك ، وأن هذا سألنى عنك ،
 فأخبرته أنك أختى ، فلا تكذّبنى إلخ .

انظر : (فتح البارى شرح صحيح الإمام البخارى) لابن حجر العسقلانى ، المجلد
 السادس ص ٣٨٨ وما بعدها . (وإنّ فى المعارض لمندوحة) والفرق بين ما جاء فى السنة
 المطهرة وكتب اليهود هو الباعث والدافع الذى دفع إبراهيم عليه السلام ليسلك هذا المسلك ؛
 إذ صوّرت التوراة بصورة المتاجر بعرضه المتكسّب بجمال زوجه ... إلخ .

انظر : سفر التكوين ١٢ : ١١ - ١٦ ، ٢٠ : ١ - ١٨ .

أما فى السنة فهو يريد حفظ حياته حرصاً على تبليغ الدعوة : (يا سارة ، ليس على
 وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك ...) .

(أ) فى : م : سقطت هذا الجملة الدعائية ١١ .

(١) لليهود موقف عجيب من أئمة الهدى ، وصنّفوه خلق الله ، المصطفّين ، رسل الله
 جميعاً ؛ فلا يكاد يقلت نبي من افتراء ويهتان بنى إسرائيل .

- فهذا شيخ الأنبياء الصبور الشكور « نوح عليه السلام ، يصورونه سكيراً
 عريداً ، يتعرّى داخل خبائه ، حتى يرى عورته أصغر أبنائه فيسخر منه مع إخوانه ... إلخ »

(الإصحاح التاسع من سفر التكوين)

- وهذا لوط ، النبي الكريم الذى آتاه الله حكماً وعِلْماً ، يزنى بابنتيه ، وتحملان منه
 سفاحاً .
 (تكوين : ١٩ - ٣٠ - ٣٧) =

- وأبو الأنبياء إبراهيم ، الخليل ، الأواه الخليم ، يصوّرونه رجلاً مادياً شراً نهماً ، لا همّ له إلّا جمع المال ، حتى أنه ليتاجر بزوجه الحسناء ، عند الملوك ، ليأكل ويربح ، بهذا الطريق !!! (تكوين ١٩ ، ٢٠) .
وكبار أنبيائهم ، لم يسلموا من ذلك ، بل أوغلوا بهم في الخطيئة والدنس أكثر من غيرهم .

- لقد دَنَسوا صورة أبيهم يعقوب (إسرائيل) فصوّروه (سارق ثبوة) من أخيه ، ومستحلاً استغفال أبيه . (تكوين ٢٧)

- أما داود - عليه السلام - فهم يرمونه بالزنى مع امرأة واحد من جنوده المجاهدين في سبيل الله ، ثم يقصّون - بهتاناً - كيف احتال داود على الجندي من أجل أن يضاجع زوجته ؛ حتى ينسب إليه الحمل ، ولما أبى الجندي أن يذهب إلى بيته ، تأمر عليه داود ، ليستر جريمته ، بجريمة قتل المجاهد ، ثم يعاقب الله تعالى داود - فيما يزعمون - فيسلط عليه ابنه « أبشالوم » ، فينزعه منه ملكه ، ويزني بسراري أبيه أمام جميع إسرائيل . وقبل هذا كان « أبشالوم » قد قتل أخاه (أمنون بن داود) لأنه زنى (بثامار) شقيقة « أبشالوم » .

(صموئيل الثاني ١١)

- وسليمان - عليه السلام - هو - بزعمهم وبهتانهم - ابن هذه المرأة الزانية ، التي زنى بها داود ، وقتل زوجها ، ثم تزوجها ، من بعد !! وهو الذي أمالت نساؤه الأجنبية قلبه وراء آلهة أخرى . (الملوك الأول ١١)

وهو صاحب « نشيد الإنشاد » ذلك الغزل الداعر الماجن الرخيص الذي ينسبونه إلى النبي الطاهر الكريم ، ويتعبدون بتلاوته على أنه وحى مقدّس !! من عند الله .

(نشيد الإنشاد)

- ورأيهم في رسول الله هارون - عليه السلام - قد أشرنا إليه فيما سبق ، من أنه صنع لهم العجل الجسد الذي له خوار من حلبيهم ، وتعبدّهم له (خروج ٣٣)
- ورأيهم في يوسف ، وعيسى ، وعمر - صلى الله عليهم وسلم - على هذا النمط من الإفك ، والكذب ، والبهتان ، والعدوان ، والكفر .

والعجيب حقاً هو نسبّتهم هذه الافتراءات الآثمة المجرمة إلى وحى الله ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً .

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ؛ ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون ﴾ [سورة البقرة : آية = ٧٩] .

تفسير :

ولم يشعر باضطجاعها وقيامها .

وهذا حديث مَنْ لا يعرف كيفية الحَبَل ؛ لأنه من المحال أن تهلق المرأة من شيخ طاعن في السن ، قد غاب جسُّه لِفَرَطِ سكره .

ومِمَّا يؤكد استحالة ذلك ، أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ ابنته الصغرى فعلت كذلك به ، في الليلة الثانية ، فعَلقت أيضاً . وهذا ممتنع من المشائخ الكبار أَنَّ يُعَلَّقَ مِنْ أَحَدِهِمْ في ليلة ، ويُعَلَّقَ مِنْهُ أيضاً في الليلة الثانية ، إِلَّا أَنَّ العداوة التي مازالت بين (بنى عمون ومؤاب) وبين بنى إسرائيل ، بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا الخيال ، ليكون أعظم الأخبار فُحْشاً في حق بنى عمون ومؤاب !!! .

وأيضاً فَإِنَّ عِنْدَهُمْ ، أَنَّ موسى جعل الإمامة في الهارونيين فلَمَّا ولى طالوت ، وثقلت وطأته^(أ) على الهارونيين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم انتقل الأمر إلى داود ، بقي في نفوس الهارونيين التشوُّق إلى الأمر الذي زال عنهم ، وكان (عِزْرَا) هذا^(ب) خادماً لملك الفرس ، حَظِيّاً لديه ، فتوصَّل إلى بناء بيت

﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾ [سورة الأنعام : آية ٩١] .

وانظر في ذلك : د. محمد يومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم . (ص ٤٧ - ٨٨) طبعة جامعة الإمام ١٤٠٠ هـ ، د. عبد الستار سعيد : معركة الوجود بين القرآن والتلمود (ص ١٤٣ - ١٤٩) .

ولكن ما هو هدف إسرائيل الحقيقي من وراء ذلك ؟ انظر بحثنا : « النبوة والأنبياء بين التوراة والقرآن » .

(أ) في : م : وطنته .

(ب) في : م ، والأصل : كان هذا عزرا ، وهو قد تكرر .

(١) انظر : سفر العدد ، الإصحاح الثالث .

المقدس ، وعمل لهم هذه التوراة التى بأيديهم .

فلما كان هارونياً ، كره أن يتولّى عليهم فى الدولة الثانية داودى ، فأضاف فى التوراة فصلين طاعنين فى نسب داود ! :

أحدهما :

« قصة بنات لوط » .

والآخر :

قصة (ثامار) وسيأتى ذكرها .

ولقد بلغ - لعمري - ، غرضه ! فإنّ الدولة الثانية التى كانت لهم ، فى بيت المقدس ، لم يملك عليهم فيها داوديون ، بل كانت ملوكهم هارونيين^(٢) .
وعِزْرا هذا ليس هو (العُزَيْر) ، كما يُظَنّ ؛ لأنّ العُزَيْر هو تعريب (العازار)^(١) .

فأما (عِزْرا) ، فإنّه إذا عُرِّب ، لم يتغير عن حاله ؛ لأنه اسم خفيف الحركات والحروف ، ولأنّ (عزرا) عندهم ليس بِنَبْيٍ ، وإنما يُسَمُّونه (عزرا هوفير) ، وتفسيره : (النَّاسِخ) .

وأيضاً فإنّ عندهم - فى التوراة - قصّةٌ أعجب من هذه ، وهى أن

(أ) فى : م : هارونيون . وهو خطأ نحوى !! .

(٢) (العازار) اسم تكرر أكثر من مرة فى العهد القديم ، منهم : ابن هارون النبى - عليه السلام - وهو كاهن إسرائيل ، يقوم على خدمة الرب وحراسة خيمة الاجتماع .
انظر : سفر العدد : الإصحاح الثالث ، وسفر اللاويين : الإصحاح العاشر : ١٢ وما بعدها .

يهودا بن يعقوب^(١) ، عليهما السلام ، زَوْج ولده الأكبر من امرأة يقال لها (ثامار)^(٢) .

وكان يأتيها مستديراً ، فغضب الله من فعله فأماته ، فزوجه من ولده الآخر فكان إذا دخل بها أمني على الأرض^(٣) علماً منه بأنه ، إن أولدها ، كان

(أ) في : م زيادة كلمة (النبي) .

(١) انظر : التكوين ، الإصحاح ٣٨ ، ٦ : ٣٠ .

(ب) في سفر التكوين ، رسمت هكذا (تمه) .

(٢) وتقول التوراة أن اسمه كان (أونان) (تكوين ٩٨ : ٩٠ .

ويقال إنه أول من عزل ، وسمى الطب العزل بهذه الطريقة : (Onanism) .

• وكلام السموأل هذا عن (عزرا) و (العزير) و (العازار) ، كلام مقبول ، ولا ننسى أنه رجل مُتَضَلِّع من اللغتين : العبرية ، والعربية ، ومتبحر في علوم التوراة والقرآن الكريم .

وهو كلام فَصَّلَ في هذه النقطة ، وإن علماءنا المشبته كانوا يرون ذلك ، ولا يخلطون بين الرجال ، لا سيما وأن الخلط في هذه الحالة خطير جداً ؛ لأنه رجل صالح (العازار) : المترجم إلى العربية بـ (العزير) ، وبين فاسق جاهل فارغ هو (عزرا) الوراق ، رئيس الكتبة المنشقين الذين حرّقوا التوراة وبدّلوها !! .

انظر مثلاً : لأبي المعالي الجويني كتابه : شفاء الغليل ص ٣١ ، وانظر لابن حزم الأندلسي : الفصل في الملل والأهواء والنحل .

— ولقد عجبت من خلط الدكتور أحمد السقا ، بين عزرا ، والعزير ، فهو يراهما واحداً لذلك فإنه يذكر — مثلاً — تعليقاً على كلام الجويني ، ص ٣١ من شفاء الغليل ، هامش رقم ٢٣١ يقول :

« أي أن عزرا (عزير) كتب التوراة في مدينة بابل بالعراق سنة ٦٨٥ ق.م. » .
ويقول — أيضاً — في تعقيبه على الكتاب المذكور ص ٥٨ :

« موقف عزير — لعنه الله — من التوراة » ، وهذا خلط لا يجوز !! ولعله قد انطبع في ذهنه ، هذا الخطأ الفاحش من الكلام الذي ساقه لصاحب « قصص الأنبياء » ابن إسحاق الثعلبي ص ٦٠/٥٩ « شفاء الغليل » ، ووصفه — هو نفسه — بأنه من موضوعات اليهود المدسوسة في الكتب الإسلامية ، لدفع جريمة التحريف عن أنفسهم . وهو رأى ابن كمونة =

أَوَّلُ الأولاد مدْعَوْاً باسم أخيه ، ومنسوباً إلى أخيه ، فكره الله ذلك من فعله فأَمَاتَه أيضاً . فأمرها يهوذا بالَّلحاق بأهلها إلى أن يكبر (شيلاً) ولده ويتم عقله ، حذراً من أن يصيبه ما أصاب أخويه . فأقامت في بيت أبيها . فماتت - من بعد - زوجة يهوذا ، وأصعد إلى منزل يقال له (ثمناث)^(ب) ، لِيَجِزَّ غنمه ، فلما أخبرت (ثامار) بإصعاد حميها (١٠ ب) إلى (ثمناث) ، لبست زى الزَّوَانِي وجلست في مستشرف على طريقه ، تعلمها يشيمه ! ، فلما مرَّ بها ، خالها زانية فراودها ، فطالبته بالأجرة ، فوعدها بجدي ، ورهن عندها عصاة وخاتمه ، ودخل بها ، فعلقت منه (بفارص وزارح) ، ومن نسل فارص هذا كان (بوعر) المتزوج (بروث) التي من نسل مؤاب ، ومن ولدها كان داود النبي ، عليه السلام^(أ) .

وأيضاً ففي هذه الحكاية دقيقةٌ مُلْزِمةٌ بالنسخ وهي أن يهوذا ، لما أُخبر بأن كَتَنَتْه قد علقت من الزنا ، أفتى بإحراقها .

فبعثت إليه بخاتمه وعصاه .

وقالت :

« مِنْ رَبِّ هَذِينَ أَنَا حَامِلٌ » .

فقال :

« صَدَقْتُ ، مِنْى ذلك » واعتذر بأنه لم يعرفها ولم يعاودها .

وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان ، كانت مقتضية إحراق الزواني ،

= اليهودى في تنقيح الأبحاث .

وانظر : رسالة الأخ الزميل د. عبد الرحمن عوف عن (عزرا وعزير) بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

(أ) في : م : تسقط كلمة (تعالى) دائماً !! .

وأن التّوراة ، أتت بنسخ ذلك وأوجبت الرّجم عليهنّ .

وفيها أيضاً من نسبتهم الزّناء والكفر إلى بيت (أ) التّبوة ، ما يقارب ما نسبوه إلى لوط النّبي - عليه السلام - .

وهذا كلّه عندهم في نصّ كتابهم وهم يجعلون هذا نسباً لداود وسليمان ولمسيحهم المنتظر . ثم يرون المسلمين ، أحقّ بهذا اللقب من مُنتظرهم . وكذبهم في هذا القول من أظهر الأمور وأبينها .

فأما دفعُهم لإعجاز القرآن ، للفصحاء ، فلست أعجبُ منه ، إذ كانوا لا يعرفون من العربية ما يفرقون به بين الفصاحة والعيّ ، مع طول مكثهم فيما بين المسلمين .

وأيضاً فَمِنْ اعتراضهم على المسلمين أنّهم يقولون :

« كيف يجوز أن ينسب إلى الله تعالى كتاب يتقَضُّ بعضه بعضاً ؟ » .

يريدون بذلك - ينسخ بعضه بعضاً ! .

فنقول لهم :

أما تحسين جواز ذلك فقد ذكرناه في أوّل هذه الكلمة (١) ، وأما تعجبكم منه وتشنيعكم به ، فإنّ كتابكم غير خالٍ من مثله ، فإنّ أنكروا ذلك ، قلنا لهم :

(أ) في : أهل بيت .

(١) يقصد : الكتاب .

ما تقولون في السَّبْت^(١) ، أيهما أقدمُ ، افتراضها عليكم أو افتراض الصَّوْمِ الأكبر^(٢) ؟ .

فيقولون :

« السَّبْت أقدم » .

لأنهم إن قالوا : « الصَّوْم أقدم ، كدَبناهم بأنَّ السَّبْت فرضت عليهم في أول إعطائهم المنّ ، والصَّوْم الأكبر فرض عليهم بعد نزول اللوحين ومخالفتهم وعبادتهم العجل ولما رفع عنهم عقابُ ذنبهم ذلك ؛ في هذا اليوم ، فرض عليهم صومه وتعظيمه .

فاذا أقرُّوا بتقديم السبت .

قلنا لهم :

ما تقولون في يوم السَّبْت ، هل فرضت فيه ، عليكم الراحة والدعة وتحريم المشقَّات أم لا ؟ .

(١) جاء في سفر اللاويين عن عقيدة الراحة في يوم السبت ما يلي :

« وكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي جَبَلِ سِينَاء قَائِلًا : كُلِّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ : مَتَى أَتَيْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطَيْتُكُمْ ، تُسَبِّتُ الْأَرْضُ سَبْتًا لِلرَّبِّ ، سِتَّ سَنِينَ ، تَزْرَعُ حَقْلَكَ ، وَسِتَّ سَنِينَ تَقْضِبُ كَرْمَكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتَهَا ، وَأَمَّا السَّنَةُ السَّابِعَةُ ، فَفِيهَا يَكُونُ لِلْأَرْضِ سَبْتٌ عَظْلَةٌ لِرَبِّ ... إلخ » (٢٥ - ١ : ٢١)

ولقد جاء ذكر (السَّبْت) في عدة مواضع ، في العهد القديم ، منها مثلاً :

« ستة أيام يُعْمَلُ عَمَلٌ ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ يَكُونُ لَكُمْ سَبْتٌ عَظْلَةٌ مُقَدَّسَةٌ لِلرَّبِّ ، كُلُّ مَنْ يَعْمَلُ فِيهِ عَمَلًا يَقْتُلُ ، لَا تَشْعَلُوا نَارًا فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ يَوْمَ السَّبْتِ » .

(خروج ٣٥ - ١ - ٣)

(٢) راجع كتاب : تفتالِي فيدر : مرجع سابق .

فيقولون :

بلى .

فنعقول لهم :

فلَمْ فرضتم فيه الصوم إذا اتفق صومكم الأكبر يوم السبت ، مع كون صومكم فرض بعد فريضة السبت ، ولكم في ذلك الصوم أنواع من المشقة . منها القيام جميع النهار ؟ أليس هذا أيضاً قد نسخ فريضة السبت ؟ .

وأما سيدنا رسول الله ﷺ ، وعظم وكُرم ، فله فيما بينهم اسمان فقط فعليهم لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين .

أحدهما : « فاسول » .

وتفسيره : الساقط !! .

والثاني : « موشكاع » .

وتأويله : المجنون !! .

وأما القرآن (١١١ أ) العظيم ، فإنَّهم يسمُّونه فيما بينهم « قالون » ، وهو اسم للسَّوءة ، بلسانهم ، يعنون بذلك أنه عورة المسلمين ! .

وبذلك وأمثاله ، صاروا أشدَّ عداوة للذين آمنوا ، فكيف لا يلعنهم الله^(١) ويلعنُهُم اللاعنون !!؟ .

(١) ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾ [النساء : ٥٢] .

﴿ ... ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾ [النساء : ٤٦] .
﴿ لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ [المائدة : ٦٠] .
﴿ لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ [المائدة : ٨٢] .

فَصْلٌ مُعَرَّبٌ عَنْ بَعْضِ فَضَائِحِهِمْ

ومن الفضائح - التي عندهم - مذهبيهم ، في قِصَّة (اليتامى والخالوص) .
وذلك أنهم أمروا أنه إذا أقامَ أخوان ، في موضع واحد ، ومات أحدهما ،
ولم يُعقب ولداً ، فلا تخرج امرأة الميت إلى رجل أجنبي ، بل وَلَدٌ حَمِيَّهَا
يُنكِحُهَا ، وأوَّل ولدٍ يُولدُهَا يُنسَبُ إلى أخيه الدارج .

فإن أبى أن يَنْكِحَهَا ، خَرَجَتْ مُشْتَكِيَةً مِنْهُ إلى مُشْبِخَةٍ قَوْمِهَا قَائِلَةً :
قد أبى ابنُ حمى أن يَسْتَبْقِيَ إِسْمًا لِأَخِيهِ^(أ) ، في إسرائيل ولم يُرِدْ
نِكَاحِي !! .

فيحضره الحاكم هناك ، ويكلفه أن يقف ، ويقول : «لوجافا صتى
لفختاه » .

تفسيره : ما أردت نكاحها .

فتناول المرأة نعله ، فتخرجها عن رجله ، وتمسكها بيدها ، وتبصق في
وجهه ، وتنادى عليه :

« كاخا يعاسى لا اه يش اشير لو بينى إث بيت أحيو » .

تفسيره : كذا فُلِّصَغُ^(ب) بالرجل الذى لا يَتْنِي بيت أخيه . ويُدعى فيما
بعد ، اسمه بالمخلوع النعل ، ويُتَبَرَّزُ بِهِذا اللَّقْبُ ، أعنى : بيت المخلوع النعل .
هذا كله مفترضٌ في التوراة عليهم !! .

(أ) في : م : اسم أخيه .

(ب) في : م : فاليضع .

وفيه حكمة ملجئة للرجل إلى نكاح^(أ) زوجة أخيه الدارج ، لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة أن تشتكيه إلى نادى قومها ، فذلك ممّا يحمله على نكاحها ! .

فإن لم يردعه الحياء من ذلك ، فرمّا إذا حضر ، استحيا^(ب) أن يقول : ما أردت نكاحها ، فإن لم يُخجله ذلك ، فرمّا يستحي من انتهاك العرض ، بخلع نعله ، وكون المرأة تشيل نعله ، وتبصق في وجهه ، وتنادى عليه بقلّة البركة والمروءة .

فإن هو استهان بذلك ، فرمّا استعظم أن يُنبر باللقب ، ويبقى عليه وعلى آله ، من بعده عارُه وقبحُ اسمه ، فيلجئه ذلك إلى نكاحها .

فإن كان من الزهد فيها ، بحيث يهون عليه جميع ذلك ، فقد فرّق الشرع بينهما بعد ذلك ، وليس في التوراة غير هذا .

فقرّع فقهاءهم^(ج) على ذلك ، ما فيه خزيهم وفضيحتهم وذلك أنه إذا زهدت المرأة في نكاح أخى زوجها المتوفى ، أكرهوه على النزول عنها ، ثم ألزموها الحضور عند الحاكم بمحضر من مشيختهم الحاخاميم ، ولقنوها أن تقول : مباين ييامن لها قيم لا جو شيم يسرايل لوا ابا ييمي .

تفسيره : أبى ابن حمى أن يقيم لأخيه اسماً في إسرائيل ولم يرد نكاحي فيلزمونها بالكذب عليه لأنه أراد فمنعته ! فكان الامتناع منها والإرادة منه !! .
وإذا لقنوها تلك الألفاظ ، فهم يأمرونها بالكذب ، ويحضرونه ويأمرونه بأن يقوم ، ويقول :

(أ) هنا : من زائدة في : م .

(ب) في : م : استحي .

(ج) في : م : فقهاءهم .

« لوحا فاصيتى لفحتا » .

تفسيره (١١ ب) ما أردتُ نكاحها .

ولعل ذلك سؤله ومُناه ، فيأمرونه بأن يكذب .

وأما إخراجُها به ، وبصقُها في وجهه ، فغايةُ التعدي لأنه ما كفاهم بأن يكذبوا عليه ، وألزموه بأن يكذب ؛ حتى ألزموه عقاباً على ذنبٍ لم يجنبه ، فصاروا كما قال الشاعر :

وَجُرْمُ جَرِّهِ سَفَهَاءُ قَوْمٍ فَحَلَّ بِغَيْرِ جَانِيهِ الْعِقَابُ^(١)

(١) في : م : « وحلّ بغير جارمه العذاب » . وهي رواية أخرى للبيت ، وهو لشاعر العربية الكبير أبي الطيب المتنبي ، وهو لتداوله وشهرته صار مثلاً .
في لسان العرب :

ذكر السبب في تشديدهم الإصر على أنفسهم

تشديدهم الإصر على أنفسهم له سببان :

أحدهما : من جانب فقهاءهم ، وهم الذين يُدعون الحاخاميم ، وتفسير هذه اللفظة : الحكماء .

وكانت اليهود ، في قديم الزمان ، تُسمى فقهاءها^(أ) بالحكماء .

وكانت لهم في الشّام والمدائن^(ب) مدارس ، وكان لهم ألوف من الفقهاء ، وذلك في رمان دولة النبط البابليين ، والفرس ، ودولة اليونان ، ودولة الروم ، حتى اجتمع الكتابان اللذان اجتمع فقهاؤهم على تأليفهما وهما : (المِشْنَا والتلمود) .

فأما المِشْنَا ، فهو الكتاب الأصغر ، وحجمه نحو ثمانمائة ورقة .

وأما التلمود ، فهو الكتاب الأكبر ، ومبلغه نحو نصف حمل بَعْلٍ لكثرتة ، ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه ، في عصر واحد ، وإنما ألفوه في جيل بعد جيل^(١) .

فلما نَظَرَ المتأخرون منهم إلى هذا التأليف ، وأنه كلما مرّ عليه (جيل)^(ب)

• للإحر معان عدة تدور حول الثقل والشدة ، منها : العهد الثقيل ، وإثم العهد والعقد إذا ضيعوه ، مثل بنى إسرائيل ، ومنها الأمر الذى يثقل حمله ، ومنها عقوبة الذنب التى تشق عليهم ، ومنها الذنب الثقيل .

أ : فى : م : فقهاءهم ب : سقطت من الأصل .

(١) يلاحظ أنه ألف فى ظل أربعة عصور تاريخية كبرى :

١ - عصر النبط البابليين الذين أسروا اليهود ودمّروا هيلكهم ، وبدأت كتابه فقههم هنالك ، أثناء الأسر .

=

٢ - ودولة الفرس .

زادوا فيه ، وأن في هذه الزيادات المتأخرة ، ما يناقض أوائل هذا التأليف ، علموا أنهم ، إن لم يقطعوا ذلك ويمنعوا من الزيادة فيه ، أدى إلى الخلل الظاهر ، والمتناقض الفاحش !! .

فقطعوا الزيادة فيه ، ومنعوا من ذلك ، وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه وإضافة شيء آخر إليه ، وحرّموا من يضيف إليه شيئاً آخر ، فوقف على ذلك المقدار .

وكان أئمتهم قد حرّموا^(١) عليهم - في هذين الكتابين - مؤاكلة الأجانب ، أعنى من كان على غير ملتهم ، وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذباجة مَنْ لم يكن على دينهم ، لأنّهم ، أعنى علماءهم وأئمتهم علموا أنّ دينهم لا يبقى عليهم في هذه الجلوة^(٢) ، مع كونهم تحت الذّلّ والعبودية إلّا إن صدّوهم عن

= ٣ - ودولة اليونان الإغريق .

٤ - ودولة الرومان .

• ومن هنا نشأ تلمود أورشليم ، وهو يتكون من مشناه مع شرحه ، جمارا أورشليم ، وهو سجل للمناقشات التي دارت بين حاخامات فلسطين (علماء طبرية خصوصاً) لشرح (أصول المشناه) ويرجع تاريخه إلى ٤٠٠ م .

وتلمود بابل يتكون من مشناه ، وجمار بابل ، الذي هو سجل لشرح حاخامات - بابل للمشناه وجمع سنة ٥٠٠ م تقريباً .

(التلمود : تاريخه وتعاليمه - مرجع سابق ص ١١) .

وانظر : Jewish Encyclopaedia, Vol-10, New york, 1948, §Thalmud .

وانظر للدكتور على عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ط دار نهضة مصر .

(أ) في : م : الجالوت ، ولعله يقصد أن دينهم لا يبقى لهم وهم في حالة الظهور والاختلاط بالأئمة الأخرى .

(١) قلنا في حاشية سابقة أن العقل اليهودي تفتق - وهو في الأسر البابلي - عن

فكرتي (الشريعة) و (الوعد) .

مخالطة من كان على غير ملتهم ، وحرّموا عليهم مناكلتهم ، والأكل من ذبائحهم .

ولم يمكنهم المبالغة في ذلك إلا بحجة يتّبعونها ، من أنفسهم ، ويكذبون بها على الله تعالى .

لأن التوراة إنما حرمت عليهم مناكله غيرهم من الأمم ، لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام والكفر بالله تعالى .

= ويقول باحث يهودى هو : Dr. Arther Rupin
في دراسة له بعنوان : The jews of the Present
A Socio - Scientific Study, Berlin 1904

يقول : « كان من الحيوى في ذلك الأيام ، أن تُصان عقيدة (يهوه) من ضغط العقائد الغريبة ، نظراً لقلّة عدد اليهود النسبي ، وقد كان ذلك عملاً شاقاً ، لكن زعماء القبائل اليهودية ، اعتقدوا . وكانوا على حق في ذلك ، أنه باستطاعتهم تصحيح ذلك الوضع باتخاذ إجراءات استثنائية ، تقضى بالتفريق الكامل بين اليهود وغيرهم ، والمنع المطلق لكل تأثر بالدم والثقافة غير اليهوديين !! » .

« وهكذا نشأ مبدأ منع التزاوج والمشاركة بالأكل بين اليهود وغير اليهود ، ومن هنا أيضاً نشأت دقة التوراة اللامتناهية في تعاليمها ، كما نشأ ازدراء اليهود واحتقارهم لكل الثقافات والتقاليد التي لم تتمكن التوراة من السيطرة عليها . »

« وقد فرض على القبائل الصغيرة أنها عرق نشأ وترعرع خلف الجدران المحصنة (أحياء اليهود - الجيتو) عليه أن يكون دوماً على أهبة الاستعداد ، بحيث أصبح انعزال اليهود واقعاً كاملاً أزلياً » .

« وقد أمكن ضمان عدم اختلاطهم الثقافي والعرق مع غيرهم من الشعوب بواسطة التعاليم الرقيقة عن سلوكهم كأفراد ، وكان ذلك صحيحاً حتى بالنسبة للذين كانوا يزرعون تحت وطأة أقسى الشروط الحياتية » .

« وقد أثبت التاريخ أن كتبهم المقدسة ، قد أتمت غاياتها على أكمل وأوسع وجه ، وكانت الأرثوذكسية (المعدلة) هي المسيطرة لأنها - خلافاً لغيرها من المعتقدات لم تكن ديناً صحيحاً بمعنى الكلمة ، بل منظمة قتالية ، تلبس لبوس الدين ، غايتها الاحتفاظ بنقاوة الشعب اليهودى الفيزيولوجية والثقافية !! » (التوراة - مرجع سابق ص ١٧٪ ١٨) .

وَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ ، فِي التَّوْرَةِ ، أَكْلُ ذَبَائِحِ الْأُمَمِ الَّذِينَ يَذْبَحُونَهَا قَرْبَانًا
لِلْأَصْنَامِ ؛ لِأَنَّهَا قَدْ سُمِّيَ عَلَيْهَا غَيْرَ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى .

فَأَمَّا الذَّبَائِحُ الَّتِي لَمْ تَذْبَحْ قَرْبَانًا ، فَلَمْ تَنْطَقِ التَّوْرَةُ بِتَحْرِيمِهَا ، وَإِنَّمَا نَطَقَتْ
التَّوْرَةُ بِإِبَاحَتِهِمْ تَنَاوُلَ الْمَأْكُلِ ، مِنْ يَدَيِ غَيْرِهِمْ ، مِنَ الْأُمَمِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِمُوسَى
حِينَ اجْتَازُوا عَلَى أَرْضِ بَنِي الْعِصَى « لَوْ تَنَكَّرَ وَبِام كَي لَوْ ابْتَيْنِ ثَخَامِيَا رَحِمَامِ عَاذَ
بِذِرَاحِ كَفِّ رَاغِلٍ » .

تفسيره :

لَا تَتَحَرَّشُوا بِهِمْ ، فَإِنِّي لَا أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِهِمْ وَلَا مَسْلَكَ قَدَمٍ .
« أَوْحَلَ تَشْبِرُومِيَا ثَامَ بِنَسِيفِ زَاخْلِينَ وَعَمَ يَاعِمَ تَحْزَوَ بَاءَتَامَ تَكَيْفِ
وَشِيدَنِيمِ » .

تفسيره :

(١١٢) مَأْكُولَا تَمْتَارُوا^(١) مِنْهُمْ بِفَضَّةٍ وَتَأْكُلُوهُ ، وَأَيْضًا مَاءً تَشْتَرُوا مِنْهُمْ
بِفَضَّةٍ وَتَشْرَبُوا .

فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ نَصِّ التَّوْرَةِ ، أَنَّ الْمَأْكُولَ مَبَاحٌ لِلْيَهُودِ تَنَاوُلُهُ مِنْ يَدِ غَيْرِهِمْ مِنَ
الْأُمَمِ وَأَكْلُهُ . وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ (بَنِي الْعِصَى) كَانُوا عَابِدِي الْأَصْنَامِ وَأَصْحَابَ
كُفْرٍ .

فَلَا يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ، يَدُونَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، أَعْنَى أَنْ يَسَاوَى
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْعِصَى . فَيَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ مَأْكُولَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَجْعَلُوا
لِلْمُسْلِمِينَ تَفْضِيلًا بِتَوْحِيدِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَكَوْنِهِمْ لَا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ ، فَمُوسَى عَلَيْهِ

(١) مِنْ « الْمِيرَةِ » وَهُوَ مَا يَمْتَارُهُ الْإِنْسَانُ ، أَنْ يَطْعَمَهُ وَيَأْكُلَهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبْنَاءِ
يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَغَيْرِ أَهْلَانَا ﴾ (سُورَةُ يُوسُفَ / ٦٥) .
انظر : لِسَانُ الْعَرَبِ ، مَادَّةُ (مِير) .

السلام ، إنما نهاهم عن مناكحة عُبَاد الأصنام ، وأكل ما يذبحونه بأسمائها .

ولسنا نعرف أحداً من المسلمين يذبح ذبيحة باسم صنم ولا وثن .

فما بال هؤلاء لا يأكلون من ذبائح المسلمين ؟ بل ما بال من سكن بالشام وبلد العجم منهم ، لا يأكلون من أيدي المسلمين اللين والجين والحلوى والخبز وغير ذلك من المأكولات ؟!

فإن قالوا :

« لأن التوراة حرّمت علينا أكل الطريفا » .

قلنا لهم :

إن الطريفا هي الفريسة ، التي يفترسها الأسد أو الذئب أو غيره من السباع . ودليل ذلك ، قول التوراة :

« وباساد بساذى طريفا لوئو حانو لمكيلب تشيلخوئو » .

تفسيره :

ولحماً في الصحراء فريسة لا تأكلوا ، للكلب ألقوه .

فلما نظر أئمتهم إلى أن التوراة غير ناطقة بتحريم مأكّل الأمم عليهم ، إلّا عُبَاد الأصنام ، وأن التوراة قد صرّحت بأن تحريم مواكلتهم ومخالطتهم ، خوف استدراجهم - بالمخالطة - إلى مناكلتهم^(١) ، وأن مناكلتهم إنّما تُكره خوف استباعها الانتقال إلى أديانهم وعبادة أوثانهم .

ووجدوا جميع هذا واضحاً في التوراة ، اختلقوا كتاباً سمّوه : « هلكت شحيطا » ومعناه : « علم الذباجة » .

(١) انظر كلام دكتور آرثر روين السابق .

ووضعوا في هذا الكتاب ، من تشديد الإصر عليهم ما شغلهم به عما هم فيه من الذلّ والمشقة . وذلك أنّهم أمروهم بأنّ ينفخوا الرئة حتى تمتلئ هواءً ويتأمّلوها ، حتى يخرج الهواء من ثقب منها أم لا ؟ فإن خرج منها الهواء حرّموه !! وإن كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض ، لم يأكلوه !! . وأيضاً ، فإنّهم أمروا الذى قد الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة ويتأمّل بإصبعه ، فإن وجد القلب ملتصقاً إلى الظهر أو أحد الجانبين ، ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة ، حرّموه^(١) ولم يأكلوه وسّموه « طريفاً » ويعنون بذلك أنّه نجس^(٢) !! .

وهذه التسمية ، هي أوّل التعديّ منهم ، لأنّه ليس موضوعها في اللغة إلّا المفترس ، الذى يفترسه بعض الوحوش .
ودليل ذلك ، قول يعقوب ، لمّا جاؤوه بقميص يوسف ملوثاً بالدم :

-
- (١) هذا شأنهم ، فهم احترفوا التزييف والتحريف ، يقول تعالى : ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ (المائدة ١٣) ويقول سبحانه :
- ﴿ ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ (المائدة : ٤١) .
- ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا ﴾ (النساء : ٤٦) .

وللنظر في بشاعة تحريفهم ، انظر الفروق الشاسعة بين كل من التوراة العبرانية ، والسامرية ، واليونانية .

(انظر : التوراة السامرية : نشرة ١٩٨٠ م دار الأنصار) (وانظر حواشى الكتاب المقدس ، نشرة جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى ، بيروت ١٩٧٦ م) .

- (٢) قارن مع كتاب : « هداية الحيارى » لابن القيم ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ولقد نقل الإمام ابن القيم كلام السّمّوال هذا مرة أخرى ، في كتابه : « أحكام أهل الذمة » انظر : ج ١ ص ٢٦٧/٢٦٩ بتحقيق صبحى الصالح ، بيروت .

« ويكبراه ويومر كثوث بنى حيارعا احالا نهوطاروف طوارف
يوسف »

تفسيره :

فتأملها ، وقال : دراعة ابني وحشى ردىء أكله ، افتراساً افترس
يوسف !! .

فقد تبين أن تفسير (طروف طوراف يوسف) افتراساً افترس يوسف .
فالطريفا هي الفريسة . (١٢ ب) .

ودليل آخر أنه قال :

« ولحماً فى الصحراء فريسة لا تأكلوا » .

والفريسة أبداً إنما توجد فى الصحراء . وليس ينبغى أن يعجب من
ذلك ! .

فإن هذا النهى ، عن أكل الفريسة ، إنما ترك على قوم ذوى أخبية يسكنون
البر .

وذلك أنهم مكثوا يترددون فى التيه والبرارى تمام أربعين سنة ، وكانوا أكثر
هذه المدة ، لا يجدون طعاماً إلا المَن ، فلما اشتدَّ قَرْمُهُمْ^(١) إلى اللحم ، جاءهم
موسى بالسُّلوى ؛ وهو طائر صغير يشبه السُّمانى .

وخاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية ويذهب بالخُتْزَوَانَة^(٢)
والقساوة ! .

(١) فى لسان العرب : القَرْمُ : هو - بالتحريك - شدة اشتهاهم اللحم . وفى
الحديث : أنه كان يتعوذ من القرم .

(٢) فى لسان العرب : خُتْزَوَانَة ، من خنز ، أى : أنتن ، والخنزوة ، والخنزوانة
والخنزوانية : الكيثر . (مادة : ختَزَ) .

وذلك أن هذا الطائر يموت إذا سمع صوت الرعد ، كما أن الخطاف يقتله
البرد .

فيلهمه الله ، عز وجل ، أن يسكن جزائر البحر ، التي لا يكون بها مطر ،
ولا رعد ، إلى انقضاء أوان المطر والرعد ، فيخرج من الجزائر وينتشر في
الأرض .

فجَلَبَ الله إليهم هذا ، الطائر ليتنفعوا بما في أكل لحمه من الخاصية ، وهي
تليين القلوب القاسية^(١) .

وكان قد اشتد قرمهم إلى اللحم قبل ذلك ؛ بحيث لم يمنعهم من أكل
الفريسة والميتة ، إلا نزول تحريمها في التوراة .

فقد تبين التعدي من شائخهم في تفسير : الطريفا ، وأنه^(١) الفريسة .

• يقول الله تعالى ونعظم :

﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ، وواعدناكم جانب الطور الأيمن ، ونزلنا
عليكم المن والسلوى ﴾ (طه ٨٠) .

(١) ومن أقسى قلوباً من يهود ؟! يقول الله تعالى مخاطباً يهود .

﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة
لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من
خشية الله ... ﴾ (البقرة ٧٤) .

﴿ وقالوا : قلوبنا غُلِّف بل لعنهم الله بكفرهم ، قليلاً ما يؤمنون ﴾
(البقرة : ٨٨) .

﴿ فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ... ﴾ (المائدة : ١٣) .

ويقول متى عنهم : « لقد غُلِّظ قلب هذا الشعب » (متى ١٣ : ١٥) .

ويقول حزقيل عنهم : ٣ :

فأَمَّا فقهاؤهم ، فإنَّهم اختلقوا من أنفسهم هذياناً وخرافات تتعلق بالرَّثة والقلب !!

وقالوا :

ما كان من الذبائح سليماً من هذه الشروط فهو « دخيّاً » ، وتفسير هذه الكلمة « طاهر » وما كان خارجاً عن هذه الشروط ، فهو : « طريفاً » ، وتفسير هذه الكلمة : « حرام » .

وقالوا معنى قول التوراة :

« ولحماً فريسةً في الصحراء ، لا تأكلوا ، للكلب ألقوه » يعنى :

« إذا ذبحتم ذبيحتكم ، ولم توجد فيها هذه الشروط ، فلا تأكلوها ، بل تبيعوها على مَنْ ليس من أهل مِلَّتكم ؛ وذلك أنهم فسَّروا قوله : « للكلب ألقوه » أى :

لمن ليس على مِلَّتكم أطعموه ويبيعوه؛ ألا إنَّهم - على الحقيقة - أشبه بالكلاب ، وأحق بهذا اللَّقب والتشبيه ، لقبح عقولهم ، وسوء ظنونهم واعتقادهم فيمن سواهم من الأمم^(١) !! .

« لأن كل بيت إسرائيل صِلابُ الجباه ، وقساة القلوب ... إنهم بيت متمرّد » . والنصوص على ذلك تترى في القرآن الكريم ، وفي العهد القديم ، وفي الأناجيل والرسائل .

(١) جاء في القرآن العظيم ، ما بين فلسفة يهود ورأيها في الأميين :

﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ (آل عمران : ٧٥) .

لا يفهم غير اليهودى التوراة مالم يدرك معنى كلمة (جوى) وجمعها (جويم) ، فهى تعنى : الأمم ، أو الشعوب ، وهم غير اليهود ، أو الغرباء .

وطبقاً للنصوص تستخدم الكلمة - فى الذهن اليهودى الغربى - لتعبر عن : العدو

العالمى البغيض ، أو السعادين الخليفة المهينة ، أو الحبيبات البشرية أو قطيع الجويمى الغنى ،
أو الإرث الذى وعدهم به (يهوه) . (التوراة : مرجع سابق) .

وشريعة اليهود التى كتبها فقهاؤهم (انظر كلام السماوأل عنهم) تركز على الحقد
الأبدى الذى يجب على اليهود تربيته فى نفوسهم ضد الجويمى .

« وأرسل هيتى أمامك ، وأكسر جميع الجويمى الذين تصير إليهم ، وأجعل جميع
أعدائك بين يديك ، مدبرين ، وأبعث الزنايير أمامك فتطرد الحويين والكنعانيين ،
والحيثيين ، من ... وأجعل تخمك من بحر الكلام إلى بحر فلسطين ، ومن البرية إلى النهر ،
فإنى أسلم أيديك سكان الأرض ، فتطردهم من أمام وجهك ، لاتقطع لهم ، ولا لآلتهم
عهداً ، ولا يقيموا فى أرضك » (سفر الخروج ٣٣ : ٢٧ وما بعدها) .

(وفى سفر تثنية الاشتراع ٧ : ١) .

« وإذا أدخلك الرب إهلك الأرض التى أنت صائر إليها لثرتها ، واستأصل أئماً كثيرة
من أمام وجهك ، ... وأسلمهم الرب إهلك بين يديك ، وضربتهم ، فأبسلهم : بسالاً ، لا
تقطع معهم عهداً ، ولا تأخذك بهم رافة إلخ » .

وجاء فى نفس السفر : ٧ : ١٦ :

« وتفترس جميع الغويمى الذين يدفعهم إليك الرب إلهك ، فلا تشفق عينك عليهم » .

ولهم فى ذلك سوابق تاريخية بشعة ، نفذوا فيها ما تأمرهم به الشريعة التى وضعها لهم

الكتبة الفريسيون ، انظر :

(سفر العدد ٣١ : ١ - ٧) ، (العدد - ٣١) و (التثنية ٧ : ١٦) ، (العدد

(٣ : ٢١) (يشوع ٦ : ٢١) ، (يشوع ٨ : ١ ، ٢٨) و (يشوع ٢١ : ٩ ، ١١)

(العدد : ٣٣ : ٥٥) وقال لهم الكتبة : أنهم إن لم يفعلوا ذلك ، وأخذتهم الشفقة فإن

(يهوه) سوف ينزل بهم عقابه الشديد ، وهلاكه : (تثنية ٨ : ٢٠) .

ثم إن اليهود فرقان :

إحداها : عَرَفَتْ أَنَّ أولئك السلف الذين ألفوا « المِشْنَا »^(١)
و « التلمود » ؛ وهم فقهاء اليهود ، قوم كذّابون على الله تعالى وعلى موسى النبي
(عليه السلام) ، أصحاب حماقات ورقاعات هائلة !! .

من ذلك ، أن أكثر مسائل فقهم ، ومذهبهم ، يختلفون فيها ، ويزعمون
أنَّ الفقهاء كانوا إذا اختلفوا في كل واحدة من هذه المسائل ، يوحى الله إليه^(أ)
بصوت يسمعه جمهورهم ، يقول :

« الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان » وهم يسمون هذا الصوت :
« بث قول » .

فلما نظر اليهود « القَرَّاءُون »^(ب)^(٢) - وهم أصحاب (عانان بن داود
وبنيامين) - إلى هذه المحالات الشنيعة ، وإلى هذا الافتراء الفاحش ، والكذب
البارد ، انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء ، وعن كل من يقول بمقاتلهم ، وكذبهم
في كل ما افترّوا^(ج) على الله - تعالى - ، وقالوا - بعد أن ثبت كذبهم على الله -
وأنهم ادّعوا التَّبَوَّةَ ، وزعموا أن الله تعالى كان يوحى إلى جميعهم في كل يوم
مرّات ، فقد فسّقُوا ، ولا يجوز قبول شيء منهم !! ، فخالفهم في سائر

(أ) في : م : إليهم (ب) في : م : القَرَّائِيون (ج) زيادة (به) في : م
(د) كلمة (ابن) زيادة في : م .
(هـ) ما بين [] ساقط من : م .

(١) يزعم اليهود أن الله تعالى قد أوحى إلى موسى عليه السلام ، في جبل سيناء نوعين
من الوحي :

ما أضلّوه من الأمور التي لم ينطق بها نصُّ التوراة ، (١٣ أ) وأكلوا اللحم باللبن ، ولم يحرّموا سوى^(٥) ابن الجدّى بلبن أمه [فقط مراعاةً للنص ، أعنى قول التوراة : لا ينضج الجدّى بلبن أمه]^(٥) .

(أ) الشريعة المكتوبة أو المسجلة وهي التوراة .

(ب) الشريعة الشفهية وهي تعاليم سرية ، وتتضمن التفسير الحقيقي الصحيح ، الذى يعنيه الله ويريده من النصوص الظاهرة المكتوبة فى التوراة . ويزعمون أن هذه التعاليم نقلها اليهود شفاهاً عن موسى عليه السلام - عن ربه - عبر أربعين جيلاً ، حتى انتهت إلى الحاخام يهوذا هاناسى Judah Hanasi فيما بين ١٩٠ ، ٢٠٠ م .

والمشناه ، هو خلاصة القانون الشفهى ، الذى تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسيين ، التابعين لأهواء النفس . (التوراة ص ١٢) .

ذكر الحبر الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون (رميم) فى مقدمة شرحه للمشناه : « منذ أيام معلمنا موسى ، حتى حاخامنا المقدس (يهوذا هاناس ، لم يتفق أحد) من علماء اليهود) على أية عقيدة من العقائد التى كانت تدرس علانية ، باسم « القانون الشفهى » ، بل كان رئيس محكمة كل جيل (السنهدين) أو بنيه ، يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهيه ، لينقلها شفهيًا إلى شعبه ، وهكذا ألف كل فرد (من العلماء) كتاباً مماثلاً ليستفاد منه ، حسب كفاءته ، إذا كان متمكناً من القوانين الشفهية . وما توصل إليه السابقون من تفسير التوراة ، والقرارات التى أعلنت فى مختلف الأجيال ، وقررتها المحكمة العليا ، وهكذا تقدم الزمن حتى جاء حاخامنا المقدس الذى جمع - لأول مره - كل ما يتعلق بالسنة والأحكام والقرارات ، وشرح القانون المروى عن موسى - معلمنا - الأمور به فى كل جيل » .

« التلمود ص ١٢/١٣) ، Hebrew Literature, pp V,VI وانظر : نفتالى فيدر ، ص ٢٦ ، وانظر د. إسرائيل ولفستون : موسى بن ميمون ص ٢١ . نشرة القاهرة المعهد الفرنسى .

(٢) يقدم السموأل معلومات جيدة عن القرائين اليهود ، ونضيف إلى ذلك أنه يجب علينا ونحن ندرس حركة القرائين ، أن نتذكر الحقائق والوقائع التالية :

- أن حركة الفريسيين قد ظهرت - لأول مرة - قبل الميلاد بحوالى ٢٠٠ سنة ، وأنهم تبوأوا المسرح اليهودى - السياسى والفكرى والعقدى - حتى مائتى سنة ، بعد ميلاد =

وأما التُّرْهَاتُ التي أَلْفَها الحُخَامِيمُ الفقهاء ، وسموها : « هلكت شحيطا » ، أعنى : « علم الذباجة » ، وهى المسائل الفقهية التي رتبها الفقهاء ،

المسيح ، وهم الذين أوجدوا القانون الشفهى ، وهم أتباع (عزرا) المتوفى ٤٤٤ ق.م ، ويشار إلى هؤلاء الكتبة بأنهم : رجال الكنيس العظيم ، الذين يعتبرون (عزرا) أكبر معلم يهودى بعد موسى ، عليه السلام .

- وهذه الطائفة قد انشقت على أتباع التوراة ، أو على الطائفة الصادوقية التي ثارت ضدهم ، وهم آل صادق الكاهن (فى عهد الملك النبو داوود) .

- ثم ظهرت الحركة الكرائية أو القرائية من بين الفريسيين أنفسهم ، وهى « أول ثورة قامت ضد سيادة التلمود ، قامت فى معقل مفسرى التلمود (الجيونيم) بعد مائتى سنة من تأليف المشناه ، والكرايون التابعون للحاخام شمأى متشددون فى اتباع التوراة » والقراءة فيه ورفض القوانين الشفهية جملة .

- سبب ظهورها يرجع إلى عدة أسباب من أهمها : اختلاف اليهود حول التلمود الذى اعتبره بعضهم بدعة فى الدين .

، تأثر اليهود بالانتصارات السياسية الإسلامية المدهشة ، وتأثرهم بالعقائد الروحية الإسلامية والجدل الفكرى والعقدى فى البيئة الإسلامية . (التلمود ص ٣١/٥٠٣٢/٥١/٥٢) .

- وعن تأثر اليهود بالإسلام ، يقول : نقتالى فيدر :

« والمعروف أن الديانة اليهودية قد تأثرت تأثراً عظيماً بالبيئة الإسلامية ، فقد أدت التيارات الروحية التي غمرت البيئة الإسلامية طوال مئات السنين إلى - إلى ثورة فى الحياة الروحية لليهود إذ إن المسائل الدينية التي قتلها المسلمون بحثاً عرفت طريقها إلى مدارس أحياء اليهود ، وقد عظم هذا التأثير أولاً وقبل كل شيء فى ميدان النظر الفلسفى والفكر الدينى ، حين شعرت المراكز اليهودية بالحاجة إلى حل المشكلات الدينية التي صارت موضع نقاش وبحث » (ص ٩ وما بعدها : التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية) .

وانظر ترجمة الدكتور النشار وعباس الشربيني لكتاب الباحث اليهودى جورج فيدا : (مقدمة للفلسفة اليهودية فى العصور الوسطى) ، فى كتابهما : (الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية) ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

وانظر الفصل لابن حزم الجزء الأول ، والملل والنحل للشهرستانى ، نشرة محمد سيد كيلانى ، و « اعتقادات فرق المسلمين والمشرىين » للفخر الرازى ، بعناية على سامى النشار ص ٨٢ - ٨٣ تصوير دار الكتب العلمية / بيروت .

[ونسبوها إلى موسى عن الله تعالى]^(أ) .

فإنَّ القَرَائِنَ اطَّرحوها مع غيرها وألغوها ، وصاروا لا يحرمون شيئاً من الذبائح التي يتولَّون ذباحتها البتَّة .

فهذا حال هذه الطائفة من اليهود ، أعنى : القَرَائِنَ ، ولهم - أيضاً - فقهاء أصحابُ تصانيف ، إلَّا أنهم لم يبالغوا في الكذب على الله تعالى إلى حد أن يدَّعوا النبوة ، ولا نسبوا شيئاً من تفاسيرهم إلى النبي ، ولا إلى الله تعالى ، بل إلى اجتهدهم .

والفرقةُ الثانية ، يقال لهم : « الرِّبَّانِيُّونَ » .

وهم أكثرُ عدداً ، وهم شيعةُ الحنَّالِمِ الفقهاء المُفْتَرِّين على الله عز وجل ، الذين يزعمون أنَّ الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصوت ، الذي أسموه : « بث قول » .

وهذه الطائفة أشدُّ اليهود (ب) عداوةً لغيرهم من الأمم^(١) ؛ لأنَّ أولئك الفقهاء المُفْتَرِّين على الله تعالى ، قد أوهموهم أنَّ المأكولات والمشروبات ، إنَّما تجلُّ للناس بأن يستعملوا فيها هذا العلم الذي نسبوه إلى موسى وإلى الله تعالى ، وأن سائر الأمم لا يعرفون هذا ، وأنهم إنَّما شَرَفَهم الله بهذا وأمثاله من الثُّرَّات التي أفسدوا بها عقولهم ، فصار أحدهم ينظر إلى من ليس على مِلَّتِهِ ، كما ينظر إلى بعض الحيوانات التي لا عقل لها ، وينظر إلى المآكل التي تأكلها الأمم ، كما ينظر الرجل العاقل إلى العذرة ، أو إلى صديد الموتى ، وغير ذلك من الأشياء القذرة التي لا يسوغ لأحد أكلها .

(أ) في : م : « ونسبوها إلى الله عن موسى » .

(ب) سقطت (اليهود) من : م .

(١) قارن : « هداية الحيارى » ص ١٣٤ .

فهذا هو الأصل في بقاء هذه الطائفة على أديانها ، لشدة مباينتها لغيرها من الأمم ، ولأنهم ينظرون إلى الناس بعين النقص والإزراء إلى أبعد غاية .

وأما الطائفة الأولى ، وهم القَراؤون .

فأكثَرهم خرج إلى دين الإسلام أولاً فأولاً ، إلى أن لم يبق منهم إلا نفر يسير ؛ لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام ؛ لسلامتهم من مُحاولات فقهاء الرّبانيين أصحاب الافتراء الزائد ، الذين شددوا على جماعتهم الإصر .

فقد تبين مما ذكرناه ، أن الحُخاميم هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم ، وضيقوا عليهم المعيشة والإصر فقصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم ؛ فيؤدى اختلاطهم بهم ، إلى خروجهم من دينهم .

والسبب الثاني في تضيق الإصر عليهم ، أن اليهود مبددون في شرق البلاد وغربها ، فما من جماعة منهم في بلدة إلا إذا قَدِم عليهم رجل من أهل دينهم ، من بلاد بعيدة ، يُظهر لهم الخشونة في دينه والمبالغة في التورّع والاحتياط ، فإن كان من المتفكّهة ، فهو يشرع في إنكار أشياء عليهم ، ويوهمهم التزّه عما هم فيه ، وينسبهم إلى قلة الدين وينسب ما ينكره عليهم إلى مشائخه وأهل بلده (١٣ب) ، ويكون في أكثر ذلك الإسناد كاذباً .

ويكون قصده بذلك ، إمّا الرئاسة عليهم ، وإما تحصيل غرض منهم ؛ ولا سيما إن أراد المقام بينهم^(أ) ، أو التدبير بينهم ، فتراه أول ما يتزل بهم ، لا يأكل من أطعمتهم ، ولا من ذبائحهم ويتأمل سكين ذُبائحهم ، وينكر عليهم بعض [أمرهم] ويقول :

« أنا لا آكل إلا من ذباجة يدي » .

فتراهم معه في عذاب ، لا يزال ينكر عليهم الحلال والمباح ، ويوهمهم تحريره

(أ) في : م : عندهم .

بإسناداتٍ يخترعها ، حتى لا يَشْكُوكَ في ذلك .

فإنَّ وصل بعد مدة طويلة ، من أهل بلده ، من يعرف أنه كاذب في تلك الإسنادات ، فلا يخلو أمره من أن يوافقه أو يخالفه .

فإن وافقه ، فإنما يوافقه ليشاركه في الرئاسة التاموسية التي حصلت له ، وخوفاً من أن يُكذَّب ، إن خالفه ، وينسب إلى قلة الدين .

وأيضاً ، فإن القادم الثاني - في أكثر الأمر - يستحسن ما اعتمده القادم الأول ، من تحريم المباحات ، وإنكار المحللات ، ويقول لهم :

« لقد عظم الله ثواب فلان ، إذ قَوَّى . ناموس الدين في قلوب هذه الجماعة ، وشيّد سياج الشرع عندهم »

وإذا لقيه على الانفراد ، يشكره ، ويجزيه خيراً ، أو يقول له :

« لقد زين الله بك أهل بلدنا » .

وإن كان القادم الثاني ، يُنكر ما أتى به القادم الأول ، من الإنكار عليهم والتضييق ، لم يبق من الجماعة واحد يستصعبه ، ولا يصدقه ، بل جميعهم ينسبونه إلى قلة الدين^(١) ؛ لأن هؤلاء القوم يعتقدون أن تضييق المعيشة وتحريم المحللات ، هو المبالغة في الدين والزهد ، وهم - أبداً - يعتقدون أن الدين والحق مع من يضيّق عليهم !! ، ولا ينظرون : هل يأتي بدليل أم لا ؟ ، ولا يبحثون عن كونه مُحِقّاً أم مُبْطَلًا ؟ ! .

هذا حال القادم إلى بلد ، من متفقهتهم !! .

(١) أخزاهم الله :

﴿ اتخذوا أبحارهم وزهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ (التوبة : ٣١) .
« وربوبية الأبحار مقررة في صلب التعاليم التلمودية » .

فأما إن كان القادم ، أحد أخبار اليهود وعلمائهم ، فهناك ترى العجب من الناموس الذى يعتمده ، والسنن التى يُحَدِّثُهَا وَيُلْحَقُهَا بالفرائض ، ولا يقدر أحدهم على الاعتراض عليه ، فتراهم مستسلمين إليه ، وهو يحتلب درَّهم ، ويحتلب - بحيله - درهمهم ، حتى لو بلغه أنَّ بعض أحداث اليهود قد جلس على قارعة الطريق فى يوم السبت ، أو اشترى لبناً من بعض المسلمين أو خمرأً ، ثلّبه وسبَّه فى مجمع من يهود المدينة ، وأباحهم عرضه ، ونسبه إلى قلة الدين .

فهذا السبب ، والسبب الذى ذكرناه قبله [هما^(أ) العلة فى تشديد الإصر] ، الذى جعلته اليهود على أنفسها ، وتضييق المعيشة عليها ، وتجنُّبهم مآكل غيرهم ومخالطة من كان على غير ملَّتْهم^(١) ، وقد أوضحناهما للمتأمل .

(أ) هما : سقطت من الأصل .

(١) لقد نقل الإمام ابن القيم هذه الفصول وضمنها كتابه « هداية الحيارى » قارن .

خاتمة الكتاب

أحقّ الناس بأن يوسم بالجهالة ويُنبذ بالضلالة ، من كان طبعه آيياً عن الانقياد للحقائق ، وعقله بعيداً عن فهم اليقين .

فأما من شقت درجته عن ذلك وكان ، مع امتناعه عن تسليم الحقائق ، مُسرِعاً إلى قبول الباطل وتصديق المستحيل (١٤أ) ، فهو حقيق بالنسبة إلى الجنون والسقوط !! .

وهذه الطائفة أحقّ الناس بذلك ؛ لأن آباءهم كانوا يشاهدون في كلّ يوم من الآيات الحسيّة والثّار السماوية ، ما لم يره غيرهم من الأمم ، وهم مع ذلك يهْمُونَ برجم موسى وهارون ، في كثير من الأوقات !! .

وكفى باتخاذهم العجل في أيّام موسى ، وإيثارهم العودة إلى مصر ، والرجوع إلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقثاء ، ثم عبادتهم الأصنام ، بعد عصر يوشع بن نون ، ثم انضمامهم إلى (أبشالوم)^(١) الولد العاق ولد داود من بنت ملك الكرج .

فإنّ سوادهم الأعظم ، انضمّ إلى هذا الولد العاصي العاق ، وشدّوا معه على حرب الملك الكبير والنبى الكريم ؛ نبىّ الله داود .

ثم إنهم ، لما عادوا إلى طاعة داود ، جاءت وفودهم وعساكرهم متقاطرة إليه ، مستغفرين ممّا ارتكبوه ، مُستبشرين بسلامة الملك داود ، بحيث اختصم

(١) انظر سفر صموئيل الثانى ، الأسفار ١٢ - ٢٠ .

الأسباط مع سبط يهوذا ، إذا عبروا بالملك الأردن ، قبل مجيء عساكر الأسباط ،
غَيْرَةً مِنْهُمْ عَلَى السَّبْقِ إِلَى خِدْمَةِ الْمَلِكِ .

وتعاتبوا في ذلك عتاباً دَقِيقاً .

فقال سبط يهوذا :

نحن أحقّ الناس بالسَّبْقِ إلى الملك ، والاختصاص بخدمته ؛ لأنّه مِنَّا ،
فلا وجه لعتبكم علينا ، يا بني إسرائيل .

فنبغ فضولى يقال له (شيع بن بكرى) ، فنادى برفيع صوته : لا نصيب
لنا في داود ، ولا حظّ في (ابن يسّاي)^(١) ، ليمض كل منكم إلى خبائه ،
يا إسرائيليين .

فما كان أسرع من انقضاى عسكر بني إسرائيل عن داود ، بسبب كلمة
ذلك الفضولى .

ولمّا توصّل الوزير (يوّاب) إلى قتل ذلك المشعّب ، عادت العساكر
جميعها إلى طاعة داود !! .

فما كان القوم إلّا مثل رَعّاج هيج العوام الذين تجمعهم دبدة وتفرقهم
صِيحة !! .

وأما عبادتهم الكباشين وتركهم الحج إلى القدس ، ثم إصرارهم على مخالفة
الأنبياء إلى انقضاء دولتهم ، فمما لا يصدر عن مُتَمَسِّكٍ بأهداب العقل وسيلهم
أن لا يتطرّقوا إلى معاييب أحد من الأمم إذا كانت هذه مخازيهم وفضائحهم .

فأما تَسْرُعهم إلى قبول الباطل والمستحيل ، فإنّنا نذكر منه طرفاً يَتَبَيَّنُ عن

(١) يقصد داوود بن يسّى عليه السلام .

قلّة عقولهم ، وهو ما جرى في زماننا من أذكاهم وأكيسهم . أمكرهم وهم يهود بغداد .

فإنّ محتالاً من شبّان اليهود نشأ بسواد الموصل ، يقال له (مناحيم بن سليمان) ، ويعرف بابن الروحى ، وكان ذا جمال في صورته ، وقد تفقّه في دينهم ، بالإضافة إلى الجمهور من اليهود الساكنين بالناحية المعروفة بالعمادية ، من بلد الموصل ، وكان المتولّى هناك^(أ) ، ذا ميل ، إلى ذلك المحتال وحُبّ له ، لحسن اعتقاده فيه ، ولما توهم فيه من ديانة تظاهر بها ، بحيث كان الوالى يسعى إلى زيارته .

فطمع ذلك المحتال في جانب الوالى واستضعف عقله !! .

فتوهم أنّه يتمكن من الوثوب على القلعة وأخذها وأنها تضحي له معقلاً حصيناً .

فكتب إلى اليهود المستقرين بنواحي بلاد آذربيجان وما والاها ؛ لأنّه علم أن يهود الأعاجم (١٤ ب) أقوى جهالةً من سائر اليهود !! .

وذكر ، في كتبه ، أنّه قائمٌ ، قد غار لليهود من يد المسلمين وخاطبهم بأنواع من المكر والخديعة .

فبعض فصول كتبه التى رأيتها يحوى ما هذا معناه :

ولعلّكم تقولون : هذا ، لأى شيء قد استغفّرنا ؟ الحرب أم لقتال ؟ لا ، لسنا نريدكم لحرب ، ولا لقتال ، بل لتكونوا واقفين بين يدي هذا القائم ، ليراكم - هناك - مَنْ يغشاه من رُسُل الملوك الذين يبابه .

(أ) فى : م : زيادة كلمة (القلعة) .

وفي أواخر الكتب :

ينبغي أن يكون مع كل واحد منكم سيف أو غيره ، من آلات الحرب ،
ويخفيه تحت أثوابه .

فاستجابت إليه يهود الأعاجم ، وأهل نواحي العمادية ، وسواد الموصل .
ونفروا إليه بالسلاح المستتر ، حتى صار عنده منهم جماعة كثيفة .

وكان الوالى ، لحسن ظنه به ، يظن أن أولئك القادمين إنما جاءوا لزيارة
ذلك الحبر الذى قد ظهر لهم - بزعمه - فى بلده ، إلى أن انكشفت له
مطامعهم .

وكان حليماً عن سفك الدماء . فقتل صاحب الفتنة المحتال وَحَدَه .
فأما الباقون فتهاجوا مدبرين ، بعد أن ذاقوا وبأل المشقة والخسارات
والفقر .

ولم تنكشف هذه القصة لهم ، مع ظهورها لكل ذى عقل !! ، بل هم إلى
الآن يفضلونه على كثير من أنبيائهم : أعنى يهود العمادية .

وفهم مَنْ يعتقدُه المسيح المنتظر بعينه !! ولقد رأيت جماعة من يهود
الأعاجم يخوى وسلماس وتبريز ومراغه^(١) ، وقد جعلوا اسمه ، قَسَمَهُم
الأعظم .

وأما من بالعمادية ، من اليهود فصاروا أشدَّ مباينة ومخالفة ، فى جميع
أُمُورهم ، لليهود من النصارى .

(١) مدن فارسية .

وفي تلك الولاية ، جماعة منهم على دين يسبونه إلى مناحيم المحتال المذكور .

ولمّا وصل خبره إلى بغداد ، اتفق - هناك - شخصان من محتالي اليهود ودواهي مشيختهم ، فزّورا على لسان (مناحيم) كتباً إلى بغداد تبشّرهم بالفرج الذي كانوا قديماً ينتظرونه ، وأنه يعيّن لهم ليلةً ، يطّيرون فيها أجمعين إلى بيت المقدس !! .

فانقاد اليهود البغداديون إليه ، مع ما يدّعون من الذكاء ، ويفخرون به من الخب^(١) ، انقادوا بأسرهم إلى تصديق ذلك .

وذهبت نسوانهم بأموالهنّ وحليهنّ إلى ذينك الشيخين ليتصدقا به ، عنهنّ ، على من يستحقّه بزعمهما .

وصرف اليهود جُلّ أموالهم في هذا الوجه ، واكتسوا ثياباً خضراً ، واجتمعوا في تلك الليلة على السطوح ينتظرون الطيران - بزعمهم - على أجنحة الملائكة ، إلى بيت المقدس !! .

وارتفع للنسوان منهم بكاء على أطفالهن المرتضعين ، خوفاً أن يطّرن قبل طيران أولادهن ، أو يطير أطفالهن قبلهن ، فتجوع الأطفال بتأخّر الرضاع عنهم .

وتعجّب المسلمون ، هناك ، مما اعترى اليهود ، حينئذ ، بحيث أحجموا عن معارضتهم ، حتى تنكشف آثار مواعيدهم العرقية .

فما زالوا متهافتين إلى الطيران ، إلى أن أسفر الصباح (١٥أ) عن خذلانهم وإمتهانهم !! .

(١) أي المختالة والخداع ، قال عمر رضى الله عنه : « لست بالخب ولا الخب

خديعني » .

ونجا ذاتك المختالان بما وصل إليهما من أموال اليهود .
وانكشف لهم بعد ذلك وجه الحيلة ، وما تظاهر به من جلباب
الرديلة !! .
فسموا ذلك العام « عام الطيران » ، وصاروا يعتبرون به سنئى كهولهم
والشبان^(١) .
وهو تاريخ البغداديين من المتهوذة ، فى هذا الزمان .
فكفاهم هذا الأمر عاراً دائماً ؛ وشناراً ملازماً !! .
وفىما قد أوردناه كفاية قاضية للوطر ، من إفحامهم ، وإلجامهم ، بما هو
عين ما عندهم وأعوذ بالله ممّا يشركون وإليه البراءة مما يكفرون^(٢) .

(١) أى اتخذوه تاريخاً لهم ، وحق لهم ذلك !! .

(٢) فى الأصل :

قال فى أصل هذه النسخة المباركة : منقول من خط مصنفه ، مما وجد مكتوباً فى آخر
النسخة المنقول منها : « كتبه مؤلفه السموأل بن يحيى المغربى فى ثانى صفر سنة خمس وستين
وخمسائة هجرية ، حامداً الله على أفضاله ، ومصلياً على رسوله محمد وآله ، والحمد لله رب
العالمين . وصلواته على محمد ، خير خلقه وآله وصحبه وسلامه .

رسالة إلى السموأل وجوابها

بسم الله الرحمن الرحيم

انتقالُ سيِّدنا الإمامِ الحَبيرِ ، العالمِ الأَوحِدِ ، الرئيسِ مؤيِّدِ الدينِ ، شمسِ الإسلامِ ، أوحِدِ العَصْرِ ، ملكِ الحُكَماءِ ، أدامَ اللهُ تأييدهُ ، وأرغمَ حُسُودهُ ، من المِلَّةِ الإِسْرائيليةِ إلى المِلَّةِ الإِسْلاميةِ : إِمّا هَوَى واستحسان وعَبَثٌ ، أو بِدليل وبرهان .

فأَمّا الهوى والاستحسان والعبَثُ ، فهو ما يقبَحُ بمثله ، ولا يليقُ لمن وصل إلى درجته من العلم ، ولا سِيَّما في الاعتقاد والدين .

وإن قال : إنه بِدليل وبرهانٍ وبِحِثٍ ونَظَرٍ ، فإن كان هذا البَحْثُ والنَظَرُ ، بعَقْلٍ ، حدث له فيما بعد ، فربما حدث له عقل آخر فَيُريه أَنَّ ما هو عليه الآن باطل .

وإن كان ذلك البَحْثُ بالعقل الأول ، فهَلّا كان ذلك البَحْثُ ، قبل ذلك الوقت ؟ ولعلّه لو ازداد في البَحْثُ والنَظَرُ لعلم أَنَّ الحقَّ في غير المذهب الذي صار إليه .

وإن قال :

عرفت أَنَّ الحقَّ في هذا الدين بالدليل والبرهان قلنا : بأى طريق ؟ .

ثم إنه لا يعلم أحدٌ أَنَّ مذهباً أصَحَّ من سائر المذاهب إلا إذا بَحْثُ واستقصى عن جميع المذاهب ، وتأمَّلَ جميع ما أصَّلَه أربابها ، وحجَّجهم .

فإنّ هو أدعى ذلك ، فهو محال لأنّ عمره لا يفي لمطالعة جميع ما أصنّه
سائر أصحاب المذاهب والأديان . ولعلّه ، لو سئل عن حقيقة دين المجوس
والثنوية والبراهمة لما كان قيماً بعلوم مذهبهم ، وأيضاً فإنّ الملة التي قد انتقل إليها
هي على مذاهب كثيرة فإلى أيها انتسب وأيها اختار ؟ .

فإن كان إلى الآن غير متنسبٍ إلى أحدها فهو إلى الآن غير مسلم .

وإن كان قد رجّح أحد المذاهب فبأيّ طريق ؟ .

إن ادعى البرهان ، استحال ذلك ؛ لأنه يلزم منه أن يكون قد اطلّع على
سائر كلام أصحاب الشافعي ، وابن حنيفة ومالك ، وأحمد .

وإن كان قد رجّح أحد المذاهب ، استحساناً وهوى أو تقليداً ، فذلك مما
لا يليق بالعلماء والحكماء .

وحيثُذ يُرتفع عنهم الملك^(١) .

ورأى سيدنا الإمام الخبر في تأمل ذلك والإجابة عنه أعلى .

(١) تخريض للسلطان عليه ، يفهم ذلك من كلام السموأل في الجواب .

نُسخةُ الجَوَابِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سيقولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ : مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ؟ ، قُلْ : اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١) .

تأملْتُ ما ذكره هذا المعترضُ^(٢) السائلُ عمَّا لا يعنيه ، فليعلم أن الله هداني بالدليل الواضح ، والحجَّة الثابتة ، من غير تقليد لمعلمٍ أو والد .

وأما سؤاله عن وقت الإذعان بالكلمة الإسلامية ، هل كان تالياً لاعتقادها أو تخلَّلَ بينهما زمان .

كانت هذه الكلمة فيه مضمرةً ، غير مظهرة - فهو ضرب من الفضول لأن الإسلام مقبول عند الله وعند أهل الدين في أيِّ الوقتين كان .

وأما نسبته لتأخير إظهاره إلى العبث - فمن أين له أن تأخير الإذعان والإشهار لم يكن لتوتحي وقت أو لمحاذرة عدو ؟ .

على أنَّنا نبرأ إلى الله من التضجيع^(٣) في إجابة الداعي إلى الحق بعد معرفته .

(١) سورة البقرة / آية رقم ١٤٢ .

(٢) لقد أزعج إسلام السموأل اليهود كثيراً ، وأقلقهم كتابه إفحام اليهود ، فحاولوا نقضه ودحضه بشبه متهافة فجية ، انظر لابن كمونة اليهودي : « تنقيح الأبحاث » في عدة مواضع من الكتاب .

(٣) في لسان العرب : التضجيع في الأمر : التقصير فيه ، وضجع في أمره وأضجع : وهن .

ولكن عقيب ما كشف الله عن البصيرة ، وجاد بنور الهداية بادرت إلى الانضمام إلى زمرة الحق .

وأما قوله : إنه كما حدث له هذا عقلاً ، فربما حدث له عقل آخر يريه أن ما هو عليه باطل .

فجوابه : أن هذا تمثيل فاسد ، وكلام مُختل ، لأن هذا الاعتراض إنما يرد على من انتقل إلى دين ببحثٍ ونظر ، ثم انتقل عن الدين الثاني إلى دين ثالث ببحثٍ آخر ، ونظر آخر ، لا على من نبذ المحالات التي حصلت في وهمه بالتلفق من الآباء في الطفولة ، وأنس بها ، واعتادها من غير أن تصح عنده ببحثٍ ونظر ، ثم إنه ، لما اتفق له إعمال الفكر والبحث ، أذاه العقل والأدلة الصحيحة إلى الحق ، لأن ذلك المهجور المتروك لم يؤدّه إليه نظر .

فكيف يلزمه ما ذكر من الشبهة ؟

وأما قوله : هل بحث عن جميع المذاهب ، فإنه لا حاجة لى إلى ذلك ، لأن الحق في جهة واحدة وليس بمتعدد .

فلما قادنى الدليل إلى المذهب الحق ، لزم من صحته بطلان سائر المذاهب المخالفة له ، من غير حاجة إلى الاطلاع على جميع ما حرره أربابها .

وأما قوله : لو بحث لعلم أن الحق في غير ما هو عليه . فهو محال لأن الحق لا يتعدد .

وأما سؤاله : عن ما الطريق الذى صحّت به عندى دعوة المصطفى ، صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فإن شهادة هذه الأمم العظيمة بنبوّته مع المعجز الأعظم الذى لم يُبار فيه ، وهو فصاحة القرآن ، دلّنى على ذلك ، وأكد ذلك إشارات فهمتها من التوراة دلّت عليه ، إلا أن الأول هو الأصل في الدلالة .

وأما سؤاله : عن المذهب الإسلامى الذى انتسبَ إليه ، ومازعم أنه يلزمنى من مطالعة جميع مذاهب الأئمة ، فهو شبهة لاتلزمنى وسؤال عما لايعنيه ، إلا أن جوابى عنه هو الجواب الأول بعينه وهو أن الدليل قادنى إلى مذهب اعتقد بصحته ، فلا حاجة لى إلى تصفُّح غيره لأن الحق غير متعدد فى المذاهب ، كما أنه غير متعدد فى الملة .

على أن الاختلاف بين الأئمة المسلمين إنما هو فى توابع وصغائر ، لا فى أصل العقيدة بحيث يكفر بعضهم بعضا ، أعنى أصحاب الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد ، رضى الله عنهم ، دون أصحاب البدع .

على أن هذا السائل عما لا يعنيه ، إذا قام هذا المقام ، فسيبيله أن يقوى ما هدمت من حجج اليهود ، ويتشاغل بنصرتهم عن السؤال عما لا يعنيه ، لأنى قد أظهرت فسادَ اعتقادهم ، وتناقضَ ما عندهم فى « الإفحام » فذلك أولى من الإخلاد إلى شبهة الزنادقة ، وهذيانات المتفلسفة الكفار ، الذين يجب قتلهم فى الملة التى فارقتها والملة التى هداى الله إليها .

وأما ما ختم به كلامه فذاك أمر مرفوع على الحقيقة إلا أن الملوك والسلاطين جرت عادتهم أن يختصوا كل واحد بما يروونه له أهلاً ، حراسة للمراتب من تناول غير الأكفاء .

والحسنُ لا يزيدُ أهله إلا تحمولا !! .

وإذا خفيْتُ على العبيِّ فعاذِرْ

أن لا ترانى مُقلَّةَ عمياء

والسَّلام

تمَّ الجواب

من مصادر التحقيق ومراجعته

- أحمد سليم سعيدان :
تاريخ علم الحساب العربى ، عمان ، ١٩٧١ م .
- ابن أبى أصيبعة : توفى ٦٦٨ هـ :
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ م ، نشرة
ميللر ١٨٨٤ م .
- أوليرى (ديلاسى) :
الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ، ترجمة د. تمام حسان ، عالم الكتب بمصر .
- الباجى : أبو اليد :
رسالة راهب فرنسا وجواب القاضى الباجى ، تحقيق د. محمد عبد الله
الشرقاوى ، كلية الدعوة والإعلام بالرياض ، ١٤٠٤ هـ .
- بول ماسون أورسيل :
الفلسفة فى الشرق ، ترجمة محمد يوسف موسى ، دار المعارف بمصر
١٩٤٥ م .
- الترجمان : عبد الله (إلقس تورميدا سابقاً) :
تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، تحقيق د. محمود حمادة ، ط ٢ دار
المعارف - القاهرة .
- التوراة السامرية ، نشرة دار الأنصار ١٩٨٠ م .
- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم توفى ٧٢٨ هـ) :

الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، مراجعة السيد المدنى ؛ مطبعة ومكتبة المدنى .

درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣ هـ .

الفتاوى ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث والدعوة والإرشاد بالرياض .

- د. التيجانى الماحى :

مقدمة فى تاريخ الطب العربى ، القاهرة ١٩٥٩ م .

- الجاحظ :

المختار فى الرد على النصارى ، تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى ، دار الصحوة - القاهرة ، ١٤٠٥ هـ .

- جماعة من العلماء اللاهوتيين اليهود والنصارى :

إسرائيل فى الكتاب المقدس ، ترجمة حسنى خشبة - مصر ١٩٧٢ م .

- د. جمال الدين الفندى :

الله والكون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ١٩٧٢ م .

- جورج فايد :

مقدمة للفكر اليهودى فى العصر الوسيط ، ترجمة د. على سامى النشار ، وعباس أحمد الشربىنى ، ضمن كتاب الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية - الإسكندرية ، الطبعة الثانية .

- ابن حزم :

الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، الجزء الخاص باليهود والنصارى - دار الندوة الجديدة - بيروت .

حواشي كتاب المقدس ، طبعة بيروت ١٩٧٦ م ، الكتاب المقدس ، طبعة
البروتستانت بمصر ١٩٧٠ م .

- الخطيب البغدادي :

الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ، تحقيق د. محمد رأفت سعيد ، مكتبة
الفلاح بالكويت طبعة أولى .

- رحمة الله الهندي :

إظهار الحق ، نشرة عمر الدسوقي ، الدوحة - قطر .

- زكى شنودة المحامى :

موسوعة تاريخ الأقباط ، ج ٨ ، ١٩٧٣ مكتبة النهضة المصرية .

- سباط : الأب بولس : رسائل دينية فلسفية ، (مجموعة رسائل لاهوتية نادرة
لقدماء علماء النصارى) ١٩٢٩ م .

- سينوزا :

رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ترجمة د. حسن حنفى ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، ١٩٧١ م .

- سعيد بن الحسن الإسكندراني :

مسالك النظر فى نبوة سيد البشر ، نشرة : S. A. Wetson فى :
Jornal of the American Oriental Society, Vol 24, Part 2 (1903) .

- سهيل ديب : (مترجم) :

التوراة : تاريخها وغاياتها ، دار النفائس .

- شاكِر الكتبى :

فوات الوفيات ، تحقيق د. إحسان عباس ، نشر دار الثقافة - بيروت .

- الشرقاوى (د. محمد عبد الله) :

- ابن عربى : الرجل والمذهب ، حونية دار العلوم ، العدد التاسع ١٩٨٣ م .
- د. أحمد شلبي : اليهودية ، ط ٥ ، ١٩٧٨ دار النهضة بالقاهرة .
- الطبرى : المهتدى على بن ربن الطبرى : الدين والدولة فى إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، ط ٣ .
- الطبرى : أبو جعفر بن جرير :
- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ، ١٣٨٦ م ، ١٩٦٣ م .
- ظفر الإسلام خان :
- التلمود : تاريخه ، وتعاليمه ، دار النفائس ، ط. ٢ .
- القاضي عبد الجبار الأسد أبادى :
- تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق د. عبد الكريم عثمان ، بيروت ، دار العروبة .
- المغنى ، ج ٥ ، تحقيق محمود الخضيرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- د. عبد الرحمن بدوى :
- أفلاطون ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- د. عبد الستار فتح الله سعيد :
- معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، دار الطباعة الإسلامية ، مصر - طبعة أولى .
- علاء الدين الباجى : (توفى ٧١٤ هـ) :
- على التوراة ، نشرة د. أحمد السقا ، دار الأنصار ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- د. عبد اللطيف أحمد على :
- مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٠ م .

- الغزالي : أبو حامد (توفي ٥٠٥ هـ ١١١١ م) :
الرد الجميل لإلهية عيسى بصرىخ الإنجيل ، تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى
نشر دار أمية بالرياض - ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .
- الفخر الرازى :
المحصل ، تحقيق د. طه جابر العلوانى ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود
١٤٠١ هـ .
- ابن الغوطى :
« الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة » تحقيق مصطفى
جواد ، بغداد ، ١٩٣٢ م .
- قدرى حافظ طوقان :
تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار القلم ، القاهرة ،
١٩٦٣ م .
- القرافى (أحمد بن إدريس القرافى الصنهاجى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ) :
الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة فى الرد على اليهود والنصارى ، مطبوع
بهامش كتاب : الفارق بين المخلوق والمخالق .
نسخة مخطوطة رقم ١٧٧٢ مكتبة الثالث بتركيا ، ونسخة أخرى رقم
4832 R 506 مكتبة طويقيو سراى .
- ابن القفطى ، تاريخ الحكماء .
- ابن القيم :
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق محمد حامد الفقى ، نشر دار
المعرفة - بيروت .
- ابن كمونة اليهودى :

- تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ، نشرة موسى برلمان ، ١٩٦٧ م - كاليفورنيا .
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - طبع الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة .
- د. محمد أسد :
الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي ، طبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٣٣ م .
- د. محمد بيومي مهران :
دراسات تاريخية من القرآن الكريم طبع جامعة الإمام ١٤٠٠ هـ .
- د. محمد كمال جعفر :
دراسات في الفلسفة الإسلامية ، مكتبة دار العلوم طبعة أولى .
- محمد عزة دروزة :
اليهود في القرآن الكريم . نشر المكتب الإسلامي .
- ابن ملكا : هبة الله بن الحسين البغدادي البلدي :
المعتبر في الحكمة ، مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٣٢٢٢ (٢٢٥ ورقة) .
- منصور يوحنا جرداق :
مآثر العرب في الرياضيات والفلك - الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٧ م .
- ابن منظور :
لسان العرب ، ترتيب يوسف خياط ، نشر دار اللسان بيروت .
- الموسوعة اليهودية ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٠٣ - ١٩٠٥ م .

- نفتالى فيدر :
التأثيرات الإسلامية فى العبادات اليهودية ، ترجمة د. محمد سالم الجرح ،
القاهرة ١٩٦٥ م .
- هنرى كوربان ، عثمان يحى ، السيد حسين نصر :
تاريخ الفلسفة الإسلامية ، بيروت ١٩٧٧ م .
- د. يوسف حنا مسعد (مترجم) :
الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، نشر المكتب الإسلامى ، الطبعة الثانية .
- د. يوسف السويدى :
الإسلام والعلم التجريبي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ .

فهرس بأهم الأعلام التي وردت بالكتاب

جاء على رأس القائمة محمد بن عبد الله ﷺ ، ثم رتبنا الأعلام الباقية حسب التسلسل الأبجدي ، بعد إغفال (أل) و (أبو) و (أم) و (ابن) .

محمد بن عبد الله ﷺ :

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ،
٨٥ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٤ ،
١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٤٦ .

(الهمزة)

- إبراهيم عليه السلام :

٨٧ ، ٨٩ ، ١١٥ ، ١٤٨ .

أحاب : ١٤٤ .

أحزيا : ١٤٤ .

أرميا : ٦٢ ، ١٠٨ .

إسحاق بن إبراهيم البصري : ٤٦ .

الإسكندر : ٥٢ .

إسماعيل عليه السلام : ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٥ .

أشعيا : ١٠٨ ، ١١٣ .

ابن أنى أصيعة : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٩ .

أفلاطون : ٥٩ .

- إقليدس : ٢٣ ، ٢٤ .
أمصيا : ١٤٤ .
أوغسطس قيصر : ٩٢ .

(الباء)

- بابلوكر ستياي : ٢٦ .
بخت نصر : ١٣٨ ، ١٤٤ .
برذويه الطيب : ٥٤ .
البغدادى : موفق الدين المتوفى ٦٢٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٨ .
أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ٥٣ .
نبديكيت : البابا ٢٥ .
بوعز : ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٤٧ ، ١٥٤ .

(التاء)

- ابن تيمية : ٣١ .

(الجيم)

- جورج فيدا : ٩٣ .
جوهان فيفكرون : ٢٧ .
الجوينى (أبو المعالى) : ٣٠ .

(الحاء)

حزقيل : ٦٢ .

ابن حزم : ٣٠ .

(الخاء)

خديجة رضى الله عنها : ١٤٦ .

ابن الخشاب النحوى : ٢٠ .

داوود عليه السلام : ١٢٥ : ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ .

الدسكرى : ٢١ ، ٤٨ .

دنيال : ٦٢ .

(الراء)

الراب بن يهوذا بن آبون : ٤٦ .

رستم الجبار : ٥٣ .

روث المؤابية : ١٢٥ ، ١٤٧ .

(س)

سرجوس الأول : ١٤٤ .

سعيد بن أبى وقاص : ٥٣ .

سعيد بن الحسن الإسكندراني : ٢٣ ، ٢٧ .
سليمان بن داود ، عليهما السلام : ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٥٥ .

(ش)

شاؤول : ١٠٩ .
شجاع بن أسلم : ٥٠ .
الشريف بن عبد القادر البسيوني الحسني : ٤٥ .
شمّاي : الحاخام : ١٥٠ .
شموايل النبي : ٢٨ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٣٤ .
الشهرزوري : ٢٢ ، ٤٨ .
شيع بن بكري : ١٥٨ .

(ص)

الصاحب الأجد فخر الدين بن عبد العزيز بن سعد المضرى ، ٦٩ .
الصفدى : ٢١ .

(ط)

الطبري : ٢٢ ، ٢٥ ، ٥٢ .

(ع)

- العاذر : ١٢٥ ، ١٢٦ .
عنان بن داود : ١٥٠ .
أبو عبيدة بن الجراح : ٥٣ .
عبد الله بن سلام : ١٤٦ .
عزرا الوراق : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .
العزير : ١٢٥ ، ١٢٦ .
العسكري بندارا : ٢٧ .
عمر الفاروق رضي الله عنه : ٥٣ ، ١١٨ ، ١٦٥ .
عنتر : ٥٢ .
عيسى عليه السلام : ٢٤ ، ٣٢ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٠٨ .

(غ)

- الغزالي : أبو حامد : ٥٧ .

(ف)

- أبو الفتح بن البصري : ٤٨ .

(ق)

القرافي : أحمد بن إدريس : ٣١ .

ابن القفطى : ٢٩ .

(ك)

الكرخى : ٤٩ .

كسرى أنو شروان : ٥٣ .

كلمنت : البابا : ١٠ .

ابن كمونة : الكاتب اليهودى سعد بن منصور : ٣٣ .

(ل)

لوط عليه السلام : ١٤٨ ، ١٥٥ .

(م)

مريم عليها السلام : ١١ .

ابن مسكويه : ٢٢ ، ٥٢ .

مناحيم بن سليمان : ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ .

ابن ملكا : هبة الله بن على بن الحسين البغدادى : ٢٢ ، ٢٧ .

ابن منظور : ٤٥ .

موسى عليه السلام : ٣٢ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ،
٩٦ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١٢٥ ، ١٥٧ .
موسى بن ميمون : أبو عمران : ١٩ .
موسى بن نحمان : ٢٥ .
موسى أبو العافية : الحاخام : ٢٧ .
ابن ميسرة : ٨٣ .

(ن)

نجم الدين غازى ملك شاه طغرليك : ٢٠ .
نقيسة بنت ألى نصر الداوودى : ٤٦ .
ابن النقاش : ٤٩ .
نوح عليه السلام : ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٣ .
نيكولاس دونين : ٢٥ .

(هـ)

هارون عليه السلام : ١١١ ، ١٢٤ .
هامان : ٩٨ .
هيروودس : ٨٢ .

(ى)

يربعام بن نباط : ١١٦ ، ١٢٢ .
يعقوب العيتائى : الحاخام : ٢٧ .

- يهورام : ١١٨ .
يهوشع بن نون : ٩٥ ، ٩٨ .
يهوذا هاناسي (الخير) : ١٥٠ .
يوسف بن يعقوب عليهما السلام : ١٣٩ .
يوسف النجار : ١٠٣ .

فهرس بالجماعات والطوائف والقبائل

- الأخبار : ٧٧ .
- الأطباء : ٣٦ .
- الأعاجم : ٢٠ ، ١١٦ ، ١٦٣ .
- البابليون : ١٤٤ .
- البراهمة : ١٦٩ .
- البروتستانت : ٤٧ .
- بنو إسماعيل : ١٠٧ ، ١١٣ .
- بنو العيص : ١١٢ ، ١١٨ .
- بنو ليوى : ٤٦ ، ١٠١ ، ١٠٧ .
- الثنوية : ١٦٩ .
- الجويم : ٦٢ ، ١٤١ .
- الربانيون : ١٥١ .
- الروم : ٥٣ ، ١٠٣ .
- الرياضيون : ٣٦ .
- الزهاد : ٩٤ .
- الصادوقيون : ١٥٠ .
- الفرس : ٥٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .
- الفريسيون : ٦٢ ، ٨٥ ، ١١٤ ، ١٤١ .
- الفقهاء : ٩٥ .
- القرآؤون : ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .
- الكنعانيون : ١٤٤ .
- المتصوفة : ٦٥ .
- المجوس : ٥٦ ، ١٦٩ .

فهرس بالأماكن والمواقع التي وردت بالكتاب

- آذربيجان : ٢٠ ، ٣٣ ، ٥١ ، ٦٩ ، ١٦١ .
الأندلس : ١٩ .
أفريقية : ١٩ .
أورشليم : ٧٩ ، ١١٨ .
البحر الأخضر : ٤٦ ، ٦٧ .
بابل : ١٠٥ ، ١٠٦ .
بدر : ٥٢ .
برشلونة : ٢٥ .
البصرة : ٤٦ .
بغداد : ٤٦ ، ١٦٥ .
بلاد العجم : ٧١ .
بيت المقدس : ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٥ .
تركيا : ٣٥ ، ٦٨ ، ١١١ .
جبال فاران : ٦٣ ، ٦٤ ، ١١٨ ، ١١٩ .
جبل السراة : ١١٨ .
حصن كيف :
حلب : ٧٣ .
خير : ٥٢ .
ديار بكر : ٧١ .
سيعير : ١١٢ .

- شومرون : ٩٩ .
الشام : ٥١ .
الصين : ٦٧ .
طرسوسة : ٢٦ .
العراق : ٥١ ، ٧١ .
غمدان : ٦٧ .
فاس : ٢٤ ، ٤٥ .
لبنان : ١٠٣ .
مدائن كسرى : ٥٢ .
المدينة المنورة : ٩٠ .
المراغة : ٢٠ ، ٣٣ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٥٣ .
مصر : ٤٦ ، ١٩٢ .
مكة المكرمة : ١١٨ .
الموصل : ٧١ ، ٧٣ ، ١٦٠ ، ١٦٣ .
الناحية العمادية : ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .

ملحق بالنص من الواردة في الكتاب مرتبة حسب ورودها -
"بحر وف عبرية"
(١)

שפך דם האדם באדם דמו ישפך כי בצלם אלהים
עשה את האדם

(٢)

תקע בשופר גדל לתורתנו ושא נס לקבצנו, וקבצנו יחד
מארבע כנפות הארץ אל נוה קדשך, ברוך אתה ה' מקבץ
נרחי עמו ישראל.

(٣)

השב שופטינו כבראשונה ויועצינו כבתולה.
ובנה את ירושלים עיר קדשך בימינו ונחמנו.
ברוך אתה ה' בונה ירושלים.

(٤)

לא תוסיפו על הדבר אשר אנכי מצוה אתכם
ולא תגרעו ממנו.

(٥)

ואמח את הלוים תחת כל בכור בכני ישראל

(٦)

לא יסוד שבט מיהודה ומחזק מבין רגלי



(7)

נביא אקים להם מקרב אחיהם כמוך אליו ישמעון

(8)

אתם עוברים בגבול אחיכם בני עשו היושבים בשעיר

(9)

ולישמעאל שמעתיד הנה ברכתי אותו והפרייתי אותו
והרביתי אותו במאד מאד

(10)

ואמר אדני מסיני אתגלי וחדור יקרה משעיר אתחזי לנא
אתגלי בנברתה ממורא דפארן ועמה רבן קרישין.

(11)

וישב במדבר פארן ותקח לו אמו אשה מארץ מצרים

(12)

כי גוי אבד עצות הטה ואין בהם תבונה

(13)

כגר כאורח ככם יהיה לפני ה'

(14)

תזרה אחת ומשפט אחד יהיה לכם ולגר הגר בתוכם

(10)

אהבת עולם אהבתנו אדני אלהינו

(17)

השיבנו אבינו לתורתך

(17)

אבינו מלכנו אלהינו

(18)

אתה ה' אבינו גואלנו

(19)

ואת כל רודפי בניך ואויבי עדתך כלם כסמו ים
אחד מהם לא נותר.

(20)

וגר זאב עם כבש יחדיו ירבצו ביניהם ופרה ודב תרעינה
ואריה כבקר יאכל תבן.

(21)

אלהינו ואלהי אבותינו מלך על כל יושבי תבל ארצך
ויאמר כל אשר נשמה באפנו אדני אלהי ישראל מלך
ומלכותו בכל משלה

(22)

למה יאמרו הגוים איה נא אלהיהם

(23)

עודה למה תישן אדני הקיצה משנתך

(٢٤)

וַיִּרְאוּ אֶת־אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל וַתַּחַת רַגְלָיו כַּמְרָאָה לְבִנְת־הַסִּפִּיר
וּכְעֶצֶם הַשָּׁמַיִם לְמַדָּר.

(٢٥)

וַיִּנָּחֶם ה' כִּי עָשָׂה אֶת־הָאָדָם בָּאָרֶץ וַיִּתְּעַצֵּב אֵל לְבֹ

(٢٦)

וַיִּנָּחֶם ה' - וַתֵּב אֲדֹנִי בְּמִיטְרָה

(٢٧)

וַיִּתְּעַצֵּב אֵל לְבֹ

(٢٨)

בְּעֶצֶב תִּלְדִּי בָנִים

(٢٩)

נִחַמְתִּי כִּי הִמְלַכְתִּי אֶת־שָׂאוֹל לְמֶלֶךְ עַל־יִשְׂרָאֵל

(٣٠)

וְהִנֵּה נָחָם כִּי הִמְלִיךְ אֶת־שָׂאוֹל עַל־יִשְׂרָאֵל

(٣١)

וַיִּרַח ה' אֶת־רִיחַ הַנְּחֹחַ וַיֹּאמֶר ה' אֵל לְבֹ לֹא אֶסְמֶךָ עוֹד
לְקַלֵּל אֶת־הָאָדָמָה בְּעֶבְדֹךָ הָאָדָם כִּי יֵצֵר לֵב הָאָדָם רָע
מִנְּעוּרָיו וְלֹא אֶסְמֶךָ עוֹד לְהַכּוֹת אֶת־כָּל־חַי כְּאִשֶּׁר עָשִׂיתִי

(٣٢)

וַיִּכְתֹּב מֹשֶׁה אֶת־הַתּוֹרָה הַזֹּאת וַיִּתֶּנָּה אֵל הַכְּהֹנִים לְבְנֵי לֵוִי

(23)

ויכתב משה את השירה הזאת וילמדנה לבני ישראל

(24)

וזמרה ליה השירה הזאת לעד בבני ישראל

(25)

כי לא תשכח מפי דעם.

(26)



ראשית בכורי אדמתך תביא בית ה' אלהיך
לא תבשל גרי בחלב אמן.

(27)

ובגפן שלשה שריגים והיא כפורחת עלתה נצה
הבשילו אשכולותיה

(28)

ולא ידע בשכבה ובקומה

(29)

לא הפצתי לקחתה

(30)

ככה יעשה לאיש אשר לא יבנה את בית אחוז

(31)

מאן יבמי להקים לאחוזו שם בישראל לא אבת יבמי

(٤٢)

לא חפצתי לקחתה

(٤٣)

לא תתגורו בם כי לא אתן לך מארצם עד מדרך כף רגל

(٤٤)

אכל השברו מאתם בכסף ואכלתם וגם מים תכרו מאתם
בכסף ושתייתם.

(٤٥)

ובשר בשדה טרפה לא תאכלו לכלב תשליכו אתו

(٤٦)

ויכידה ויאמר כתנת בני חיה רעה אכלתהו. טרף טרף יוסף

(٤٧)

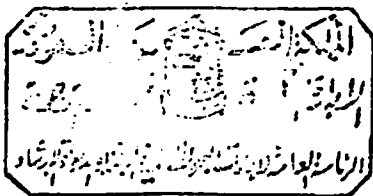
נביא אקים להם מקרב אחדם כמוך אליו ישמעון

(٤٨)

הופיע מהר פארן ..

(٤٩)

וישב במדבר פארן



اعتمدت في ايراد هذه النصوص على نشرة (برلمان).

الفهرس

١١ - ٧ تصدير للدكتور أحمد العسال

١٧ - ١٣ مقدمة المحقق

- القسم الأول

٣٦ - ١٧ دراسات بين يدي الكتاب

٤١ - ٣٩ صور المخطوطات

- الكتاب الأول

٧٤ - ٤٣ إسلام السموأل بن يحيى المغربي

- الكتاب الثاني

٢٠٩ - ٧٥ إفحام اليهود

٨٤ - ٧٧ صور المخطوطات

٢٠٩ - ٨٦ نص الكتاب

- الفهرس